دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الاول ـ السنة التاسعة ـ رجب 1385 ـ نونبر 1965

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

العدد الأول
السنة التاسعة
رجب 1385
نونبر 1965
ثمن العدد
درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 10-308 — 03-327 — الرباط

الافتتاحية

بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربي الثالث

أمة واحدة

كان لقاء تارخيا يهدف الى تشخيص التعاون فى أوسع معانيه ، فى عالم شعاره اليوم التقدم العلمي السريع فى كل المجالات، ويتسم بتكتلات وتجمعات على اختلاف الوانها، وفى جميع المستويات . كما كان فرصة ميمونة لتوثيق عرى الصلات التاريخية والقومية التي تجعل من أمتنا العربية أسرة متماسكة البناء ، متضامنة الاعضاء ، مرفوعة الرأس ، مسموعة الكلمة ، تقوم على فكرة جامعة ، ومبدأ متحد .

وهكذا ، فقد عاشت مدينة الدار البيضاء اياما خالدة مجيدة من ايامها الغر البيض حيث احتضنت مؤتمر القمة العربي الثالث الذي انعقد فى تاريخ 9 سبتمبر الى 13 منه، وكتب له نجاح باهر فى دعم الصف العربي لمناهضة المؤامرات الاستعمارية والصهيونية التي تهدد الكيان العربي ، وتوفير الطاقات العربية تمهيدا لتعبئة القوى لمعركة الكفاح لتحرير فلسطين حتى يتسنى لها أن تلعب دورا هاما فى اقرار السلام ، وتوفير جو يسوده روح الود والاخاء بين البلاد العربية .

واقد لعب المغرب دورا كبيرا فى انجاح هذا المؤتمر العربي لجامعة الدول العربية ، ووفر له أسباب الفوز والثقة والرضى ، سواء فى ميدان التمهيد له ، أو ابان انعقاده ، ويرجع الفضل الاكبر فى ذلك كله الى حكمة صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني حفظه الله الذي بذل من راحته وعافيته وحنكته ومرونته ما كفل له أسباب النجاح الباهر .

وكان الحماس باديا على أصحاب الجلالة والفخامة رؤساء الدول العربية الذين ازداد ايمانهم بضرورة توحيد الصف لانقاذ هذا الوطن العربي الذي يفيض بالخير ، وينعم بطاقات هائلة ، وانقاذ ابناء فلسطين المشردين الذين تفاديهم الفاقة ، ويراوحهم الموت ، ويضطربون اضطراب المهيض فى القفص ، ويملك الالم والبؤس نياط قلوبهم .

كما امتاز مؤتمر القمة العربي الثالث لجامعة الدول العربية بالصراحة والوضوح، والنقد الذاتي ومحاسبة النفس ، لتجديد دارس الطريق ، ونبذ الجفاء والقطيعة .

وكان صاحب الجلالة صريحا الى أبعد الحدود في خطابه التاريخي ، منطقيا مع ما يعتلج في نفوس ابناء العرب الذين يعلقون أكبر الآمال على الجامعة العربية بصفتها منظمة اقليمية لها دورها في هذه الرقعة التي تمتد من الخليج الى المحيط .

فقد قال حفظه الله في خطابه الافتتاحي الرائع : (ان عودة الملاقات العربية الى التعكر بعد الصفاء ، وتبدد الغيوم يوشك ان يفقد شعوبنا ثقتها في اجتماعاتنا ، ويوشك أن يفقدنا نحن أيضا الامل في لقاءاتنا .

ان انظار شعبنا العربي ــ يقول صاحب الجلالة ــ متجهة الينا ، وآماله منوطة بنا ، وليس العيب ان نختلف في طرق الاجتهاد للحصول على الرأي الصائب ، والوصول الى اتخاذ الخطة السديدة ، لكن العيب ان نجتمع ، وعلى هذا المستوى ، وان نفترق والخلافات كما كانت أو تزيد ، فلنتناقش لنتفق ، ولنتصالح لنتصافى ، ولكن علينا دائما ان نخرج متفقين ، ايدينا مشدودة الى عهد واحد ، وقلوبنا منوطة بميثاق واحد)

هذا كلام ملكي واضح مبين لا التواء فيه ولا غموض ، يشير الى ثورة عارمــة تعتمل في نفس الملك الشاب ، وصرخة مومنة تصك المسامع الصم ، وتبلغ القلــوب الغلف ، تلفت لها الدهر ، اعلنها صاحب الجلالة الحسن الثاني ايده الله في رحاب مؤتمر القمة العربي لجامعة الدول العربية ، وارسلها مدوية امام حراس العدالة ، ورواد المنى وساقة الظعن في العالم العربي ، ايمانا منه حفظه الله بان فاقد الشيء لا يعطيه ، وان الثورة الحق لا يمكن أن تكون في دنيا الواقع الا اذا كانت في عالم الفكر ، ورحم الله امرأ اراهم من نفسه قوة .. وابرز من تردده عزما .

ان الغاية التي استهدف لها مؤتمر القمة العربي الثالث هي تحرير فلسطــين المجاهدة من نفايات اليهود ، وشذاذ الافاق الذين وضعهم الاستعمار الصليبي العالمى في العالم العربى شوكة ناخسة في جنب البلاد العربية حتى يشل حركتها ، ويعوقها عن زحفها من أجل تحررها السياسي والاجتماعي والاقتصادي .

وان ابناء فلسطين الذين يتنافسون اليوم في مجد الموت وشرف التضحية ، وفخر الاستشهاد في سبيل انقاذ جزء ليس بهين من الوطن العربي ليمدون ايديهم الى كــل عربي في كل مكان لانجادهم من قوة الظالم ، وانقاذهم من عسف القوى الذي اذاقهم لباس الجوع والخوف .

ان الطريق محفوفة بالمخاطر والقتاد ، وتتطلب الصبر والجلد وطول النفس لكن :

متى ما اطمان القلب بالنفع بالحيا   فقد لا يروع الليل والرعد والبرق

وان الامة العربية لتنتظر بفارغ الصبر نتائج اعمال هذا المؤتمر العظيم في الميدان العملي تلك الاعمال التي انعكست آثارها في حماس وتضامن المسؤولين العــرب ، المومنين بقضايا عروبتهم واوطانهم .

ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله

فالنصر المؤزر لاشك مكفول لمن لا يولي الادبار ، ولا يقبل النكوص ، ولا يرضى الهزيمة ، فيد الله مع الجماعة ، وانما ياكل الذئب من الغنم القاصية .

دعوة الحق

خطاب صاحب الجلالة الملك المعظم

الحسن الثاني

في حفلة افتتاح مؤتمر القمة العربي



الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وءاله وصحبه

اصحاب الجلالة

اصحاب الفخامة ، اصحاب السمو ، حضرات السادة

يطيب المغرب ملكا وحكومة وشعبا ويسعدنا شخصيا ان نستقبلكم فوق ارض المغرب وفى مدينة الدار البيضاء احد معاقل المقاومة الوطنية والفداء فى هذا المؤتمر الكبير الذي تتطلع اليه افئدة وقلوب العرب اجمعين فى المشرق والمغرب

وباسم الشعب المغربي المعتز بلقائكم هذا ان نرحب بكم اعمق ترحيب واطيبه ، وان كنتم فى غنى عن الترحيب ، لانكم انما نزلتم بلدكم وحللتم بين شعبكم وفى دياركم ، وان قلوبنا ايها الاخوة الاعزاء مفتوحة لكم وصدورنا مفروشة بالود والمحبة لكم وهذا الشعب الذي يبهج بلقياكم ويسعد بوجودكم كان شعوره شعور الفرحة العارمة ، عندما حللتم بربوعه التي ينعقد فوقها مؤتمرنا هذا .

فقد طالما تطلع هذا الشعب بشوق الى سنوح فرصة كهذه يرى فيها قادة الامة العربية يجتمعون بين ظهرانيه للنظر فى القضايا المشتركة التي تهم

العرب حاضرا ومستقبلا ولا عجب فالشعب المغربي شعب مسلم عربي بعقيدته ولغته وماضيه وثقافته وءاماله ومطامحه شعب كان نضاله من اجل الاستقلال والحرية مرتبطا ارتباطا عميقا بنضاله للحفاظ على عروبته وكان متطلعا بشوق لاهف الى اليوم الذي يلتقي فيه الجناح الغربي من الوطن العربي بالجناح الشرقي وصلا للحاضر بالماضي وتطلعا الى مستقبل يستعيد فيه العرب مجدهم ومكانتهم وحضارتهم ففي غمرة الكفاح التحرري الذي خاضه هذا الشعب بقيادة ملكه العظيم والدنا محمد الخامس طيب الله ثراه وفي تلك الاثناء العصيبة التي ضرب فيها الاستعمار حصارا على هذه البلاد ، ليخنق صوت الحرية فيها وليفصلها عن بقية العالم وعن الامة العربية نقول في غمرة ذلك الكفاح ارتفع صوت والدنا من مدينة طنجة سنة سبع واربعين وتسعمائة والف 1947 ليعلن للعالم عن تصميم هذا الشعب وارادته وليجهر باسم ملايين شعبنا قائلا : **«ان المغرب دولة عربية صلتها وثيقة بالشرق العربي فمن الطبيعي ان يزداد هذا الاتصال متانة وقوة سيما وقد اصبحت الجامعة العربية تقوم بدور مهم في السياسة العالمية ، هذا الايمان بالعروبة وهذا التشبث الوطيد بها لم يكن وليد ظروف او حالات عابرة .**

ان التاريخ العربي لهذا الشعب لتاريخ طافح بقصص الذود عن حياض العروبة او عن كرامة العرب وامجادهم فقد كان المغرب دائما الدرع الذي يحمي دولة العروبة والاسلام بالديار الاندلسية بسالة حملات الغزو الاجنبي على حدوده وشواطئه تلك الحملات التي كانت تستهدف تحطيم قلعة العروبة في هذه الديار وتنكيس اعلام الاسلام في ربوعها .

وكانت معركة وادي المخازن او وقعة الملوك الثلاثة المشهورة في القرن السادس مخيبة لكل احلامهم وجعلتهم يقتنعون ان قناة هذه البلاد لن تلين وان دولة العروبة والاسلام منيعة الجانب في هذه الديار .

ولم يكن لهذا النصر عواقبه الطيبة على مصير دولة المغرب التي ازدادت صولة وهيبة ولكن على مصير العالم العربي الذي كان مهددا بعد سقوط الاندلس العربية بغزو استعماري فطبع تقلص ظله ـ ولو الى حين بعد تلك الهزيمة النكراء التي قطعت الطريق على الاستعمار الذي كان يجد للعبور عن طريقنا الى المشرق العربي .

وعندما بسط الدخلاء راية حكمهم على دولة العرب في الشرق بعد ان وهنت العزائم وسادت التفرقة صفوف العرب وبعد ان امتدت بالتالي الى العالم العربي حملة مسخ الشخصية العربية ومحو معالم الثقافة العربية وقف المغرب يقاوم عند حدود ذلك المد الدخيل ويوقف اكتساحه ويمنعه ان تتطاول يده الى هذه الديار التي ظلت قيما امينا على التراث العربي فحافظ المغرب على استقلاله الوطني مثلما حافظ على كيانه العربي وظل المغرب عبر القرون والى اليوم يحتضن ثقافة الاسلام والعروبة بنشر اضوائها وتزدهر معاهده بعلومها وتراثها الخالد .

اصحاب الجلالة

اصحاب الفخامة

اصحاب السمو ، ايها السادة

لم اقصد هنا ان اذكركم ايها الاخوة بعروبة المغرب فما انتم في حاجة الى التذكير وانما عرضت الى هذا الجانب لاؤكد ان رسالة المغرب نحو قضايا العروبة رسالة تاريخية فالمغرب في حاضره ـ امتدادا لماضيه ـ متحمس لنصرة القضايا العربية في كل مكان مهما شطت الديار وبعد المزار .

واننا لنضع كل تجارب نضالنا في خدمة البلاد العربية التي لم تدخر وسعا ولم تبخل بجهد في سبيل تعزيز كفاحنا المرير من اجل التحرير والسيادة .

ان انضمامنا الى الجامعة العربية لم يكن من اجل ان نملا مقعدا افسحه لنا اخواننا في حظيرة هذه المنظمة ولكن لاننا ءامنا من اول يوم انشئت فيه الجامعة العربية انها جامعة ستعمل ويجب عليها ان تعمل لاعزاز جانب العرب والدفاع عن حقهم في الحرية السعيدة والمساهمة في تعزيز ركب السلام والتقدم في العالم .

وفي عصر امتاز بكونه عصر التكتل والتضامن والتعاون بين جميع الدول فان العرب احرى بهم ان يتكتلوا ويتضامنوا ويتعاونوا في اطار منظمة تجمع كلمتهم وتوحد صفهم وتسير بهم نحو اهدافهم وغاياتهم بخطوات ثابتة وايمان قوي، بهذا الايمان دخلنا الى الجامعة العربية بعد حصولنا على الاستقلال لنؤدي فيها دورنا بكل اخلاص كجزء من العالم العربي وكعضو شاعر بمسؤولياته مقدرا للالتزاماته .

وامام المشاكل العديدة والقضايا المتنوعة التي تواجه العالم العربي والتي تستدعي المزيد من الجهود والتعاون وتتطلب صفاء النيات ومضاء الارادات كان على الجامعة العربية ان ترتفع الى مستوى المسؤوليات الملقاة عليها لكي تستطيع ولكي تلعب هذا الدور الكبير طالبنا دائما بضرورة اعادة النظر في تنظيماتها بما يجعلها قادرة على تلبية احتياجات الامة

العربية والايفاء باغراضها ومقاصدها لتصبح جامعتنا اداة فعالة لتوجيه المعارك العربية من نصر الى نصر ولقد ابتت ظروف مزاولة الجامعة العربية لاعبائها انها في حاجة الى هذه المراجعة التي يتحقق بها لمنظمتنا المزيد من الفعالية والايجابية .

ان المطامع الصهيونية تتربص بالعالم العربي دوائر السوء وان مشكلة فلسطين ما تزال منذ سنوات خلت لم تجد حلها العادل واذا كان لاستمرار هذه الكارثة من اسباب فاننا يجب ان نعترف ان للعرب ضلعا في المسؤوليات، فالخصومات المتوالية والنزعات والتراشق بالتهم احدث صدعا في وحدة الراي العربي وفي وحدة الصف العربي وامكانياتهم في معارك جانبية بدل ان تنصرف الجهود والامكانيات والهمم لترصد في مواجهة معركة العرب الاولى معركة فلسطين .

وبجانب كارثة فلسطين نجد السيطرة الاستعمارية ما تزال توطد لنفسها في الجنوب العربي كما ان التركات الثقيلة التي خلفها الاستعمار وراءه ما تزال تثقل كاهل كل بلد عربي وان تغلغل الدعاية الصهيونية في بعض اقطار افريقيا لينذرنا في المستقبل بمشاكل نحن في غنى عنها مع بعض اشقائنا الافارقة دون ان ننسى ما نعانيه جميعا كل في بلده من مشاكل التخلف وضعف التجهيز وقلة الاطارات ونقص الكفاءات .

ان معركة محاربة التخلف ايها الاخوة لا تقل خطورة واهمية عن معارك التحرير بل انها المعركة التي يجب ان نجند لها جميع امكانياتنا وطاقاتنا .

انها معركة تقوية الوجود العربي من الداخل بتقوية الانتاج وتدعيم التجهيز وبرفع مستوى حياة جماهيرنا ببناء القوة الذاتية العربية في جميع المجالات خصوصا واننا نملك رصيدا ضخما من الكفاءات والامكانيات المادية والمعنوية والثروات المحتاجة الى الاستغلال والاستثمار . واذا كان عالمنا العربي يتوفر على اقتصاديات يتكامل بعضها ببعض فان تنسيق الجهود للتنمية هو وحده الكفيل بتحقيق الازدهار الشامل الذي تطمح اليه شعوبنا ، فبالتعاون وتنسيق الجهود واحكام الخطط في الميادين الاقتصادية نستطيع ان نقترب من جميع اهدافنا في الوحدة والتقدم والتحرر والانتصار بذلك على خصومنا كل ذلك ايها الاخوة الاعزاء يطرح امام ضمائرنا وعلى عاتقنا مسؤولية جسيمة تتجاوز حدود الخلافات الجزئية وتتعدى اطار تعارض وجهات النظر وتفرض علينا مصيرنا وحتميا ان نواجه بشجاعة المؤمنين المجاهدين وبروح من الصوفية والتجرد والتضحية واقع شعوبنا وان نفتح اعيننا على الاخطار وان ندراها من الان قبل ان تستفحل ويفوت الاوان .

ولقد كان لقاؤنا في يناير من السنة الماضية فجرا صادقا لاحت معه تباشير الثقة والرجاء وكان لقاء تبددت فيه الغيوم وانزاحت نذر الشؤم والسوء التي كانت تنذر بعودة الصفوف الى الانقسام فاجتمعنا والحمد لله على كلمة سواء وافترقنا في القاهرة ثم عدنا للاجتماع في الاسكندرية ضاربين موعدا لهذا اللقاء .

لقد خرجنا من اجتماع يناير بالقاهرة بالثقة في المستقبل وفي العمل العربي المشترك بعد ان صفت النيات وخلصت الارادات ولكن ما فتىء ان تدهور الموقف العربي مرة اخرى الى ما كان عليه قبل انعقاد مؤتمر يناير . ان شعبنا العربي وهو يتتبع هذا كله يتساءل هل حقا نكون جادين حينما نعلن ان الجو العربي قد صفا ..

ان عودة العلاقات العربية الى التعكر بعد الصفاء وتبدد الغيوم يوشك ان يفقد شعوبنا ثقتها في اجتماعاتنا ويوشك ان يفقدنا نحن ايضا الامل في لقاءاتنا .

ايها الاخوة الاعزاء

ان انظار شعبنا العربي متجهة الينا وآماله منوطة بنا وليس العيب ان نختلف في طرق الاجتهاد للحصول على الراي الصائب والوصول الى اتخاذ الخطة السديدة .

لكن العيب ان نجتمع وعلى هذا المستوى وان نفترق والخلافات كما كانت او تزيد فلنتناقش لنتفق ولنتصالح لنتصافى ولكن علينا دائما ان نخرج متفقين ايدينا مشدودة الى عهد واحد وقلوبنا منوطة بميثاق واحد وها نحن اولا نعود لربط الاتصال في مؤتمر الدار البيضاء وليس لنا هنا ان نعيد قولا قلناه او ننشره صحفا طويناها اذ نحن هنا لنواصل السير من حيث ابتدانا كان هدفنا هو الاتحاد والعمل من اجل تحرير فلسطين وتقدم الامة العربية وتطورها وما نزال على ذلك موحدين القصد مؤكدين العهد .

فماذا تحقق منذ اجتماعنا في فاتح سنة 1964 .

اننا في اجتماعينا السابقين وفي اجتماعنا هذا وفي اطار جامعتنا العربية لم نجتمع قط لتخطيط خطة للعدوان او للتوسع ولكنا اجتمعنا دائما للذود عن حقوقنا للم شعثنا وللدفاع عن حريتنا ولصد المعتدين عن اراضينا اجتمعنا من اجل فلسطين

العربيــة من اجل بعث كيانها وانصاف ابنائها ورفــع الظلم الفظيــع والجرم الشنيــع الذي نزل بهــا منذ سبعــة عشر عامــا .

ولقد سرنــا خطوات موفقة فى تنفيذ مقــررات مؤتمري القمة الماضيين ، واننا لنسجل باسم المغــرب ابتهاج المغاربة وفرحتهم بهذه الخطوات .

فالمغرب اذ لبى الدعوة لمؤتمري القمــة ذهب بعزيمة صادقــة يحدوه الامل فى ان تتصافى القلوب وتخلص النيات لله وللقضيةالمشتركة المقدسة وقد اكد المغرب فى مؤتمري القمة الماضيين استعداده التــــام لبذل ما يطلب منه ، لان ذلك واجب من واجباتـــــه ووفى بكل التزاماته ، وهو سعيــد بذلك .

والمغرب الذي دعا دائما الى التكتل والى التئازر والتساند كان ولا يزال البلد العربي الذي يدرك مــــا يلقيــه على الاسرة العربية من تبعات فى هذا الميدان .

ان مسؤولية مؤتمرنــا هذا تتعدى اطار بحث قضايانا العربية والبث فيها ، الى تحديد مواقفنـــــا تجاه ما يعج به العالم من الاحداث العالمية والتاثيــر فيهـــــا .

وان جامعتنا العربية بصفتها منظمة اقليميــــة معترفا بها من طرف الامم المتحدة لها دورها فى هــذه الرقعة الجغرافية الممتدة من هنا الى الخليج وهــذا يحتم علينا ان لا تهتم فقط بالشؤون العربية وحدهــا فى الوقت الذي تموج فيه اكثر من بقعة فى هذا العالم بالاحداث التي من شأنها التاثير على السلام العالمــي او عرقلة موكب تحرر الشعوب فعلى دول جامعتنـــــا ان تبث بما لها من مسؤوليات دولية فى هذه القضايا كلها وتتخذ منها الموقف الذي يتلاءم مع التزاماتها ويفي بتعهداتهــا خصوصا ونحن على ابواب انعقــاد دورة الامــم المتحــدة .

اننا نشهد اليــوم سلسلة من الاحداث المزعجة هنا وهناك فى هذه القارة او تلكونرى ان لغة الرصاص والقنابل قد حلت فى بعض اطراف العالم محل الحوار والتفاهم واعمــال الفكر والحكمة فواجب علينـــا اذن ان نعير اهتمامنا لما يجري حولنا ، زيادة على مـــا ينبغي ان نهتم به من شؤوننا الخاصــة .

اننا نشكل قوة للسلام وللتقدم واذا كان التاريخ قد حملنا هذه الرسالة فعلينا ان نضرب المثل مـــن انفسنـــا ومن سلوكنـــا ، يجب ان يسود التعـــاون الاخوي بيننا وان نرصد كل قوانا وكل امكانياتنـــا للدفاع عن الحريــة والكرامــة والسلام .

لذلك كان من تباشير الخير لاجتماعنا هذا وقف اطلاق النار فى ربوع اليمن الشقيق تلك البلاد التــي دارت بها رحى الحرب بين الاخوة ، اننا لنحمد اللــه على نهايــة تلك المأساة وتحيي من اعماق قلبنا وباســم شعبنـــا الذي كان يتتبع تلك الحرب بقلب واحساس مهيض بالحسرة ، الاخوين جلالة الملك فيصل وفخامة الرئيس جمال عبد الناصر اللذين باتفاقهما تم حقــن الدم العربــي فى تلك الديار وعاد السلام الى تلــك الربــوع ، فتــم الاحتفاظ بامكانيات بشريــة ومادية مــا احوج العرب اليها فى معركــة التحرير والبنـــاء والتدعيــم .

ان المغرب الذي مد دائما يد الاخوة بيضـــاء طافحة بالحب لاعضاء الجامعة العربية لا يفرق بين احد من اخوتــه انه يعتبرهم بمثابة الاصابع فى الكــف الواحدة والعضو فى الجسم الواحــد .

لذلك فان امله لكبير فى ان يكون اجتماعنـــا هذا اجتماعا يلتئم فيه الشمل وتتحد حولــه الاواصــر وتتوثق الروابــط وتتحد الارادات لتتم بذلك فرحتنا الكبرى التي هي فرحــة كل عربــي فى كل قطر مــن اقطار العروبــة .

اصحــاب الجلالــة
اصحــاب الفخامــة
اصحــاب السمــو
حضــرات الســادة

باسمنا وباسم شعبنا المتطلع الى اجتماعكم هذا واسمح لنفسي ان ارحب بكم باسم هذا الجنـــــاح المغربــي من العالم العربــي الذي لا شك فى اني اعرب عن احساسه والذي ينعقد فوق ارضه لاول مـــرة فى التاريــخ اجتماع عربــي فى هذا المستوى فيحيــي بذلك الذكرى العشرين لميلاد جامعتنــا والذي يبتهج اليــوم وهو يرى الحواجز المصطنعــة بينه وبينكــم قد انهارت لانقل لكم عبارات وده واخوته الصادقــة راجيا لكم مقاما طيبا فى ارضكم هذه وبين شعبكــم هذا وان تحملوا الــى شعوبكم اجمل الذكريات عـــن المغرب الذي سيعتز بهذا اللقــاء .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد ان هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ، صدق الله العظيــم والســلام عليكـم ورحمة الله .

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر



بسم الله نبدأ اعمال الدورة الثالثة لمجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية متوجهين الى الله عز وجل ان يكون معنا عونا وتوفيقا ، حتى نستطيع تحمل امانة المهمة والمرحلة التي اجتمعنا عليها وفى ظلالها وقبل ان نستطرد ايها الاخوة فاني اريد باسمكم وتعبيرا عنا جميعا ان اقدم اصدق الشكر واخلصه الى صديقنا العزيز الملك الحسن الثاني على دعوته الكريمة لعقد هذا الاجتماع فى بلده العظيم وعلى الجهد الكبير الذي بذله شخصيا وبذلته حكومته المغرب فى تحقيق هذا المؤتمر وتوفير كل امكانيات العون له ماديا ومعنويا .

واننا لنشعر معا هنا فى هذه القاعة بروح الشعب المغربي البطل ، الذي استقبلنا جميعا بكل حفاوته وحماسته ومنحنا بذلك فضلا عن المحبة والود تأكيدا متجددا فى الثقة بالنفس وفى الهدف . وما دمت ايها الاخوة بصدد الاعتراف لكل صاحب فضل بفضله فلابد ان اشير بالتقدير والعرفان لاهل الدار البيضاء هذه المدينة العريقة الجميلة بطلة المغرب العربي على المحيط الاطلسي الذين استضافوا هذا المؤتمر بينهم، كذلك اشير الى عمالة الدار البيضاء التي فتحت لنا هذا المكان ، وما فيه من تسهيلات عديدة ليكون بيتنا لاجتماعنا . ثم اشير الى هيئة تنظيم المؤتمر

ونجاحها الباهر الذي يشهد به كل ما حولنا ، ويبقى ان اعبر عن رضاكم بالعمل الممتاز الذي انجزه وزراء الخارجية تمهيدا لاجتماعنا الان . واعداداته حتى يتمكن هذا الاجتماع كما اسلفت من ان يتحمل بكفاءة وجدارة المهمة والمرحلة التي اجتمع عليها وفي ظلالها فانه من الواضح ان اهم ما يواجهنا ويواجه غيرنا باستفاضة عن المهمة او عن المرحلة . ان المهمة باختصار هي تحرير فلسطين ضمن الحركة الشاملة للامة العربية من اجل تحررها السياسي والاجتماعي والاقتصادي واني لاود ان اضغط بالتأكيد على انه لا يمكن الفصل بين تحرير فلسطين وبين الحركة الشاملة للامة العربية .

واذا كانت مشكلة تحويل مياه نهر الاردن هي الدافع المباشر الذي حدا بي الى ان اوجه من بور سعيد الدعوة الاولى لاجتماعات القمة العربية فلا ينبغي لاي فرع من الفروع ان يشغلنا عن الابعاد الاصلية والحقيقية للمهمة التي تنتظرنا .

وفيما يتعلق بالمرحلة التي نباشر مهمتنا في ظلالها فانه من الواضح ان اهم ما يواجهنا ويواجه غيرنا من الامم في هذه الحقبة المعاصرة من وجود الاستعمار باشكاله القديمة والجديدة وفي الواقع فان اسرائيل الى جانب ما تحتويه من عدوان عنصري ، هي ايضا عدوان استعماري بل انه لولا العدوان الاستعماري ما تمكن العدوان العنصري من الارهاب الذي اغتصب به ما اغتصب من الارض الفلسطينية العربية وذلك يعني اننا نوجه . فاننا في ظروف المرحلة ضرورة تبين جبهة العدو على امتداداها ومهما كانت اساليب التخفي والتمويه . وينبغي ان تدرك اننا لا نمارس مواجهتنا للمهمة وللمرحلة في فراغ ، وانما نحن نتحرك وسط ظروف طبيعية وانسانية وتاريخية لها احكامها ، ولها مصاعبها وبدون ما رغبة في سبق مناقشاتنا هنا فنحن نذكر انه منذ اجتماعنا التاريخي في الاسكندرية في مثل هذا الشهر من العام الماضي جدت علينا تطورات وطوارىء لابد ان نعطيها حقها من التفكير والاهتمام على انه من الانصاف ان اضيف الى ان هذه الفترة ايضا كان لها نصيبها من المؤتمرات الايجابية ومن ابرز هذه المؤتمرات الايجابية ان هذا المؤتمر عقد في زمانه ومكانه .

وليس هذا في رايي بالشيء القليل ، كذلك فان انعقاد هذا المؤتمر هنا في المغرب العربي وفي هذه المدينة المطلة على الاطلس هو امر له دلالته فيما يشير اليه من وحدة العالم العربي . من الخليج الى المحيط

اضيف ايضا ايجابية ما توصلنا اليه مع اخواننا في المملكة العربية السعودية في هدف توفيرنا توطيد السلام في اليمن لكي يستطيع الشعب اليمني ان يدفع عملية بناء وطنه وتعويض التخلف الذي فرض عليه في جو تمكنه ارادته الحرة ان تصله الى حدود القرن العشرين ليستطيع الاسهام فعليا في الحركة الشاملة لامتنا العربية . وعلى هذه الناحية اشير ايضا الى جهود القيادة العربية الموحدة وقيامها بدورها المطلوب واشير ايضا الى جهود ودور هيئة استغلال مياه نهر الاردن والى جهودودورمنظمة التحرير الفلسطينية والى الرقم المادي الذي تقول باننا دفعنا فعلا حتى الان مبلغ 49 مليون جنيه استرليني لاقامة وحماية المشروعات العربية لكنني انبه على الفور الى ان هذا كله لا يعتبر كافيا ، لكنني اضيف انه اذا كان الواقع محدودا فان الممكن الى حدود ، وفي الحقيقة ايها الاخوة انه برغم الظروف والاخطار فان الامة العربية لا تملك بديلا غير النصر وليس لها غير النصر من سبيل وانها لتملك اسلحة النصر وتملك ارادة ان تنتصر لديها الطاقة البشرية الخلاقة ، ولديها مواردها وعملها المقتدر ، ولديها الموقع الجغرافي الفريد ، ولديها التأثير المعنوي والحضاري الغلاب وعليها الان ان تحسن حيز كل ما لديها وان تحسن تحريره وان تحسن الدفاع به عن قضاياها . وهذه مهمتكم المجيدة انتم الذين وضعتكم شعوب الامة العربية في موضع القيادة وشرفها .

ايها الاخوة ان هذه القاعة تذكرني باجتماع حضرته فيها مشاركة في اعمال مؤتمر الدار البيضاء سنة 1961 الذي كان نواة خدمة للعمل الافريقي ولعل الملك الحسن الثاني يذكر الليالي الطويلة التي قضيناها هنا بالسهر نحقق ترابط النضال العربي والنضال الافريقي ونشرح قضية فلسطين لاول مرة امام ساسة افريقيا في اطارها الصحيح باعتبارها شكلا من اشكال الاستعمار الامر الذي حدا بعدد من ابرز الزعماء الافريقيين واكثرهم نفوذا الى ان يضعوا توقيعهم معنا على القرار الذي يدين اسرائيل باعتبارها قاعدة للعدوان واداة من ادوات الاستعمار الجديد . واذكر هنا بوفاء فعل صديقنا المغفور له الملك محمد الخامس ذلك المجاهد العربي الذي ظل يحمل اللواء بشجاعة حتى اللحظة الاخيرة من حياته دفاعا عن الحرية العربية والحرية الافريقية واذا كنا اليوم نجتمع في اطار عربي فاني اود ان اؤكد ان مجالات النضال متشابهة وبالتالي فان الارتباط المصيري بيننا واحد مؤكد واننا لنشعر انه من بين

محاولات الاستعمار المتواصلة ضدنا هو ايقاع الانفصال بين مجالات نضالنا ولسوف يزداد التركيز على لعبة الانفصال ، كما نرى البوادر مما يجري الان في السودان في المؤامرة لاحكام الفرقة بين الشمال والجنوب تلك مسألة لابد ان نتنبه لها وان نصمم على وضعها في مكانها الصحيح .

ان خمسا من الدول العربية تملا الشمال الافريقي كله ولا ينبغي ان نسمح مهما كان الثمن للطامعين بان يقسموا القارات على هوى مطامعهم لكي يسودوا ويحكموا ولكي يمهدوا الارض لسيطرتهم ولتسلل ادواتهم الاستعمارية وبينها اسرائيل .

ايها الاخوة بل اني لاذهب الى ابعد من حدود افريقيا واسيا لاقول بان الحركة الشاملة للامة العربية لا تجري في كوكب ءاخر غير هذه الارض وبالتالي فنحن جزء من عالمنا ونحن قوة من قواه الفاعلة والمؤثرة وان كل ما يجري من حولنا يعنينا ويتصل بنا ولا تملك ان نحصر اهتمامنا على ما يجري فوق ارضنا وحتى لو قمنا بذلك فليس من ضمان يشد عنا ضروب فعل الاحداث العالمية وعواقبها ونحن لا نستطيع ولا نملك هنا ان نتجاهل الاصطدام الدامي والمؤسف بالنسبة لنا جميعا بين الهند والباكستان كذلك لا نستطيع ولا نملك هنا ان نتجاهل ما يجري في فييتنام ومشاكل نزع السلاح ومشاكل التنمية والتجارة كلها مشاكل تؤثر علينا مباشرة ولا نستطيع ولا نملك ايضا ان نقابلها بالتجاهل نحن جزء من هذا العالم ولا نستطيع ولا نملك ان ننساه لاننا لا نستطيع ولا نملك ان نتحمل نسيانه لنا وهو ما نتعرض له فعلا اذا جازفنا وحبسنا انفسنا في اقفاصنا .

ايها الاخوة ارجوكم عذرا اذا كنت قد اطلت لكنني اردت ان اطل معكم على الافق ثم ادعو الله ان يبارك جهدنا وان يحقق به امل امته وان يرفعه الى مستوى مطالبنا الحقة والعادلة والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب الأمين العام للجامعة العربيّة
السيّد عبد الخالق حسّونة



سيدي الرئيـــس

اصحاب الجلالة والفخامة والسمو

باسم جامعة الدول العربية وباسمي يسعدنـي ان ارحب بلقائكم الكبير فى الدار البيضاء تعبيرا عـن وحدة امتنـا ديارا وشعوبـا ومبادىء واهداف .

كما يسرني ان اعرب لجلالة الملك الحســن الثاني ولشعب المملكة المغربية وحكومتها عن اصـدق العرفان بالحفاوة الصادقة والمعاني الاخوية التي اشكرها على الاجتماع الثالث للملوك والرؤساء العرب وحيـن نلتقي فى هذه الدار او فى اي مكان بالمملكة المغربية بل فى الوطن العربي الكبير حقا علينا ان نذكر المناضل البطل المغفور له الملك محمد الخامس والمبادىء القومية التي آمن بها لخير شعبه وامته العربية وما اضفاه على الجامعة من تكريم حين التقى مجلسها فى هذه الدار لست سنوات خلت طيب الله ثراه وابقى مبادئـــه مضيئة لسبيل المؤمنين والعامليـن .

السيد الرئيس

اصحاب الجلالة والفخامة والسمو

ان اعمال هذا المجلس بالغة الخطورة حاتمة النتائج على مسيرة العمل العربي المشترك الذي اجتمعتم على تقرير خطته في العام الماضي مرتين.

واني لارى في افق هذا الاجتماع اعلاما تضيء لنا سبيل الامل، في نتائج اقوى فعالية واعز مكانة. واول هذه الاعلام التقاؤنا في هذه المدينة العربية السمحاء على المحيط الى الخليج. والثاني توقيع اتفاق جدة منذ عشرين يوما بين جلالة الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر اتفاق سداه الروابط الاخوية والمصالح القومية ومن اهدافه على مشارق هذا المؤتمر تحقيق انجازات اوسع وابعد اثرا.

والثالث الحقيقة المتجددة الفرائض على ان المصالح والحرية العربية واحد لا تتجزا.

والرابع هذه المطامع الصهيونية الاستعمارية المشتركة واعمال العدوان المتزايدة علينا والمؤامرات التي تدبر بلا هوادة ضد وحدة العمل العربي وما يستوجبه كل ذلك من دعم تضامننا وتصفية جونا من جميع الشوائب وكفالة المزيد من الفعالية للخطة العربية المقررة الذي باركتها الامة العربية جمعاء وعلقت عليها اعظم الامال.

سيدي الرئيس اصحاب الجلالة والفخامة والسمو ان جدول اعمال المجلس حافل بالمسائل ذات الاهمية القصوى لقد حرصت الامانة العامة على ان تعرض الموقف بجلاء وصراحة وان امتكم لتأمل كل الخير في اجتماعكم. وا نالنضال القومي لحرية فلسطين والجنوب المحتل وعمان والخليج العربي ولبناء التقدم الاقتصادي والاجتماعي للوطن العربي اجمع لينتظر المزيد من دعمكم وتأييدكم وان العالم كله على اختلاف منازعه ليرقب نتائج هذا الاجتماع، وان اعداء الحرية والتقدم والوحدة العربية ليمنون انفسهم باطل الاماني وانتم اقوى من يزهق الباطل، وانتم خير من يجيب داعي القومية ويعطي كلمة الحرية. والله يرعاكم ويحفظكم ذخرا لوطنكم النبيل ولامتكم الخالدة وعونا للبشرية في نضالها لبناء السلام العالمي على قواعد العدل الدولي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



صورة فريدة تحمل اكثر من معنى ..
ملوك ورؤساء الدول العربية في طريقهم الى المسجد لاداء صلاة الجمعة يركبون سيارة واحدة

خطاب صاحب الجلالة الحسن الثاني

في انتهاء المؤتمر

الحمد لله
والصلاة والسلام على رسول الله
اصحاب الجلالة
اصحاب الفخامة
اصحاب السمو
حضرات السادة

لقد كان لكلمات الشكر والثناء التي تكرم سيادة الرئيس ففاه بها تقديرا لشعبنا واشادة لجهدنا اطيب الوقع واعمق الاثر في نفسنا وانا لعاجزون عن التعبير عن مشاعر الفرح والابتهاج التي يحس بها كل فرد من افراد شعبنا بهذا اللقاء العربي التاريخي وسيبقى شعبنا معتزا وفخورا بهذه الايام الخالدة المجيدة التي اجتمع فيها في احدى حواضره الزاهرة قادة الامة العربية من الخليج الى المحيط .

انا وقد اوشك هذا الجمع الميمون على التمام لنحمد الله جل وعلا ان حقق لنا ما املنا لهذا المؤتمر يوم افتتاحه ، فقد طبعت مداولاته بطابع الصراحة والجدية والواقعية وهيمن على جوه روح الحوار الهادف النزيه . واستهدفت مناقشاته قضايا العروبة والدفاع عن مصالحها فكانت القرارات التي اسفر عنها المؤتمر في مستوى الاحداث التي يعيشها عالمنا العربي محققة لامال المواطنين العرب الذين كانوا يتطلعون الى اتخاذ قرارات من النوع الذي اتخذناه تنقى الجو العربي وتؤكد عرى التضامن والتعاون بين دوله وشعوبه وتوحد مناهجهم وخططهم لتحقيق الاهداف المنشودة في الحرية والعزة والكرامة .

واذا كان لنا ان نستخلص بعض نتائج المؤتمر الايجابية التي تشكل عناصر نجاحه فانا لا نغفل في الطليعة ما تميز به من ارادة وتصميم على بعث الثقة المتبادلة بين دوله تلك الثقة التي لابد منها للانطلاق نحو تعاون افيد واشمل وتضامن اقوى وامتن .

كما لا نغفل ان هذا المؤتمر قد وضع الاسس العلمية لدعم التضامن العربي دعما صحيحا في جميع المجالات ايمانا بان قوتنا الحقة تكمن في هذا التضامن عن طريق تيسير اسبابه وازاحة كل ما يعرقل قيامه وتدعيمه فالتقدم العربي وانطلاقة العرب نحو غد افضل مرهونان بهذا التضامن اذ ان خصومنا يستمدون عناصر وجودهم واسباب تطاولهم علينا من تخاذلنا وتشتت صفوفنا ، لذلك نامل ان يكون مؤتمرنا هذا بداية لعهد تضافر الجهود وتعبئة القوى لتسخير امكانياتنا في معركة التقدم والبناء وتحرير فلسطين والاجزاء المغتصبة من وطننا العربي والنضال ضد التخلف الذي يجب ان نخوضه ونتعاون وتنسيق لصالح شعوبنا ولتطوير مستقبلنا .

ولئن كان من طبع الفرد العربي التفاؤل والتيامن فانا لنحس ونحن نكاد نفترق في انتظار لقاء جديد بايمان عميق بحسن مستقبل العروبة ويقين مكين بنجاح قضايا شعوبها واعتقاد راسخ باننا سائرون نحو مستقبل اسعد وافضل يكون غدنا احسن من يومنا وامسنا ، وان من يمن الطالع ان تجعل العناية الالهية نهاية هذا الاجتماع في يوم الجمعة وهو يوم يرمز الى الاجتماع والاتحاد والتعاطف والسماح .

انا نسال الله العلي القدير ان يوفق قادة الامة العربية وشعوبها الى الخير والرشاد ويجمع كلمتنا على الحق والبر والتقوى حتى نستانف اداء رسالة العروبة التاريخية ونكون خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتومن بالله .

والسلام عليكم ورحمة الله

قرارات الملوك والرؤساء لدول الجامعة العربية في دورة اجتماعهم الثالث في الدار البيضاء من 13 إلى 17 شتنبر سنة 1965

اولا : تقرير مجلس وزراء الخارجية : نظر مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية في تقرير مجلس وزراء الخارجية عن اجتماعاته من 9 حتى 13 شتنبر ايلول 1965 . ووافق عليه .

ثانيا : تقرير الامين العام عن الموقف العربي والدولي . احاط المجلس علما بما تضمنه تقرير الامين العام عن الموقف العربي والدولي .

ثالثا : دعم التضامن العربي ، ووافق المجلس على ميثاق التضامن العربي ووقعه الملوك والرؤساء العرب في يوم 19 جمادى الاولى من عام 1385 ، الموافق 15 شتنبر ايلول 1965 . واوضعوه الامانة العامة بعد ان تسلموا صدرا منه واتفقوا على ان يصبح نافذا ابتداء من اليوم وهذا نصه :

ايمانا بضرورة التضامن بين الدول العربية ودعم الصف العربي لمناهضة المؤامرات الاستعمارية والصهيونية التي تهدد الكيان العربي ويقينا منا بالحاجة القصوى لتوفير الطاقات العربية تمهيدا لتعبئة القوى لمعركة الكفاح لتحرير فلسطين وايمانا بالحاجة الى الانسجام والوفاق بين الدول العربية لكي يتسنى لها ان تلعب دورا فعالا في اقرار السلام ورغبة منا في توفير جو يسوده روح الود والاخاء بين البلاد العربية حتى لا يتمكن الاعداء من ان يفتوا في عضد الامة العربية . فقد التزمنا نحن ملوك ورؤساء الدول العربية في مؤتمر القمة المنعقد بالدار البيضاء بين 13 و17 شتنبر 1695 . ما يلي :

اولا – العمل على تحقيق التضامن في معالجة القضايا العربية وخاصة قضية تحرير فلسطين .

ثانيا : احترام سيادة كل من الدول العربية ومراعاة النظم السائدة فيها . وفقا لدساتيرها وقوانينها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية .

ثالثا – مراعاة قواعد اللجوء السياسي وادابه وفقا لمبادىء القانون والعرف الدولي .

رابعا – استخدام الصحف والاذاعات وغيرها من وسائل النشر والاعلام لخدمة القضية العربية .

خامسا – مراعاة حدود النقاش الموضوعي والنقد البناء في معالجة القضايا العربية ووقف حملات التفكيك والمؤامرة عن طريق الصحافة والاذاعة وغيرها من وسائل النشر .

سادسا – مراجعة قوانين الصحافة في كل بلاد عربي لفرض في التشريعات اللازمة ضدجميع اي قول او عمل يحرف عن حدود النقاش الموضوع والنقد البناء من شانه الاساءة الى العلاقات بين الدول العربية او التعريض بطريقمباشراو غير مباشر بالتجريح لرؤساء الدول العربية .

سابعا – استعراض الاوضاع الدولية الراهنة نظر المجلس تقرير مجلس وزراء الخارجية بشأن تحديد السياسة العربية في المجال الدولي طبقا لما يتضمنه البيان السابق عن دورة الاجتماع الثالث للملوك والرؤساء العرب ووافق عليه .

ثامنا – الجانب الفني نظر المجلس تقرير الامين بشأن سير العمل في المشروع العربي الموحد لاستثمار مياه نهر الاردن وروافده وتقرير مجلس ادارة هيئة المشروع في اجتماع يوم 26 اغسطس اب لعام 1965 وقرر ما يلي :

1 – ان تستمر الدول المعنية فى اعمال المشروع العربي الموحد باستثمار المياه لنهر الاردن وروافده وفقا للخطة المرسومة وطبقا لما تقرر بشأن الحماية العسكرية المطلوبة .

2 – تكليف مجلس ادارة هيئة المشروع بنقل بعض الاعتمادات المرصودة من قسم الى قسم طبقا للبرنامج الزمني الجديد الذي يضعه على اساس سير العمل وفى ضوء ما يتوفر من الحماية بالمشروع فى اقسامه المختلفة .

3 – ارجاع النظر فى المبالغ الاضافية المفروضة للقسمين الاردني والسوري الى الدورة المقبلة وذلك حتى يتم صرف المبالغ المتوفرة لدى الهيئة فى المرحلة الحالية .

4 – ان يبحث مجلس ادارة الهيئة مع السلطات اللبنانية المختصة موضوع القرض المطلوب لمشروع سد النبضية وما يمكن ان تساهم به الهيئة فى هذا القرض من المبالغ المخصصة للقسم اللبناني .

5 – اجتماع مجلس رؤساء الوزارات ، اعاد المجلس النظر فى النظام المقرر فى اجتماع مجلس رؤساء الدول الاعضاء وقرر ان يكون اجتماعه فى شهر مارس اذار من كل عام .

6 – الكيان الفلسطيني درس المجلس المطالب التي تقدمت به منظمة التحرير الفلسطينية وخاصة بتوفير الحرية الكاملة للتنظيم الشعبي لابناء فلسطين ولاجراء انتخابات عامة مباشرة للمجلس الوطني الفلسطيني ورأى المجلس ان تقوم المنظمة بالاتصال بالدول الاعضاء المعنية للتفاهم على الاجراءات اللازمة .

7 – جيش التحرير الفلسطيني قرر المجلس تكليف القيادة العربية الموحدة بالاشتراك مع قيادة جيش التحرير الفلسطيني بالسير فى انشاء القوات الفلسطينية المنصوص عليها فى المرحلة الثانية من خطة الانشاء .

بيان مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية في دورة اجتماعه الثالث بالدار البيضاء

ان مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية في دورة اجتماعه الثالث بدار العمالة بالدار البيضاء منذ التاسع عشر حتى الحادي والعشرين من جمادى الاولى لعام 1385، الموافق لثالث عشر حتى السابع عشر من شتنبر ايلول سنة 1965. حيث التقى الملك حسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية والسيد الهواري بومدين رئيس مجلس الثورة ورئيس مجلس وزراء الجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية والرئيس اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة للجمهورية العربية السورية والرئيس جمال عبد الناصر محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية والملك فيصل ءال سعود ملك المملكة العربية السعودية والسيد الفريق محمد امين الحافظ رئيس مجلس الرئاسة للجمهورية العربية السورية والرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة والرئيس المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية والامير عبد الله السالم الصباح امير دولة الكويت والرئيس شارل حلو رئيس الجمهورية اللبنانية والامير الحسن الرضى نائب جلالة ملك المملكة الليبية والملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية والسيد احمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قد عني في بداية الاجتماع ببحث موضوع التضامن العربي القاعدة الاساسية لوحدة العمل المشترك للتحرر من الاستعمار والصهيونية وجميع مظاهر السيطرة الاجنبية، ودعم التقدم العربي اقتصاديا واجتماعيا.

والتزم الملوك والرؤساء العرب بميثاق التضامن العربي تأكيدا لوحدة المبادىء والاهداف وتوحيدا لجميع الجهود والطاقات العربية لخدمة القضايا الاساسية والمصالح القومية العليا. كما التزموا بالحفاظ على وحدة التراب الوطني للاقطار العربية وهم يستنكرون كل محاولة استعمارية وانفصالية ترمي الى انقاص بعض اطرافها وقرروا مؤازرة الاقطار العربية بكل الطاقات ودرء كل محاولة من هذا النوع. وقد عالج المجلس الجوانب المختلفة لقضية فلسطين واتفق على الخطط العربية في سبيل تحريرها. ودعم منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير كما اقر الخطة العربية الموحدة للدفاع عن قضية فلسطين في الامم المتحدة والمحافل الدولية ومقاومة المحاولات الرامية الى تصفية قضية اللاجئين واكد المجلس مساندة النضال الوطني للجنوب المحتل والتمسك بتحرير هذه المنطقة العربية وتطبيق قرارات الامم المتحدة. كما اكد تأييد نضال الشعب العماني من اجل الحرية. ومساعدة الخليج العربي في سعيه للتحرر والتقدم. وقرر الملوك والرؤساء العرب دعم القيادة العربية الموحدة والمضي في اعمال استثمار مياه نهر الاردن وروافده طبقا للخطة المرسومة وصدورا عن تجارب النضال العربي التاريخي للتحرر من الصهيونية والاستعمار بشتى صوره وتطبيقا للمبادىء التي التزمت بها الدول العربية في ميثاق جامعة الدول العربية والامم المتحدة ومقررات باندونغ

ومؤتمر بلغراد والقاهرة للبلاد غير المنحازة والمؤتمر الدولي للتنمية والتجارة وايمانا بالسلام القائم على العدل . وبضرورة تنمية التعاون الدولي اقتصاديا واجتماعيا ونهوضا بالمسؤولية الدولية المحتومة فى عالم اليوم لتطوراتها الواسعة ونظمه البينه يؤكد الملوك والرؤساء العرب ان قضايا الحرية وحدة لا تجزا وان العدوان على اي منها عدوان على سائرها ويدعون مجددا الى التخلي عن سياسة القوة والى حل المشاكل الدولية بالوسائل السلمية ، واحترام حق تقرير المصير لذا فهم يعربون عن شديد القلق للنزاع المسلح بين الهند والباكستان ويناشدون الدولتين المبادرة الى وقف القتال والى حسم النزاع بالطرق السلمية . طبقا لمبادىء الامم المتحدة وقراراتها كما يعربون عن بالغ القلق للموقف الخطير فى فيتنام ويدعون الى حل المشكلة وفق اتفاق جنيف لعام 1954 . وقد اتفقوا على ان التعاون الافريقي الاسيوي قاعدة ثابتة للسياسة العربية وعلى ان تنهج حكوماتهم نهجا موحدا فى هذا المجال وان تعمل مع حكومة الجزائر لعقد المؤتمر الاسيوي الافريقي الثاني فى الخامس من نوفمبر تشرين الثاني المقبل بالجزائر ولانجاح اعماله لخير القارتين ولخير البشرية جمعاء .

وقد استعرض الملوك والرؤساء العرب الموقف فى القارة الافريقية واشادوا بالدور الايجابي الذي تنهض به منظمة الوحدة الافريقية لتحرير القارة وتقدمها وهم يؤيدون كفاح الشعوب فى الحرية فى انكولا وموزامبيق وغينيا المسماة بالبرتغالية . ويستنكرون التمييز العنصري فى جنوب افريقيا ويدينون المحاولات الهادفة الى اعلان استقلال روديسيا الجنوبية على وجه تنفرد فيه الاقلية بالحكم ، ويؤيدون الجهود التي تبذلها منظمة الوحدة الافريقية لحل المشكلة ويتضامنون فى مقاومة محاولات الاستعمار والصهيونية من التسلل الى افريقيا واسيا وهم يؤيدون نزع السلاح ومنع انتشار الاسلحة النووية ويطالبون بتصفية القواعد الاجنبية التي تهدد امن المنطقة العربية وسلام العالم .

ويؤكدون ضرورة اقامة علاقات اقتصادية عاجلة بين الدول لتحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي ويعربون عن ارتياحهم لانفراج الأزمة التي واجهت الامم المتحدة وعن اقتناعهم بالعمل على تقوية المنظمة العالمية بجميع الوسائل خدمة للسلام والتعاون الدولي وتلبية لدعوة السيد الهواري بومدين رئيس مجلس الثورة ورئيس مجلس الوزراء للجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية قرر المجلس عقد دورته المقبلة فى شهر شتنبر ايلول عام 1966 . بالجزائر .

نص البلاغ المشترك الصادر عقب المحادثات الرسمية التي جرت بين

جلالة الملك والرئيس جمال عبد الناصر

في زيارته الرسمية للمغرب



قام الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة بزيارة ميمونة للمغرب بدعوة من جلالة الملك المعظم الحسن الثاني .

وقد تمت زيارة الضيف الكبير للمغرب عقب انتهاء مؤتمر القمة العربي الثالث ، وذلك فيما بين 18 و23 سبتمبر 1965 .

وقد عمت هذه الزيارة الاخوية ، بين بطلي العروبة ، علاقات الود والصداقة بين الشعبين العظيمين ، كما مكنت الرئيس جمال عبد الناصر من ان يرى الشعب المغربي العظيم في نواحيه المختلفة ، فقد رأى فيه العاطفة المشبوبة ، والحماس المتقد ، والشجاعة والبطولة ، ورأى فيه الشعب البطل القوي الذي يعمل على التقدم والازدهار ، وعلى تدعيم حريته واستقلاله وعلى بناء وطنه المغرب ، ورفعة شأن العروبة تحت القيادة الرشيدة لمولانا صاحب الجلالة الملك المعظم نصره الله .

وقد وجه الرئيس جمال عبد الناصر الدعوة الى جلالة الحسن الثاني لزيارة الجمهورية العربية المتحدة فتقبلها جلالة الملك بالشكر .

وعقب المحادثات بين البطلين العظيمين صدر بلاغ مشترك عبر عن اتفاق شامل حول جميع القضايا ، كما عبر عن انسجام تام في مختلف وجهات النظر ...

قام الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة بزيارة للمغرب عقب انتهاء مؤتمر القمة العربي الثالث وذلك فيما بين 18–23 سبتمبر 1965 بدعوة من جلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية .

وخلال هذه الفترة زار الرئيس جمال عبد الناصر مدن الدار البيضاء والمحمدية ومكناس وايفران فاستقبل سيادته في كل مكان حل به بحفاوة بالغة وعبر المغرب ملكا وحكومة وشعبا عن مشاعر الاخوة العميقة وروابط الود النابعة من صلات الدم والتاريخ والمصير المشترك التي تربط بين المملكة المغربية والجمهورية العربية المتحدة .

واتاحت هذه الزيارة الفرصة للرئيس جمال عبد الناصر للوقوف على بعض معالم الحضارة العربية العريقة التي ازدهرت فوق ارض المغرب وعلى يد ابنائه في العصور السالفة ..

كما اطلع سيادته على بعض ما انجزه المغرب بقيادة الملك الحسن الثاني من اعمال وما حققه من تقدم في مختلف المجالات لتثبيت دعائم الاستقلال ولرفع المستوى الاجتماعي لابناء الشعب المغربي ، ولمس سيادته تصميم المغرب ملكا وشعبا على احراز المزيد من النجاح في مجال التنمية تحقيقا للرفاهية والازدهار

وقد اكدت زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للمملكة المغربية التحام المشرق العربي بالمغرب العربي للسير معا في طريق الامل العربي الكبير نحو التحرر والوحدة .

كما اكدت هذه الزيارة ان توالي اللقاءات بين رئيسي الدولتين يزيد في قوة التعاون المشترك ويسهم في قدوة العمل العربي الموحد .

وقد عقدت خلال هذه الزيارة اجتماعات بين الرئيس جمال عبد الناصر وجلالة الملك الحسن الثاني استئنافا للمحادثات التي دارت بينهما في القاهرة اثناء زيارة جلالته للجمهورية العربية المتحدة في شهر مارس 1965

واشترك في هذه المحادثات من الجمهورية العربية المتحدة بجانب الرئيس جمال عبد الناصر :

السيد زكرياء محيي الدين نائب رئيس الجمهورية السيد انور السادات رئيس مجلس الامة – السيد الدكتور محمود فوزي نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية – السيد حسن فهمي عبد المجيد سفير الجمهورية العربية المتحدة في المملكة المغربية – السيد عبد المجيد فريد سكرتير عام لرئاسة الجمهورية .

كما اشترك فيها من المملكة المغربية بجانب جلالة الملك الحسن الثاني :

صاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله – والسيد المحمدي المدير العام للديوان الملكي والسيد احمد الطيبي بنهيمة وزير الشؤون الخارجية والسيد احمد بلافريج الوزير الممثل الشخصي لجلالة الملك والسيد الحاج محمد اباحتيني وزير الشؤون الادارية الامين العام للحكومة والسيد محمد العربي العلوي سفير المملكة المغربية بالجمهورية العربية المتحدة.

واستعرض رئيسا الدولتين العلاقات القائمة بين البلدين في جميع الميادين والفائدة المشتركة التي تعود على الشعبين الشقيقين بتدعيم اوجه التعاون المتبادل في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية والفنية واتفقا على ضرورة العمل على تقوية هذه العلاقات الودية وتنمية التعاون المتبادل ايمانا برابطة الاخوة والصداقة بين البلدين .

كما التقى رايهما على اهمية الاتصال المباشر والتشاور المستمر بين البلدين وعلى كافة المستويات تأكيدا للتعاون الاخوي المثمر .

واستقر رايهما على مضاعفة الجهود لتنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية والفنية بين البلدين ، وقد قررا تحقيقا لهذه الغاية تبادل الزيارات على مختلف المستويات وتنفيذا لهذا القرار سيقوم وفد مغربي برئاسة مسؤول عن الاقتصاد قبل نهاية هذه السنة بزيارة الجمهورية العربية المتحدة ، كما سيقوم وفد من الجمهورية العربية المتحدة برئاسة الوزير المسؤول عن الاقتصاد بزيارة المملكة المغربية ، وذلك لدراسة الامكانيات الاقتصادية والتجارية في كل من البلدين قصد توسيع نطاق التبادل بينهما .

وبحث جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس جمال عبد الناصر نتائج مؤتمر القمة العربي الثالث فاستبانت لهما الفوائد الايجابية للمؤتمرات التي تعقد على مستوى القمة بين الملوك والرؤساء العرب باعتبارها وسيلة فعالة للعمل المشترك وطريق الى تحقيق الوحدة التي تتطلع اليها الشعوب العربية والى تحرير كل جزء من الوطن العربي الممتد من المحيط الى الخليج .

ويؤكد الرئيس جمال عبد الناصر وجلالة الملك الحسن الثاني من جديد استمساكهما وتأييدهما لحقوق الشعب العربي الفلسطيني فى بلاده وتحريره من الاستعمار والصهيونية كما يؤكد ان مؤازرتهما لمنظمة التحرير الفلسطينية لبلوغ هذا الهدف كما استعرضا الوضع فى البلاد العربية واتفقا على مواصلة تأييدهما لحركات التحرر فى ارجاء العالم العربي لتحقيق الحرية الكاملة وللتخلص من السيطرة الخارجية والاستغلال الاجنبي ويوجهان التحية والتقدير للكفاح البطولي الذي يخوضه الشعب العربي فى عدن والجنوب المحتل وعمان .

وتبادل جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس جمال عبد الناصر وجهة النظر فى الوضع الدولي والدور الفعال الذي اسفرت عنه سياسة عدم الانحياز للاسهام فى اقرار السلام العالمي بين الشعوب وتجنيبها ويلات الحروب واتفقا على مواصلة اسناد منظمة الوحدة الافريقية لتتمكن من اداء رسالتها لاقرار الوحدة بين شعوب القارة الافريقية وتحريرها من الاستعمار بكافة اشكاله واستقر عزمها على بذل كل المسعى لانجاح مؤتمر رؤساء الدول الافريقية المقرر عقده فى اكرا وايمانا منهما باهمية التضامن بين الشعوب الافريقية والاسيوية يؤكدان مواصلة جهودهما لانجاح المؤتمر الافريقي الاسيوي المقرر عقده بالجزائر فى الخامس من شهر نوفمبر المقبل ويعبر الرئيس جمال عبد الناصر وجلالة الملك الحسن الثاني عن ايمانهما العميق بميثاق الامم المتحدة لحل المشاكل العالمية وتدعيم التعاون على مواصلة الجهود مع جميع الدول لتقوية هذه المنظمة العالمية التي لا بديل لها وينادي رئيسا الدولتين بضرورة بذل الجهود المخلصة لتحريم استخدام الاسلحة الذرية وخطوة فى طريق نزع السلاح الشامل وتحرير العالم من فزع الفناء والدمار .

وقد اعرب الرئيس جمال عبد الناصر عن شكره وتقديره البالغين لجلالة الملك الحسن الثاني وحكومته وشعبه . كما عبر سيادته عن اعتزازه بالحفاوة الاخوية البالغة التي قوبل بها من جلالته ومن الشعب المغربي فى كل مكان .

ووجه الرئيس جمال عبد الناصر الدعوة الى جلالة الملك الحسن الثاني لزيارة الجمهورية العربية المتحدة فتقبلها جلالته بالشكر ووعد بتلبيتها توثيقا لعرى الاخوة التي تربط بين البلدين الشقيقين .

نص البلاغ المشترك الصادر عقب المحادثات الرسمية التي جرت بين

جلالة الملك وفخامة الرئيس الحبيب بورقيبة

في ثامن عشر اكتوبر الماضي زار فخامة رئيس الجمهورية التونسية السيد الحبيب بورقيبة المملكة المغربية تلبية للدعوة التي كان قد تلقاها من اخيه جلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله اثناء زيارته الرسمية لتونس في شهر ديسمبر 1964 .

وقد استقبل فخامة رئيس الجمهورية التونسية بحماس فياض ، وشوق حار من لدن صاحب الجلالة وافراد الشعب المغربي .

وهذه الزيارة الميمونة قد دعمت اواصر الاخوة بين القطبين ، كما سجلت مرحلة هامة في تاريخ العلاقة الاخوية بين تونس والمغرب .

وهكذا فقد انعقدت ندوات ــ سادها الجد ، وصدق العزيمة ــ في مستوى الخبراء والفنيين ، وفي مستوى المسؤولين المباشرين للخطة الانمائية والاقتصادية في دائرة المغرب الكبير ، واخذت هذه العلاقات شكلها القانوني في صيغة الاتفاقيات العديدة المبرمة بين البلدين مما يساعد على سير منسجم تتكامل فيه عناصر النمو والتفتح ، وتتلاقح في صلبه مقومات الحضارة .

وقد نظم خلال هذه الزيارة الكريمة نصف الشهر الثقافي التونسي الذي اقيم بمسرح محمد الخامس ، والذي يبرز اهم عناصر الحياة الثقافية والفنية والصناعة التقليدية في تونس ، كما القيت محاضرات من أساتذة مختصين ، وحفلات فنية مهذبة .

وهذا الموسم الثقافي يعتبر ركنا من اركان التلاقح ، ودعامة للوحدة التي ننشدها بين شعوبنا واقطارنا .

وقد امتازت هذه الزيارة بحدث هام ، هو الاحتفال بتوامة مدينتي القيروان وفاس تحقيقا للروابط التي جمعت عبر التاريخ بين القطرين الشقيقين ، وتيمنا بتوثيق الصلات فيما يستقبل .

والقيت في هذا الاحتفال قصائد بالمناسبة .

وعقب هذه الزيارة صدر بلاغ مشترك مغربي تونسي سجل نتائج المحادثات والاتصالات التي اسفرت على اتفاق شامل لوجهات النظر وتوجت بتبادل وثائق التصديق على الاتفاقيات المبرمة بين البلدين في ديسمبر 1964 .

قام فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية بزيارة رسمية للمملكة المغربية من ثامن عشر اكتوبر سنة 1965 الى الثالث والعشرين منه تلبية للدعوة التي سبق أن تلقاها من أخيه صاحب الجلالة الحسن الثاني ملك المغرب اثناء زيارته الرسمية الى تونس في شهر دجنبر 1964 وقد جرت بين رئيسي الدولتين عدة محادثات دارت في جو مفعم بالاخاء والمودة والصراحة وتناولت العلاقات الاخوية القائمة بين البلدين الشقيقين ومستقبل المغرب العربي وامكانيات تشييده بوسائل عملية وواقعية كما تناولت مختلف القضايا والمشاكل الدولية بصفة عامة وعقدت اجتماعات على المستوى الحكومي تناولت الوسائل



الكفيلة بتطبيق وتنشيط الاتفاقيات التونسية المغربية وأفضت الى الاتفاق على الخطوط الرئيسية لانتهاج السياسة الموحدة ويلاحظ رئيسا الدولتين بارتياح الخطوات المستمرة والموفقة التي تبذلها اللجنة الاستشارية الدائمة للمغرب الكبير الذي يقطع خطوات حثيثة في سبيل تحقيق اهدافه في الوحدة والكرامة والمناعة كما انهما مقتنعان ببذل المزيد من الجهود لتعزيز علاقة بلديهما في الميدان الاقتصادي والثقافي والاجتماعي ويوليان للميادين الاقتصادية عناية خاصة ايمانا منهما بأن التعاون فيه على أساس التكامل والتناسق يشكل خطوة ايجابية لتحقيق مغرب كبير موحد مزدهر .. ومن اجل ذلك تبادل رئيسا الدولتين المزيد من المعلومات حول مشاريعها الاقتصادية والانمائية وقررا تبادل الخبرات والتجارب في هذا المجال واستخلصا ان ازدهار الصناعة والتجارة رهن بتنظيم سوق موسعة في دائرة المغرب الكبير .

وقد وضع رئيسا الدولتين لتحقيق التعاون في هذا الميدان مخططا يحتوي على سلسلة قرارات مضبوطة اقيم تنفيذها لكل من الحكومتين وفي الميدان الثقافي تقرر جمع اللجنة المشتركة المغربية التونسية التي تنص عليها الاتفاقية الثقافية المبرمة بين البلدين وذلك على مستوى وزاري بالرباط خلال شهر فبراير سنة 1966 على أن تكون مهمتها تنسيق مناهج التعليم والتربية وتنظيم وسائل التعاون في ميدان المسرح والسينما والتلفزة ووضع برنامج لاحصاء التراث القومي في البلدين وضبط وسائل بعثه والتعريف به ..

وفي الميدان الاجتماعي تقرر تنسيق الجهود لتكوين الاطارات الطبية والصحية وتبادل الخبرات في البحث العلمي والتنظيم العائلي والمهنة الطبية وقد اسفرت جميع المحادثات السالفة الذكر عن اتفاق كامل في وجهات النظر وتبادلت الحكومتان وسائل التطبيق على

الاتفاقيات المبرمة بين البلدين فى ديسمبر 1964 وقــد امتازت هذه الزيارة بتوأمة مدينتي القيروان وفــاس تحقيقا للروابط التي جمعت عبر التاريخ بين القطرين الشقيقين وتيمنا بتوثيق الصلات فيما يستقبل وقام فخامة رئيس الجمهورية التونسية بزيارة كل من الرباط واقليم القنيطرة وفاس وايفران ومكناس مما مكنه من الاتصال المباشر مع الشعب المغربي والوقوف على مظاهر التقدم والازدهار فى المملكة المغربية

ورغبة فى توطيد دعائم الاخوة بين البلدين وتوفير أسباب التشاور لانتهاج سياسة موحدة بين الحكومتين قرر رئيسا الدولتين تبادل زيارات دورية ومنتظمة كل سنتين بالاضافة الى الندوات والزيارات التي تتم بين المسؤولين فى كافة المستويات .

ويطيب لفخامة الرئيس الحبيب بورقيبة أن يسجل مدى اعجابه بالانجازات العظيمة التي حققها المغرب الشقيق فى جميع الميادين واكباره للمجهودات الجبارة التي يواصل جلالة الملك الحسن الثاني بذلها فى سبيل مقاومة التخلف والنهوض بالشعب المغربي أدبيا وماديا كما يعرب عن عميق تأثره بالحفاوة التي اقتبله بها جلالة الملك الحسن الثاني والترحاب الحار الذي خصه بــه الشعب المغربي الشقيق فى المدن والقرى مما يجسم قوة اللحمة بين رئيسي الدولتين وبين الشعبيــــن الشقيقين ويقدم شكره الجزيل الــى جلالة الملك المعظم والى حكومته والى شعبه الكريم راجيا من المولى المعظم وعلا أن يحفظ هذا القطر العزيز وأن يأخذ بيد عاهله المظيم ويحقق آمال شعبه فى التقدم والازدهار .

خطاب صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني بمناسبة توامة مدينتي فاس والقيروان

القى صاحب الجلالة الملك المعظم خطابا بمناسبة توامة مدينتي فاس والقيروان وذلك اثناء حفلة التوامة التي اقيمت مساء يوم الجمعة 26 اكتوبر 1965 فى ثانوية مولاي ادريس بالعاصمة العلمية .

وهذا نص الخطاب الملكي :

الحمد لله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآلـه وصحبه

فخامة الرئيس

ليس من شك عندنا انكم شعرتم منذ أن وضعتم قدمكم فوق تراب هذا الوطن حيثما كنتم واينما حللتم بانكم بين جيرة احباء واخوة اشقاء ، شعرتم ولا ريب منذ ذلك الحين شعور الاليف بين الالاف والمشوق الى المشتاق والعائد بعد النزوح والغياب الى المسكن المحبوب والوطن المرغوب وليس من شك عندنا من جهة اخرى أن هذا الشعور اكتسى صبغة خاصة منذ دخلتم مدينة فاس التي تربطها باحدى مدن بلادكم قرابة وشيجة ورحم ماسة مكينة لقد دخلتم فعلا مدينة فاس فرحبت بمقدمكم ايما ترحيب وابتهجت بركبكم احسن ما يكون الابتهاج بالاحباء الذين يصلهم بهم وببلادهم صلات أحكمها الزمن البعيد والعهد القريب .

— قلوب مفعمة بذكريات البطولة —

لقد استقبلتكم هذه العاصمة وقلوب سكانها مفعمة بذكريات البطولة والمجد مفعمة بخواطر العز والسؤدد . يذكر سكانها ما كان بين الشعبين الشقيقين عبر العصور والازمان من ارتباط عريق والتحام وثيق ويفرحون أشد ما يكون الفرح بهذا اللقاء الجديد ويذكرون الى جانب هذا كله المساعي المتضافرة والجهود المتلاحقة والنضال المرير والطريق العسير الذي سلكناه جميعا وما بالعهد من قدم لبلوغ الاهداف الصعبة المنال فيحيون فى شخصكم الاخ الشقيق سليل الاخوة الاشقاء .

— قواعد راسخة ارساها التاريخ المشترك —

فخامة الرئيس — لقد خامرنا ونحن فى ضيافتكم وضيافة شعبكم الكريم خلال زيارتنا الاخيرة لبلدكم الشعور باننا بين الاحباب والقرباء وبين شعب تصله بشعبنا أقوى الصلات واوثق الروابط . فلما حللنا صحبتكم بمدينة القيروان احسسنا الى جانب ما كان بين جوانحنا من عواطف احساسا لم يخالجنا من قبل فرجعت بنا الذاكرة الى الوراء واستعرضنا صفحات غراء مليئة بالعز والمجد بقيت ماثلة لم تعبث بها يد الدهر ولم تعصف بها الازمان والعصور وازداد ايماننا بان للمغرب العربي أصولا ثابتة وقواعد راسخة ارساها التاريخ المشترك .

— رحم موصولة ، ونسب معلوم .. —

ولا نرتاب فى انكم يا فخامة الرئيس بعدما حللتم بهذه المدينة شعرتم بمثل ما شعرنا به ونحن فى القيروان فانتم بالاضافة الى وجودكم بين الجيرة والاحباب والاخوة الكرام فى مدينة بينها وبين مدينة القيروان رحم موصولة ونسب معلوم . ولئن ظفرت مدينة فاس بما ظفرت به من عمران واسع وازدهار شامل فان من عوامل ذلك ما نالته وهي فى ميعة الصبا من شقيقتها القيروان اذ لم يمض على تاسيس مدينة فاس الا زمن قليل حتى وفد عليها عدد كبير من اهل القيروان اكرم المولى ادريس وفادتهم واسكنهم بالجانب الغربي فعمروا هذا الجانب واختصوا به حتى اطلق عليه المؤرخون اشارة الى ساكنيه اسم عدوة القيروان الوافدين على هذه القرويين

تميزا لها من عدوة الاندلسيين فبرزت من أهل المدينة سيدة فاضلة هي فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري المعروفة بام البنين وبنت من مالها الخاص مسجد القرويين الذي ما لبث ان اصبح حوضا من حياض المعرفة وموردا من موارد العلم طبقت شهرته الافاق وسارت بذكره الركبان واصبحت بفضله مدينة فاس مركزا ثقافيا وحضريا في العالم فامه الناس من مختلف الاقطار والامصار . ولم تنقطع الصلات بين مدينة فاس بعد انتشار عمرانها وبين مدينة القيروان بل بقي الارتباط بينهما وثيقا على ممر العصور في سائر الميادين ولا سيما ميدان العلم والثقافة هذا علاوة على ما كان بين القطرين الشقيقين التونسي والمغربي بصفة عامة من تبادل وصلات .

— لعلماء القرويين في جميع انواع المعرفة

جولات موفقة ، وصولات ظاهرة .... —

فخامة الرئيس . لا يكاد الزائر يصل الى هذه الحاضرة العظيمة شقيقة القيروان المجيدة سواء كان مواطنا أو أجنبيا حتى تعود به الذاكرة الى الاطوار التاريخية التي تقلبت فيها والادوار الكبيرة التي قامت بها طيلة ثلاثة عشر قرنا على مسرح السياسة والاقتصاد والعلم والثقافة والادب والفن والحضارة والعمران لا في المغرب الاقصى وحده ولكن في غرب العالم الاسلامي كله . فقد عمت شهرة هذه الحاضرة كل زمن وقوى تاثيرها فيما حولها من أمصار وبلدان . ولقد كان دور جامعة القرويين من بين هذه الادوار دور الواسطة من العقد والحوض من الروض اذ انها خدمت بتفان واخلاص انواع المعرفة وفنون الثقافة فما من مجال علم أو ميدان فن طرقه العرب والمسلمون الا وكان لعلماء القرويين فيه جولات موفقة وصولات ظاهرة وهل يذكر الفقه دون أن يذكر ابو عمران الفاسي والدارس بن اسماعيل وابو الحسن الصغير أم هل يذكر النحو دون أن يذكر بن اجروم الذي صارت المقدمة المنسوبة اليه عنوانا للنحو وعلما له أم هل يذكر الشعر التاريخ دون أن يذكرابن أبي زرع والجزنائي والفشتالي أم هل يذكر الشعر والادب دون أن يذكر الجراوي وابن حبوس وابن الخطيب والمقري وسواهم من الافذاذ الذين نبتوا في ترابها أو وفدوا عليها من الخارج للكرع من حياضها وطاب لهم المقام .

— تآلف مستمر ، وتآخي موصول —

فخامة الرئيس اذا كانت عزيمتنا منصرفة اليوم الى بناء المغرب العربي وارساء قواعد على أسس متينة واذا كنا نهتم اليوم بان يكون هذا البناء منتظما في سائر الميادين الثقافية منها والاقتصادية والاجتماعية — فان عملنا الذي يتسم بطابع جديد انما هو عمل يصل بين الماضي والحاضر ويدخل في نطاق ما دأب عليه اسلافنا من قبل ويتمم ما بدأوه ويصل ما انقطع منه بحكم الظروف والملابسات التي منيت بها بلاد المغرب العربي واذا كان من جميل حظ المسؤولين عن القطرين الشقيقين أن يشرفا على حفلة التوأمة بين مدينتين عظيمتين بما اداه من رسالة وبانتسابهما الى رجلين عظيمين عقبة بن نافع الفهري وادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل الحسني كلاهما كان له المكان المحمود والسعي المجيد المبرور في تشييد دعائم الاسلام في الديار المغربية . واذا كان من جميل حظنا الاشراف على هذا الاحتفال فان من دواعي مسرتنا وابتهاجنا ان تكون التوأمة بين المدينتين بمناسبة زيارة فخامتكم لهذا البلد الذي هو جزء من وطننا الكبير المغرب العربي . وانه لما يثلج صدرنا أن تكون زيارتكم لمملكتنا فرصة نغتنمها لتمتين الاواصر الجامعة بين دولتكم ودولتنا وأن يكون لقاؤنا هذا في هذا الحفل الميمون دليلا جديدا يضاف الى غيره من الادلة على التآلف المستمر والتآخي الموصول واللقاء الممتد عبر القرون بين الاخوة الاشقاء اسأل الله أن يبارك هذا الحفل ويزيد اسباب التواصل بين المدينتين المتاخيتين قوة ومتانة ويغدق نعمه عليهما ويكفل لهما وسائل العز المطرد والازدهار المتصل ويمدهما بعونه حتى تؤدي كلتاهما رسالتهما المعهودة ويحفظهما من كل مكروه كما اساله تعالى أن يسدد خطانا ويوفق جهودنا ويهدينا الى الصراط المستقيم ويؤيد بنصره المبين كل عمل نتوخى من ورائه الخير لشعوب مغربنا العزيز ولسائر الشعوب العربية والاسلامية انه ولي التوفيق والتسديد .

والسلام عليكم ورحمة الله

خطاب الرئيس الحبيب بورقيبة

باسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

حضرة الاخ الكريم ، حضرات السادة والسيدات

انه لمن دواعي الغبطة والاعتزاز أن اخاطب اليوم ثلة من قادة الفكر والمجتمع فى هذا الشعب المغربي الشقيق الذي تربطنا به اواصر قديمة ومتجددة قوامها الاخوة الصادقة والتاريخ المشترك والتضامن فى بناء المصير الافضل لكافة شعوب مغربنا الكبير . وانه لمن رموز الاخوة العريقة بين بلدينا ان نقيم هذا الحفل البهيج فى مدينة فاس بالذات التي ربطت بينها وبين مدينة القيروان اواصر التعاون والتلاقح منذ أواسط القرن الثالث اذ وفدت من القيروان ام البنين فاطمة الفهرية فاسست بها جامعة القرويين سنة 255 فكان الصنو الغربي لجامع عقبة بن نافع ولبيت الحكمة الاغلبي كما اسست اختها مريم الجامع العتيق الاخر لعدوة الاندلسيين فى هذه المدينة المباركة .

وانه لمن مميزات شعبينا ان كانت جهودهما ملتئمة متآلفة فى السراء والضراء على مر الازمان وخاصة فى أهم فترات تاريخهما الطويل الحافل بعظائم الاحداث .

— أصالة تضامننا —

وليس ادل على اصالة تضامننا من هذه الاخوة التي تربط بين اجيالنا الصاعدة منذ ما يزيد على الثلاثين سنة فى الكفاح من أجل الحرية والكرامة وفى سبيل وحدة مغربية متينة لها من القوة والمناعة ما يجعلها فى مأمن من غائلات الدهر . ومن نعم الله على مغربنا الكبير أن قيض له رجالا اخلصوا فى خدمة شعوبهم ولم يترددوا فى بذل الجسيم من التضحيات فى سبيل انقاذها واسعادها وجمع شتاتها بعد أن فرقت بينها الايام وتقلبت بها الاحداث حتى نزلت بها فى آخر المطاف محنة كادت تنحرف بها عن الجادة التاريخية والروحية التي رضيتها لنفسها قرونا متوالية .

— بطل المغرب الكبير —

وان فى تاريخ كفاحنا المشترك لصفحات مشرقة تخلد ذكرى بطل من ابطالنا الافذاذ صمد فى وجه المستعمر ولم ييأس من اعلاء الحق وانتشار الحرية ولم يبخل بالنفس والنفيس لتحقيق مطامح شعبه الا وهو اخى فى الكفاح الملك المبرور محمد الخامس تغمده الله برحمته ورضوانه .

ونحن بقدر ما نأسف لرحيله فى مقتبل شباب هذه الامة فاننا نحمد الله أن وليه من اقتفى أثره ودعم البناء الذي شيده وكان خير خلف لخير سلف جلالة الحسن الثاني الذي تربطني به روابط محبة قديمة . ويسعدني أن احيي من هذا المنبر جهوده المتسمة بالشجاعة وبعد النظر . واني لا اتمالك أن أعود بالذاكرة الى فترات من تاريخنا القريب كنا فيها نكافح من أجل قضية واحدة بنفس العزم ونفس الحماس وفى تضامن يبشر بما نحن فى صدده اليوم من اعمال مباركة تهدف الى بناء مغربنا الكبير الذي طالما تطلعت اليه نفوسنا فى المنافي والسجون . والحق انه ما كان لنا أن نتمكن من بعث التضامن بين حركاتنا التحريرية لو لم يكن هذا التضامن متأصلا فى تاريخنا ولم تكن القلوب تهفو اليه بقوة وحماس .

فتاريخ اقطارنا الاربعة وتاريخ المغربين الادنى والاقصى على وجه الخصوص يشهد بعراقة ما يربطنا من عرى وثيقة لم تنفصم على مر القرون .

— مغربنا متفتح دوما للحوار —

ولئن كان مغربنا دوما متفتحا الى الحوار مع العالم الخارجي ونقطة التقاء لمختلف المؤثرات الحضارية بحكم موقعه الجغرافي فلقد كان دوما قادرا على استيعابها وصهرها وطبعها بطابع يشهد بالطاقة الخلاقة والحيوية في نشر الحضارة والذود عن القيم الروحية الخالدة ولئن كانت شعوبنا في الكثير من عهودها عرضة لجشع المعتدين بحكم نفس ذلك الموقع الجغرافي الخطير فانها دوما اقامت الدليل على مقاومة الذل والعبودية وكافحت من أجل حريتها وكرامتها ولم تستطيع أي هيمنة أجنبية أن تكبح جماحها ولا ان تطمس فيها ذلك التوق الى الحرية والاستقلال .

وانما كتب للدعوة الاسلامية وحدها ان تنفذ الى قلوبها وتستقر بها الى ابد الابدين بفضل ما اتسمت به من روح ديمقراطية قامت على مبادىء العدالة والمساوات وافضت الى خلق حضارة جديدة من اعظم الحضارات اشترك في تدعيمها سائر الشعوب العاربة والمستعربة دون ميز ودون هيمنة ودون اكراه .

وبفضل هذا الايمان العميق بالاسلام وهذا الاندماج المكين في الحضارة الاسلامية روحا، والعربية لسانا وفكرا، استطاعت شعوبنا ان تنشيء بينها هذه العروة الوثقى التى حدت مما كان يبدو بينها من عصبيات قبائلية ونزاعات جهوية ومكنتها ، احيانا من تحقيق حلم الوحدة الذي لم يزل يخامرها منذ اقدم العهود .

والتاريخ يشهد بان حركة الاتصال والتلاقح والتناصر بين شعبينا كانت دائبة وفي الاتجاهين طردا وعكسا وانهما وفقا الى تحقيق الوحدة المغربية في عهدين على الاقل من عهودهما الاسلامية الزاهرة في زمن الفاطميين وزمن الموحدين.

— من المهدية .... —

فقد انطلقت الحركة الفاطمية ووحدت اقطار المغرب جمعاء ورفعت لواء الاسلام والعروبة من الاطلس الى الهند عرضا ومن اطراف أوروبا الى أواسط افريقيا طولا . وكذلك فانه من اعماق هذا البلد قامت الدعوة الموحدية فوحدت المغرب من جديد ونشرت لواء الدولة الاسلامية الفتية من نهر — طاج — الى مشارف الاسكندرية داعية الى تجديد العزم ونبذ اسباب الانحلال .

على ان الاتصال بين جناحي المغرب لم ينقطع في غير هذين العهدين المشرقين بل كان مستمرا قائما في صورة مبادلات علمية وحضارية على اوسع نطاق واعمق المستويات الفكرية والاجتماعية والسياسية

— الى فاس ومراكش —

وكانت الجامعات التي تنشر العلوم وتثقف النشأ من سائر انحاء المغرب في سلسلة حلقات متواصلة في القيروان وتونس الى بجاية وتلمسان حتى فاس ومراكش مراكز اشعاع على مر الاجيال قد تخرج منها أمثال القاضي عياض وبن خلدون من رجال العلم والفقه والادب الذين لا يزالون مفخرة المغرب على الاطلاق والذين وضعوا أسس ثقافتنا المغربية المتاصلة في الثقافة العربية المشتركة المتغذية بما لشعوب هذا الشمال الافريقي من مقومات روحية وحضارية تليدة ذلك ان وحدة التاريخ انما هي انعكاس لوحدة أشمل وأعمق منبعها الروح ومقرها الفكر والشعور وهو ما يتجلى في شخصية شعوبنا المتجانسة في جوهري صفاتها وأصيل نزعاتها التي بها تميزت عن غيرها .

وقد ظهر ذلك جليا في اسلوب كفاحنا ضد الاستعمار ومواجهتنا لمشاكل الحياة العصرية منذ بداية هذا القرن .

فلم يكن ذلك الكفاح يهدف فقط الى القضاء على السيطرة الاجنبية بل كان في نفس الوقت يهيء اسباب الانطلاق التي جعلت منا اليوم بلادا تسعى بكل طاقاتها الى النمو وتحقيق ما كان يبدو ضربا من المستحيلات وذلك أن فترة كفاحنا ان لم نكن نلوي وجوهنا عن الواقع ولم نكن نستسلم له . كنا نعمد الى فهم الواقع ، فنحلل علة ضعفنا وسبب قوة المستعمر علينا ، فنعمل على القضاء على هذا وتلك بطرائق واساليب وحدت حولنا الامة وجعلتها قادرة على مقارعة المغتصب وجبره على الانسحاب .

— تهيئة الدعائم لقيام وحدة قومية —

ومن اعظم مكاسب هذا الكفاح أن مكننا من توحيد الصفوف والقضاء على النزاعات الداخلية وتهيئة الدعائم لقيام وحدة قومية تتضافر فيها الجهود جميعا من أجل بناء الامة وتوفير الازدهار باعتباره شرطا اساسيا للحياة الكريمة . ان ذلك كسب لا يقل اهمية عن جلاء المستعمر اذا اعتبرنا تاريخ هذه المنطقة وما عانته في كثير من فترات حياتها من انفصام الوحدة القومية وتفكك اجزاء الوطن بسبب قلة الاستقرار وتغلب النزعات الانفرادية والنخوة القبلية مما ادى في كثير من الاحيان الى التمرد وشق عصا الطاعة والخروج من

الحكم المركزي ورجوع البلاد الى ما كانت عليه من فوضى ومن انقسام الى مدن خائفة وبوادي جائعة تعيش بالفتك والاغارة فيختل النظام ويصبح الشعب من جديد فريسة سهلة للسيطرة الاجنبية .

— بذور التضامن ... —

ثم ان هناك كسبا عظيما آخر ظفرنا به خلال محنة الاستعمار وهو اننا تمكنا طوال تلك المدة من زرع بذور التضامن المغربي وغرس الايمان بوجوب التعاون بين شعوب المغرب العربي باعتباره خيرا لها في العاجل وفي الاجل . فكان من الطبيعي ان نتصدى بعد فوزنا بالاستقلال اي بعد ان اصبحنا المسؤلين عن شعوبنا كان من الطبيعي ان نعمل على تجسيم ذلك التضامن وتمهيد سبل الوحدة بين اجزاء هذا المغرب الكبير ذلك اننا كلما امعنا في مسؤوليات الحكم والبناء ازددنا ايمانا بان العمل المشترك هو السبيل الى الازدهار وتدعيم قواتنا الانمائية وتكتيل جهودنا في هذا الجهاد الاكبر الذي نقوم به ضد التخلف ونعتقد ان لدينا اليوم ما به نقدر على مواجهة العمل المشترك بالوسائل الناجعة والطرق الايجابية لا سيما وقد تسنى لجميع الاطراف اختيار طرق عملها وتوضيح مناهج اختياراتها ويمكننا الان ان نقول بكامل الارتياح انه لا شيء جوهري يفصل بيننا ويحول دون التعاون الوثيق بين شعوبنا ما دامت المشاكل متشابهة ومبادىء العمل متجانسة تتلخص في الايمان بضرورة التنمية ونشر العدالة الاجتماعية واعادة بناء ذاتيتنا الثقافية والروحية

ونحن موقنون جميعا وكل شيء في الداخل والخارج يؤكد لنا ذلك ان عصر انعزال الدول بعضها عن بعض قد زال وانقضى والذي شعرت به الدول الكبرى المتباعدة من حتمية الترابط ووجوب التعاون انما الدول الصغيرة المتجاورة اولى به واحرى في كافة الميادين لا سيما ونجاح العمل الذي نحن بصدده متوقف الى حد بعيد على سرعة الانجاز اذا أردنا أن نلتحق بركب الامم التي سبقتنا اشواطا والتي تسير في التقدم بسرعة تتضاعف يوما فيوما .

— لنجعل من التشابه قوة —

ففي الداخل نجد اقتصادياتنا متشابهة ومختلفة في ميادين اخرى فلا بد من توثيق التعاون حتى نجعل من التشابه قوة ومن الاختلاف تكاملا خاصة ان عملية التنمية في كل من الاقطار المغربية تدعونا الى تجاوز الحدود السياسية وجعل اقتصاد المغرب الكبير ينمو ويزدهر في اطاره الطبيعي وهو الاطار الواسع الذي تؤلفه البلدان الاربعة باعتبارها وحدة اقتصادية تناهز الثلاثين مليون نسمة .

— من هنا ينبغي ان نبدأ —

فمن هنا ينبغي أن نبدأ وقد شرعنا فعلا في ارساء دعائم التعاون الاقتصادي المثمر وعلينا ان نمضي في هذا السبيل بقطع المراحل التي تمليها المصلحة المشتركة الواضحة . وعلينا ايضا ان نوجه الاهتمام الى ميادين اخرى الى ميدان آخر هو في نظري القاعدة الاساسية التي عليها نستطيع ان نبني المستقبل اعني بذلك ميدان التعليم والثقافة فليس أوكد من أن نهيء لمغربنا الكبير شبابا متجانسا في العقلية والشعور ولا يخفى على احد ما للتعليم من دور فعال في تكييف العقول وتربية الضمائر وتهيئة النشأ للاضطلاع بمسؤولية الغد .

— مكافحة التجارب —

فمن واجبنا ان نقابل تجاربنا في ميادين التعليم وان ننسق برامجنا الثقافية وبين معاهدنا المختصة بالابحاث العلمية ومؤسساتنا التي تعنى باحياء التراث حتى يتسنى لها بتضافر جهودها أن تبلغ من الرقي ما لا يستطيعه كل بلد على حدة بذلك نكون قد هيأنا الاسباب اللازمة لقيام ثقافة مغربية صحيحة تحيى بحماس الشباب وتتغذى من الهام الروح القومية .

— مستقبل مغربنا في كنف الوئام —

ونكون خير لحمة بيننا وخير ضمان لتعاشر صافي دائم . بمثل هذه الافاق الواسعة الثرية نتصور مستقبل مغربنا في كنف الوئام الذي مقره الاول في القلوب والعقول واساسه التعاون الشامل ونعتبر تنسيق جهودنا في ميادين التنمية مرحلة اساسية في طريق الوحدة الكاملة .

واني لاشاطر جلالة الملك الحسن الثاني رأيه في وجوب عقد اجتماعات منتظمة بين رجالات المغرب الكبير في كافة المستويات بما فيها المستوى الاعلى حتى تدخل في تقاليدنا السياسية عادة التشاور والتباحث في كل ما يعترض سبيلنا من مشاكل تتطلب حلولا مشتركة او قضايا يجدر بنا أن نتخذ بشأنها مواقف منسجمة .

واني ارحب بما تقدم باقتراحه العاهل المغربي الكريم اثناء الزيارة التي شرفنا بها الى تونس من عقد

اجتماع بين اقطاب المغرب العربي الكبير حتى يصدر عنهم الدفع الشامل لهذا العمل المبارك الذي ابتدأه وزراء الاقتصاد في البلدان الاربعة وينبغي أن تتسع رقعته الى كافة الميادين على اننا نعتقد انه من شروط نجاح هذا الاجتماع تهيئة جميع الاسباب الكفيلة بتصفية المشاكل التي لا تزال معلقة والتي تتضاءل اهميتها كلما امعنا في التعاون

ايها السادة أن هذا العمل العظيم نعتقد ان شمالنا الافريقي مدعو بحكم وحدة التاريخ ووحدة المصير اليه حتى نقوى على تجديد مجتمعاتنا واعادة الانسان فيها الى المرتبة التي لها خلق ومن أجلها كافح

ـــ دور مغربنا في الحقل الدولي ـــ

وينبغي أن تهدف جهودنا الى تمكين مغربنا من القيام بدوره الطبيعي في الحقل الدولي باعتبار انتسابه الراسخ الى البلاد العربية الاسلامية وباعتبار موقعه في ملتقى القارتين الاوربية والافريقية وعلاقاته التقليدية بأقطار البحر الابيض المتوسط .. ففي المجال الدولي العام نعتقد ان موقعنا في شمال القارة الافريقية وعلى ضفاف البحر الابيض المتوسط يملي علينا أن نأخذ بسياسة التعاون مع اوربا ومع كل الدول التي سبقتنا في سبل الرقي والعلم والفنون الصناعية أما في المجال العربي فان انتماءنا الى العائلة العربية الكبرى من الحظوظ العظيمة المفتوحة في وجه كافة الشعوب ، الشعوب الناطقة بهذه اللغة ولنا ان نعتز بهذا الانتماء وعلينا ان نعمل على توثيق الروابط بين المغرب والمشرق حتى يكون التضامن بينهما اداة رقي ونهوض وحتى يتسنى لكل شعب عربي أن يساهم بقسطه في حل القضايا العاطلة عن الحل .

ـــ ايماننا لن يتزعزع ـــ

ولئن بدرت هذه المدة الاخيرة بوادر مؤسفة فان ايماننا لن يتزعزع في امكان قيام تعاون ايجابي بين كافة الدول العربية على اساس الحوار الحر والاحترام المتبادل والمصالح المشتركة ، واني اتمنى ان تكثر في البلاد العربية والاسلامية الاحتفالات المشابهة لحفلنا هذا الذي يعبر عن صدق التآخي وعزيمة التعاون بين اشقاء حتى نخرج بالتضامن العربي من طور الكلام الى حيز العمل الايجابي المثمر والله يوفقكم ويرعاكم ويسدد خطاكم

والسلام عليكم ورحمة الله

نظرة الإسلام في اكتساب المؤمن للفضائل

للأستاذ : محمد الطنجي

الانسان اليف بتكوينه وصنعه ، مدني بسجيته وطبعه ، وشيج الصلة بمجتمعه ، كثير الحاجة الى التعاون مع ابناء جنسه ونوعه ، وبقدر تزكية نفسه ، وتهذيب اخلاقه وتلطيف احساسه ، تكمل انسانيته ، وتشع في الوجود نورانيته ، فيكون عضوا فاضلا في المجتمع ، ولسان صدق لمن استمع وقدوة مثالية لمن اتبع ، ولهذا بعث الله اللطيف بعباده رسول الاسلام سيدنا محمد عليه السلام متمما لمكارم الاخلاق بشريعته وعمله وسيرته الى الامة العربية بآدابه العالية ، وتعاليمه السامية ، فتكاملت فيها الفضائل حتى استحقت ان يصفها الوحي الالاهي مما اكتسبته من حسن التربية بقوله عز من قائل ، «كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » .

والاخلاق كما لا يخفى منها الجبلي ، ومنها المكتسب بالتهذيب والتربية ، واصل الخلق في اللغة التقدير المستقيم ، ويستعمل في ابداع الشيء من غير اصل ولا احتذاء ، نحو خلق الله السماوات والارض ، فالخلق والخلق في الاصل واحد وقع التفريق بينهما في الاستعمال ، قال الامام الراغب في مفردات القرءان : لكن خص الخلق بالهيئات والاشكال والصور المدركة بالبصر ، وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة ، قال تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » والخلاق « بفتح الخاء » ما اكتسبه الانسان من الفضيلة بخلقه ، وفلان خليق بكذا اي كانه مخلوق فيه ذلك كقولك مجبول على كذا ، او مدعو اليه من جهة الخلق .

وبعض الناس يرى الخلق من جنس الخلقة ولا يستطيع احد تغيير ما خلق عليه ان خيرا وان شرا ، الا ان بعض العلماء يقول بامكان تغييره بتهذيبه ، قال الراغب في كتاب الذريعة واستدل اي هذا البعض بما روي: «حسنوا اخلاقكم» فلو لم يمكن لما امر به ، قال: ولان الله تعالى خلق الاشياء على ضربين احدهما بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملا ، كالسماء والارض والهيئة والشكل ، والثاني خلقة ما ، وجعل فيه قوة ترشح الانسان لاكماله وتغيير حاله كالنوى الذي جعل فيه قوة النخل ، وسهل للانسان سبيلا الى ان يجعله بعون الله تعالى نخلا وان يفسده افسادا قال : والخلق من الانسان يجري هذا المجرى في انه لا سبيل للانسان الى تغيير القوة الى ان تصير سجية وجعل له سبيلا الى اسلاسها ولذلك قال تعالى : « قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » ولو لم يكن كذلك لبطلت فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والامر والنهي ، ولما جوز العقل ان يقال للعبد لم فعلت ؟ ولم تركت ؟ وكيف يكون هذا في الانسان ممتنعا وقد وجدناه في بعض الحيوان ممكنا ، فالوحشي قد ينتقل الى التأنس والجامح الى السلاسة لكن الناس في غرائزهم مختلفون فبعضهم جبلوا جبلة سريعة القبول وبعضهم جبلوا جبلة بطيئة القبول وبعضهم في الوسط ، وكل لا ينفك من اثر قبول وان قل ، انتهى نقل الراغب لكلام غيره وعلى اساس هذا الرأي الحاصف يتنزل ما نشده من آثار التربية الروحية العملية على ايدي الانبياء والصديقين وجميع دعاة الهداية والخير في الوجود وتنفعهم دعوة الاديان ونصوص الكتب المنزلة المقدسة التي فيها الهدى والنور التي يسرها الله سبحانه للذكر والتدبر ، وضرب فيها الامثال للاتعاظ والعمل وجلى فيها الحكم والعبر ، فمن عاشر الاخيار تاثر باخلاقهم ومن لازم الاشرار تخلف بسلوكهم او اصابته آفة من آفاتهم الا من رحم

ربك ، وكثيرا ما يتأثر الانسان بفعل الخير حتى يصير من اهله ، كما قد يتاثر بفعل السيئات حتى يقع الطبع على قلبه ، وقد ضرب النبي عليه السلام المثل للتاثر من الجليس الصالح والجليس السوء بصاحب المطر وصاحب الكير وخبث الحديد وتأمل قوله المروي فى صحيح مسلم عن ابي موسى « انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيه «اي يعطيك» واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة » وكذلك قوله عليه السلام المروي فى الصحيحين « عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » فتأمل قول الرسول الاعظم عليه السلام يتحرى الصدق ويتحرى الكذب ونتيجة التحريين فى التخلق بالصدق او الكذب .

وبالتأثر بالتربية العملية والعلمية تتفاوت الامم ايضا فى الخير والشر والبر والفجور والاصلاح والافساد كما تتفاوت درجات الافراد الذين يعملون الخير عن عقيدة وايمان راسخ بشريعة سماوية لا تنالها الاغراض والشهوات حتى خاطبهم الله بقوله: «ان اكرمكم عند الله اتقاكم» فبفضل هؤلاء جميعا على اختلاف درجاتهم فى التفاضل من يزعمون انهم يفعلون الخير عن تفكير لصالحهم ولصالح الهيئة الاجتماعية التي يعيشون بينها ، لان هؤلاء كثيرا ما يغلطون في تقدير المصالح وتمييزها من المفاسد ، او يتبعون اهواءهم فيضلون ويضلون فيكونون ممن يصدق عليهم قول الله تعالى :«قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا » وقد ذكر الله سبحانه من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ثم قال تعالى: «ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نوتيه اجرا عظيما » قال الشيخ رشيد رضا رحمه الله : وانما تنال مرضاة الله بالشيء اذا فعل على الوجه الذي يحصل به الخير ويتم به النفع الذي شرع لاجله ويكون الفاعل له مظهرا لرحمته تعالى وحكمته ، مع تذكر هذا عند العمل والشعور به ، وبهذا القيد يكون المومن ارقى من الفيلسوف فى عمله ، وابعد عن الغرور والدعوى فيه وارسخ قدما فى الاخلاص وتحري نفع الناس والثبات على ذلك وعدم مزاحمة الاهواء الشخصية له وترجيحها » انتهى .

واذا كان الدين يربي فى نفس المتدين الوازع النفساني وقانون الضمير الخلقي الكريم الذي يجعل سلوك صاحبه مثلا عاليا فى السلوك لا يحتاج معه الى قانون ظاهر يردعه عن مخالفة بل يكون الانصاف من نفسه سجيته ، والعمل الخيري لنفسه واهله ومجتمعه عقيدته ، فيكون ارقى ممن يدعي السير فى حياته على قانون فلسفة الفضيلة فى ميدان الاعمال والاستغناء عن هداية الدين وان بلغت بالانسان مراتب الكمال .

وقد حكى الشيخ رشيد رضا حديثا جرى له مع بعض كبراء المصريين فى تحديد معنى الفضيلة وهو فى الواقع شبه مناظرة يجمل ايراده هنا عسى ان يتأمل مغزاه بعض الشبان الذين لم يتعمقوا فى دراسة هداية الاديان قال رحمه الله : فكان اي بعض الكبراء يتكلم بلسان الفلسفة واتكلم بلسان الاسلام الجامع بين الدين والحكمة ، فلما حددها بما ينفع الهيئة الاجتماعية قلت اذا كان هذا هو المعنى فما هو الباعث للنفوس على العمل به ؟

قال هو اعتقاد كل فرد ان نفع الهيئة الاجتماعية نفع له ، فاذا صلحت عاش فيها سعيدا ، واذا فسدت لحقه شيء من فسادها فكان به شقيا ، قلت معنى الفضيلة اذا ان يطلب نفع نفسه مع ملاحظة نفع الهيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ، فتختلف الاعمال التي تندرج فى مفهومها الكلي باختلاف افراد الناس فيما ينفع الهيئة الاجتماعية وفيما هو ارجح من المنافع عند تعارضها ، مثال ذلك اذا قدرت ان تسرق مال رجل او تخونه فيه اذا استودعك اياه ففعلت ذلك لاعتقادك انك تقدر على ما لا يقدر صاحب المال عليه من نفع الهيئة الاجتماعية او تنفقه فيما هو انفع لها تكون بهذه السرقة وهذه الخيانة معتصما بعروة الفضيلة قال : نعم .

قلت واذا قدر رجل على ان يخون ءاخر فى عرضه ويزني بامراته معتقدا انه لا ضرر فى ذلك على الهيئة الاجتماعية لانه فى الخفاء فلا يثير نزاعا ولا خصاما ، فلا ينافي الفضيلة ، او انه ربما ينفع الهيئة الاجتماعية بابلادها ولدا يرى من ذكائه ما يكون به خيرا مما تلده تلك المراة من زوجها الشرعي او بما هو اوضح من هذا عنده كان تكون تلك المراة لا تلد من ذلك الرجل ، فهل يكون هذا العمل من مقومات الفضيلة

المحدودة بما ذكرتم ؟ قال : نعم ، كل من هذا وذاك من الفضيلة في الواقع ونفس الامر اذا كان اعتقاد الفاعل بنفعه للهيئة الاجتماعية صحيحا ، وان كان القانون لا يجيز الحكم له بحسب اعتقاده اذا ظهر الامر ورفع الى القاضي !! هذا ما حكاه الشيخ رشيد عن محاورته مع هذا المصري المفتون بهذه النظريات الخاطئة في فهم الفضيلة ، ثم علق رحمه الله مبديا اسوا نتائج هذا الفهم في السلوك الاجتماعي بما ياتي اقول : وقس على السرقة والخيانة والفاحشة جميع الرذائل حتى القتل فانها يمكن ان تعد من الفضائل على ذلك التعريف اذا ظن فاعلها انه ينفع الهيئة الاجتماعية كان يقتل من يرى هو في سياسته او اعتقاده او عمله ضررا وان كان المقتول يرى ذلك نافعا ، فهذا المذهب الجديد في الفلسفة العملية هو شر مذهب اخرج للناس ، فان الرذائل فيه قد تسمى عقائل الفضائل والمفاسد تعد فيه انفع المصالح ، والحاكم في ذلك هو الهوى ثم قال ولولا افتتان ضعفاء النفوس ببعض من يقولون به لما استحق ان يحكى .

وقد كان للفلاسفة الاولين مذاهب في الفضيلة معقولة وآراء صحيحة ، وقد انطقهم الله تعالى بكثير من الحكم ، ولكن ثمرات عقولهم لم تكن دانية القطوف، يجنيها القوي والضعيف، ولم يكن لها من هداية الوحي من السلطان على القلوب والارواح ، والتأثير في اصلاح شؤون الاجتماع ، فمن ثم كان الدين انفع من الفلسفة للناس » انتهى كلامه .

واقول لو عاش السيد رشيد رضا الى وقتنا الحاضر لراى ان الافتتان بهذا الفهم الخاطىء للفضائل لم تبق النفوس الضعيفة وحدها مفتتنة ببعض من يقولون به، ولكن اصبح عقيدة كثير من انصاف المثقفين والجهال ، تتحل به من الروابط وتكثر الرذائل ، وتنقلب به اوضاع كثير من المجتمعات اسلامية وغيرها ، فينعدم الاستقرار بسبب ذلك بينما نرى هداية الاسلام اهم دعائم الاستقرار في المجتمع بدستورها السماوي واخلاقه وبالنصيحة المطلوبة في الاسلام بين كل فرد من اهله وبالشورى النزيهة التي هي اساس الحكم والولاية في الاسلام وذلك ما يجعل المسلمين المخلصين يتفانون في نشر الدعوة من جديد للتمسك بالاسلام وفضائله حتى يعم الامن والعدل والاستقرار في جميع اقطاره .

الرباط ــ محمد الطنجي

الثقافة الإسلامية

تربية ومنهاجاً

للأستاذ: محمد عبد الواحد بناني

في رأيي ان اية دراسة منتجة لحاضر العالم الاسلامي، وان اي تخطيط واع لمستقبله، يجب ان يكونا على اساس ان العالم الاسلامي جزء لا يتجزأ من العالم الانساني الذي تتنازعه مختلف التيارات المذهبية من سياسة واقتصادية واجتماعية ادت به في الوقت الراهن الى ان ينقسم الى كتلتين ضخمتين: كتلة شرقية متطرفة تزعم ان «الفرد» يجب ان يذوب في الدولة كما يذوب الملح في الطعام؛ وكتلة غربية تسرف في المناداة بحرية الفرد في ان يتمتع على اوسع نطاق؛ وبين الكتلتين دول الحياد الايجابي التي شعارها عدم الانحياز المشفوع بالعمل الدائب من اجل تجنب الصدام، والمحافظة على السلام.

... ووسط هذا المعترك الصاخب يقف العالم الاسلامي الذي ـ وان وحدت بين قلوب ابنائه وشائج العقيدة الراسخة والتاريخ المشترك والشعور بالمسؤولية ازاء حاضره ومستقبله على السواء ـ فقد فرقت بينهم في نفس الوقت عوامل شتى لا يجوز اغفالها:

من هذه العوامل:

1) ان المسلمين لا تنتظم جمعهم، ولا تلم شملهم، «دولة واحدة» حتى يستطيعوا ان يستثمروا قوتهم في ظلها كما كان حالهم ايام دولة الخلافة الموحدة في صدر الاسلام الزاهر.

2) ومنها ان المسلمين اليوم قد بعدت بهم الديار، فهم موزعون على شتى القارات الارضية اشتاتا اشتاتا، ووجودهم داخل كثير من الدول الغير مسلمة مستعص امتصاصا!.

3) ومنها انهم لا يتكلمون لغة واحدة ولو على الصعيد الرسمي، بل تباينت لغاتهم وتنافرت لهجاتهم.

4) وفي ذلك ما فيه من التأثير السيء نظرا الى ان لكل لغة اثرها الخاص على الناطقين بها ولو بطريقة غير شعورية كما استقرأ ذلك العالم اللغوي الكبير «فندريس» في كتابه «اللغة».

5) ومنها ان المكتلات الاجنبية تعرف ماضيهم، فهي تتخوف منهم، وتجهل جهدها في غزوهم وامتصاصهم افرادا وجماعات بواسطة الثقافة الدخيلة، والغزو الفكري والنفسي والمادي، لتأمن بذلك عدم اتحادهم فقوتهم فتفوقهم...

في اطار هذا الواقع المر، ومن خلال هذه الخطوط العريضة الصارخة، يجب ان ينبعث التخطيط المنهجي المنطقي المنتج للغد القريب والبعيد، والا فكل محاولة للبناء مصيرها الفشل، وكل عمل من اجل الانبعاث محكوم عليه مقدما بالبوار.

واول ما سيحاول الكثيرون التهجم به على هذا الكلام هو انه دعوة الى التكتل على اساس ديني، ورميه بالتعصب والجمود والعنصرية المقيتة الى غير هذا وذاك من النعوت التي يطلقها كثير من دعاة الحرية والتقدمية في هذا العصر على مثل هذه الدعوة.. ولهؤلاء اقول: وما العيب في ذلك؟ اليست هذه التكتلات التي تصلي الانسانية الآن وقبل الآن نيران حروب باردة وساخنة تقوم كلها على اساس التعصب المذهبي؟

ما الشيوعية؟ ما الرأسمالية؟ ما الاشتراكية ما الديمقراطية؟ ما الفاشيستية؟ ما الدكتاتورية... اليست هذه كلها، وكثير غيرها، مذاهب قامت في احضانها دول وامم كتب لبعضها البقاء وللآخر الفناء، ولكن الذي يجمع بينها ـ رغم تنافرها ـ انها في التحليل الاخير مذاهب آمن بها معتنقوها، وأقاموا كيانهم في ظلها على اساس التعصب لها!

وما عيب التعصب والتعصيب اذا كان ذلك من اجل سعادة الانسان، ورفاهية الانسان وخير الانسان!

وأي مذهب من بين المذاهب الانسانية جميعها استطاع ان يتعهد «الانسان» كفرد، وكجزء من الاسرة، وكخلية حية في المجتمع، وان ينظم له شؤونه، ويرعى له مصالحه، ويعين له واجباته، ويضمن له حقوقه مثلما استطاع ذلك الاسلام؟

« ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا . » قرآن كريم .

« والله خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » قرآن كريم .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » صدق الله العظيم ... آيات بينات ، ومثلهن كثيرات ، تبين نظرة الاسلام للفرد المسلم في نفسه ، وفي بيته ، وفي مجتمعه الانساني الكبير، وتندرج تحت كل عمومية من هذه العموميات مئات التنظيمات الجزئية في مختلف انحاء الحياة الانسانية ، وهي كلها تهدف الى غاية واحدة : خدمة الانسان ، وطمانينة الانسان ، وسعادة الانسان ، وسلامة الانسان ! .

واذن فما دامت هذه الثروة الزاخرة من التشريعات والتنظيمات الاسلامية متوفرة بهذا الشكل الذي يضمن لمن يحسن استغلالها الرفاهية والسعادة والسلام ، وما دام المسلمون احوج ما يكونون اليوم الى استغلالها لصالح غدهم القريب ومستقبلهم البعيد ... فمن اين يجب ان تنبعث الانطلاقة الاولى نحو العمل ؟

اجل : من اين يجب ان نبدأ ؟ ان في نفوس المسلمين اليوم ثورة على اوضاعهم المزرية ، ورغبة صادقة في التحرر والانطلاق ، وتطلعا الى الغد السعيد ، اي انهم يعرفون المرض ، ويتحسسون الداء ، ولكن ما هو الدواء ؟

سؤال منهجي ، يأتي في حينه ، منطقيا ، ويجب ان يكون الجواب عنه كذلك ايضا ، وفي غاية الوضوح والصراحة والواقعية .

وفي رأيي ان الانطلاقة الاولى يجب ان تبدأ من «الثقافة» اولا وقبل كل شيء ! ولأشرح وجهة نظري هذه اقول :

لقد كان المنطق الشكلي « الأرسطي » يميز بين«الانسان» وغيره من الكائنات الحية الاخرى بأنه « حيوان ناطق » ! ولكن المنطق الحديث ــ المنطق الموضوعي القائم على عنصري الملاحظة والتجربة ، والذي اليه يرجع اكبر الفضل في النهضة العالمية الحديثة ــ لا يكتفي بهذا التعريف الشكلي العقيم ، بل ينادي بتعريف آخر موضوعي ومنتج فيقول : « ان الانسان حيوان مفكر ومتطور ! » واذن فميزته العظمى التي يستطيع في اطارها الخطير الخلاق ان يثبت وجوده ، بل حصافته وعبقريته، تكمن في قدرته على استغلال هاتيه القوتين العظيمتين فيه : القدرة على التفكير ، والقابلية للتطور . واما وسيلة تفجير هاتين القوتين فيه فتلكم بالبداهة هي : « الثقافة » .

ومعنى هذا اننا حين نريد من « الفرد » المسلم ــ باعتباره الخلية الحية التي منها يتكون المجتمع الاسلامي ــ ان يكون معافى في دينه وجسمه وروحه ، عاملا لما فيه مصلحته ومصلحة مجتمعه ، يجب علينا قبل ذلك ان تهيئه لذلك بواسطة ثقافة اسلامية حية ، تربيه هذه التربية ، وتمده بمختلف هذه القوى ، وعليه فهل ثقافتنا الاسلامية بوضعها الحالي بحيث تستطيع ان تقوم بهذا الدور ، وتؤدي هذه المهمة ؟

اما الاسلام باعتباره وسيلة فذة لتربية الافراد والجماعات ونظاما محكما يضمن لمعتنقيه العافية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، فقد دل تاريخ الاديان المقارن على ان الاسلام لا يجارى في هذا المضمار ، وفي ذلك يقول الاستاذ « تريتون TRITON » استاذ الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن ما نصه : « ان الاسلام يعطي كلا من العالمين ــ الدنيا والآخرة ــ حقهما ، وفي وسع المسلم العصري ان يعيد النظر في الاسلام كله دون ان ينقطع عن الماضي ، وله ان يراجع احكام المعاملات والشريعة لان باب الاجتهاد مفتوح لا يزال .. والمسلمون يجتهدون اليوم ليثبتوا ان الانسانية الصادقة والآداب القويمة والعقل السليم تلقى ارفع تعبيرتها في شريعة الاسلام واحكامه ، ويسلمون ان دياناتهم اليوم ليست على ما يحبون ، وان الاصلاح ضرورة لا محيص عنها ، ولكنهم يصرون على ان الاسلام دون غيره هو الذي يصلح لمطالب النوع الانساني ، فقد تغيرت الاحوال ، ووجب ان تتغير معها النظرة الى الديانة . وقد كان اثر الغزالي في الشيخ محمد عبده قويا يبدو واضحا في فهم الدين على انه عقيدة باطنية حيوية من شؤون السريرة ، وان الشعائر الخارجية ثانوية مضافة اليها ، وقد اخذت طائفة من تلاميذ الشيخ عبده تنقاد لمذهب الحنابلة ، فتجمعت من ذلك دعوة الى رفض البدع المستحدثة ، والرجوع الى سلامة العقيدة الماضية، وتضمنت هذه الدعوة برامج اصلاح في الشؤون الدينية والاجتماعية والاقتصادية تثبت ان الاسلام قابل للتدين به في الاحوال الحاضرة ، وهم يؤكدون ان الاسلام اذا فسر كما يفسرونه يتكفل بالحل الوحيد لمشكلات المجتمع والسياسة والدين»

وفي سنة 1906 م افتتحت جامعة شيكاغو قاعة محاضراتها الاسلامية ، فحصر اول محاضر فيها وهو الاستاذ « دنكان بلاك مكدونالد » اهم الموضوعات التي يمكن ان يدور عليها البحث في ثلاثة وهي : الشخصية المحمدية ، ومدارس التصوف ، واطوار الامم الاسلامية في حركة التجديد .

وصفوة ما انتهى اليه في هذه الموضوعات الثلاثة (ان الشخصية المحمدية لا تزال بعد اربعة عشر قرنا مصدر المدد المتصل في تقوية المسلم . وان الصوفية قد خلقت متنفسا للعقيدة الفردية التي يدين بها المسلم المستقل بتفكيره واعتقاده عن سلطان الشيوخ وسلطان الجماهير . وان اطوار المسلمين تختلف اختلافا لا بد منه بين اناس ينتمون الى كل جنس وكل اصل من

الاصول البشرية ، ولكن الاسلام قد اوجد بينهم اخوة عامة قل ان يوجد لها نظير في اتباع الكنيسة الواحدة ٠)

ويعلق المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه : « الاسلام في القرن العشرين » على هذه الآراء وكثير من مثيلتها فيقول : « ٠٠٠ ان الغربي مشغول بامر الاسلام شغل من يشعر بيقظته ، ويترقب ما وراء هذه اليقظة فلا يخرجها لحظة من حسابه واهم ما يهمه ان يعلم كيف يقف الاسلام غدا من مجاميع الامم الغربية والشرقية ، وكيف يكون مسلكه اذا التحمت المعسكرات ثم افترقت عن هزيمة هذا وانتصار ذاك ! ٠٠ واخفى ظواهر هذا الاهتمام شيوع الطبعات الشعبية من ترجمة القرآن الكريم ، وابلغ من دلالة هذا الشيوع ان يقول رجل من رجال الدين وهو يقدم المختارات من آي القرآن انه اذا لم يكن كتابا فهو « صوت قوي حي » ٠٠٠ وذلك غاية ما ينتظر ممن ينكر الكتاب ! »

★ ★ ★

تلكم لمحات خاطفة عن الاسلام باعتباره مثلا اعلى عقيدة وشريعة ونظاما ، وعن الفكر الاسلامي باعتباره نموذجا فريدا في موضوع تربية الفرد والجماعة عن طريق الثقافة ٠

ويقى « المنهاج » الذي يجب ان يسلكه رواده والداعون له ٠٠٠ وهذا المنهاج ـ نظرا لخطورته ـ يستلزم منا وقفة خاصة نرجو ان نوفق لها في العدد القادم بعون الله ٠

الرباط ـ محمد عبد الواحد بناني

مناقشات

نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

- 8 -

جواب سفارة المملكة السويدية بالرباط عن عدد الملحدين في بلادها .

زرت السفارة السويدية غير مرة ، وفي كل مرة تلقاني الوظفون بالترحيب والاكرام ، وسألت الوظف المختص عن عدد الملحدين في بلادهم ونسبتهم الى عدد السكان ، فكتب الي ما ترجمته :

الرباط في 31 مارس 1965 .
سيدي الاستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي .

بناء على زيارتكم الاخيرة لسفارتنا ، لي الشرف ان اخبركم انه من سنة (1952 ـ 1964) يعني اثناء مدة (12) سنة .

مجموع عدد الذين تركوا كنيسة الدولة بالنسبة المائوية ، صفر فاصلة خمسة في المائة .

من مجموع السكان البالغ عددهم سبعة ملايين وستة اعشار المليون .

اما تفاصيل الطوائف المسيحية وعدد كل منها ، فسأطلب معرفة ذلك من وزارة الشؤون الخارجية في استوكهلم ، ومتى حصلت على جواب فسأتشرف بارساله اليكم .

وتفضلو يا سيدي الاستاذ بقبول عواطفي الممتازة نحوكم .
التوقيع **هيمنك كاد** ، المستشار بالسفارة .

من المعلوم ان الشعب السويدي في مقدمة الشعوب البالغة الدرجة القصوى في المدنية . ومع ان الشعوب السكندنافية كلها عريقة في الحضارة والرقي، ومن اقدم الشعوب اخذا بالديمقراطية والحكم النيابي . ومن مزاياها الاستقرار والطمأنينة والبعد عن الثورات والقلاقل وتطاحن الاحزاب المفرط ، فمن ذلك اخذها بالحكم الملكي الدستوري واغتباطها به ، وعدم المبالاة بالاضطرابات والانقلابات التي وقعت في جيرانها من الاوربيين. ويمكن ان يقال ، ان الشعب السويدي هو انشط هذه الشعوب واقواها ، فانه استطاع ان يحافظ على حياده في الحرب العالمية الاخيرة ، ولم يستطع هتلر ان يخضعه الى نفوذه ، فضلا عن احتلال بلاده ، ولا استطاع احد من اعداء هتلر الاقوياء ان يستلبه ولا ان يبسط عليه نفوذه ، وبذلك سلم من ويلات الحرب وبقي محفوظ الكرامة مرفوع الرأس ، لا يشاركه في ذلك الا الشعب السويسري والشعب الايرلاندي المستقل . ومن آيات الاستقرار في هذه الشعوب السكندنافية انني لما زرتها في السنة الماضية ، مع اني كنت حاصلا على سمات الدخول من سفاراتها الثلاث في الرباط لم يسألني احد عن جواز السفر الا حين وطئت قدمي ارض دانمارك بعد عبور بحر بلطيق في معدية من المانيا الشرقية الى دانمارك ، ومنها عبرت الحدود الى الاراضي السويدية ومن الاراضي السويدية الى الاراضي النرويجية، وقع ذلك مرارا وتكرارا ذهابا وايابا ، فلم يوقفني احد ولم يسألني احد ، لا في الحدود السويدية ولا في الحدود النرويجية، حتى كأن هذه البلدان الثلاثة بلد واحد .

وكل هذه الشعوب متمسكة بدينها اشد التمسك مع حرية الاعتقاد الواسعة التي يتمتع بها افرادها ، وقد رأيت ايها القارئ في الحلقة التي قبل هذه تدين الشعب النرويجي ، وانت ترى في هذه الحلقة ان عدد الملحدين الخارجين عن الكنيسة ـ بقطع النظر عن الاسباب التي دعتهم الى الخروج عليها ، وكثيرا ما تكون غير الالحاد، كالتزوج بين شخصين، احدهما كاثوليكي والاخر بروتستانتي وكالتأخر عن دفع ضريبة الكنيسة والالحاح المفضي الى الكفر بها ، لا بالدين نفسه الى غير ذلك من الاسباب، ومع ذلك لم يخرج عن الدين من سكان البلاد السويدية الا نصف واحد في المائة . فأين ما يتبجح به دعاة التحلل من قيود الاخلاق والمروءة الذين غلبت عليهم الطبيعة البهيمية فأهملوا عقولهم واخلدوا الى ارض الحيوان الاعجم واقتنعوا بالعيش للاكل والشراب والنوم وما اشبه ذلك من الغرائز التي يشاركهم فيها كل صاهل وناهق وعاو وخائر ، ومن هو اقل من هذه الحيوانات شأنا حتى يبلغ الامر الى الاميبات التي لا

تبصر بالعين المجردة (أرأيت من اتخذ الهه هواه ، افأنت تكون عليه وكيلا • ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ، ان هم الا كالأنعام ، بل هم اضل سبيلا) ، الفرقان 43 — 44 •

شبهـــات الملحديـــن

تقدم ابطال شبهـات « جوليان هكسلـي » الفيلســوف الانكليزي في المقالات الاربع والعشرين التي نشرت في مجلة دعوة الحق من الجزء الرابع ، السنة الثالثة الى الجزء الثالث — السنة السادسة • ثم عدت لنقل كلامه والرد عليه باختصار لمـا مرق كلامه « ريني الحبشي » وتبجح به عدت لذلك في الحلقة الثالثة من هذه السلسلة ، ونشرت السلسلة الاولى تحت عنوان (دواء الشاكين وقمع المشككين) وهذه السلسلة تنشر تحـت عنوان (نقد مقال العوائـق النفسانية للتخطيط) وفي كلتـا السلسلتين يؤخذ « ريني الحبشي » فيفل ويسلك ، ثم يعتل هو واضرابه الى سواء الجحيم ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهـم في الآخرة عذاب عظيم • وستری هنا شبهات سائر الملحدين والرد عليها وازهاقهـا بالبراهين العقلية القاطعة والحجج الدامغـة بحول الله وقوته •

شبهـات الدكتور بخنـر الالمانـي

قال الاستاذ محمد فريد وجـدي رحمـه الله : من اكبـر الداروينيين الدكتور « بخنر » الالماني ، وقد اورد شبهات على الخالق ، نقلها عنه العلامة « كامل فلامريون » الفلكي الفرنسي في كتابه (الله في الطبيعة) منها انه لما كتب العلامة « أوستيد » قوله (ان الكون محكوم بحكمة ازلية تظهر لنا آثارها بواسطة القوانين الثابتة في الطبيعة) لم يرق قوله هذا في عين الدكتور « بخنر » فكتب يرد على « أوستيد » بما يأتي :

« لا يمكن ان يتصور احد ان تتفق حكمة ازلية مع نواميس طبيعية ثابتة • فاما ان تكون النواميس هي الحاكمة ، واما ان تكون الحاكمة هي تلك الحكمة الازلية • فاذا كانـت الحكمـة الازلية هي الحاكمة فلا لزوم لقوانين الطبيعة ، واذا كان الامر بالعكس ، وكانت النواميس الطبيعية هي الحاكمة ، فان ذلك ينفي كل تدخل سماوي • انتهى

قال « كامل فلامريون » عقب هذا : اتفق ان « بخنـر » هذا ناقض نفسه بنفسه ، واقام الدليل على فساد استشكاله وهو لا يشعر وذلك انه لما انتشرت الكوليرا في بـلاد الانجليـز ، واخذت تفتك بالناس فتكا ذريعا ، طلبت هيئة « الاكليروس » الانجليزي من اللورد (بالمرستون) وزير الدولـة اذ ذاك ان يقرر ، بأن يصوم الناس يوما ليرفعوا فيه اكف الضراعـة الى الله بأن يزيل الكوليرا عن بلادهم •

فأجابهم اللورد ، بأن ملاشاة الكوليرا لا تتأتـى الا باتخاذ الوسائط الصحية ، وان لا دخيل للدعاء والعبادة في مثل هذا الحادث • فمدحه الدكتور « بخنر » هذا واثنـى عليـه في مقالة كتبها جاء منها : (كيف يعقل ان المشرع الأقدس يخالف ما وضعه من النواميس والقوانين الثابتة بدعوات الداعين وبكاء الباكيـــن) •

فانظر كيف ناقض نفسه بنفسه ، لأنه قال في رده على الاستاذ « أوستيد » : انه لا يمكن تصور وجود النواميس ثابتة متحدة مع حكمة ازلية • وهنا يستبعد ان الخالق الاقدس يعارض سير النواميس التي وضعها بنفسه وحكم بها مخلوقاته •

يلوح لنا ان الملحدين حين يهمون بالاشتباه على وجـود الخالق يمثلون في عقولهم تلك العقيدة على النحو التي هي عليه عند احط الناس عقولا •

يقول كاتب هذا المقال : هذه شبهة واهية ، بل مغالطـة جلية ، زيادة على كون « بخنر » تناقضت اقواله فأثبت وجود الخالق سبحانه في موضع ونفاه في موضـع آخـر ، يقال لـه ، أرأيت هذه النواميس التي تزعم انت انها تحكم العالم ، اهي واحدة ، ام متعـددة كما يـدل عليـه لفظهـا ؟ ثم ألها علـم وقدرة وارادة وخطة مرسومة ، ام هي عمياء صماء تعمل اعمالا دقيقة مختلفة مؤقتة مطردة بلا علم ولا قدرة ولا ارادة ولا خطة مرسومة ، فان قال ، انها متعددة عمياء لا علم لها ولا ارادة فقد ابطل زعمه ، لانها حينئذ تحتاج الى واضع خالق مدبر مسير كما اعترف به في الموضوع الآخر • ثم يقال له : اخبرنا عن هذه النواميس ، أهي أزلية ابدية ، ام محدثة ، فان قال انها ازلية كذبه ما تقدم من براهين الفلاسفـة والعلماء ، وان قال ، انهـا محدثة ، اورد عليه ما يلزم المحدثات من العجـز والافتقـار الى غيرها كما تقدم مبسوطا ، فلا حاجة الى اعادته • انظـر اقوال الفلاسفة في الحلقات السابقة •

الشبهة الثانية « لبخنر » ايضـا

زعم « بخنر » ، ان عموم النظام في كل ما يدركه الانسان من الاجرام القريبة والبعيدة ، حتى التي لا تدرك الا بأكبـر مجهر (تلسكوب) وعدم شذوذ شـيء منها عن النظام يدل على انه ليست هناك قوة تحركها اذا شـاءت ، وتوقفهـا اذا شـاءت وتبيدها اذا ظهر لها ذلك ، وتعكس سيرها تارة ، وهذه الحجة بنفسها هي حجة المثبتين ، فان هذه الاكوان القريب منها والبعيد ، والمدرك بالحواس ، والمدرك بالآلات بلغت في الاتقان والنظام الى حد يستحيل على العقل ان يصـدق انها تسير بالمصادفـة ، وكان حدوثها بالمصادفة بدون قصد ولا علم ولا خطة سابقـة • راجع كلام « روســو » « وفولتيـر » وغيرهمـا من الفلاسفـة المثبتيـــن •

قال كاتب هذا المقال : كل من حصر العلم في معلوماته او مشاهداته وحكم ببطلان كل ما لا يعلمه فقد سد على نفسه باب المعرفة وصار اجهل الجاهلين . وفي كل يوم تتكشف للانسان معلومات كان يجهلها كل الجهل ، بل كان ينكرها ويعتقد انها من قسم المستحيل ، ثم بعد اكتشافها صارت عنده من البديهيات ، وما احسن قول الله تعالى في سورة الاسراء 85 (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وقوله تعالى يخاطب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم (وقل رب زدني علما) وحكاية الخضر مع موسى لما سافر اليه لطلب العلم ، وهي مفصلة في سورة الكهف ترشد العقلاء الى ان العلم لا حد له ، وان الانسان كلما ازداد علما ازداد معرفة بقلة علمه .

ونقل محمد فريد وجدي عن الفيلسوف (اجوست سباتييه) في كتابه (فلسفة الاديان) : ان العلماء اول المعترفين في كل فرع من فروع العلم بأنهم لم يدركوا منه الاجزاء محدودا ، وان اكثرهم تواضعا هم اكثرهم علما . على ان كلهم يعترفون بان ما حصلوه للآن من الاكتشافات ، وما درسوه من هذا الجزء اليسير من الطبيعة ليس الا عدما بالنسبة لما يجهلونه . فهم مستعدون لتنقيح القوانين التي قرروها ، وتوسيع الفروض التي فرضوها ، وضم كل ما يشاهدونه من المشاهدات الصحية الى ما لديهم منها .

نعم ، انه يوجد من بين هذه المشاهدات ما يدهشهم ويشوش افكارهم كما تراه كل يوم ، ولكنك لو تلاحظ موقف العالم الحق امام هذه الظواهر الجديدة تراه لايشك في انها تابعة لنواميس مجهولة ، ولكنها حقيقة وموجودة ، وتراه لا ييأس من امكان عزوها الى تلك القوانين وزيادة مواد العلم بها . وتجاحه السابق يضمن له نجاحه في المستقبل ، وتراه يتبع ابحاثه بدون طيش ، لانه لا يعرف الجبن الأدب .

شبهـــات الحسيـيــن

نقل محمد فريد وجدي عن احد ائمتهم وهو « ليتريه » في كتابه المسمى (كلمات عن الفلسفة الحسية) قوله : لما كنا نجهل اصول الكائنات ومصائرها ، فلا يليق بنا ان ننكر وجود شيء سابق عليها او لاحق لها ، كما لا يليق بنا ان نثبت ذلك . فالمذهب الحسي يتحفظ كل التحفظ في مسألة وجود العقل الاول لاقراره بجهله المطلق في هذا الشأن ، كما ان العلوم الفرعية التي هي منابع للمذهب الحسي يلزمها ان تتحفظ من الحكم على اصول الاشياء ونهاياتها . بمعنى اننا ان لم ننكر وجود الحكمة الالهية فلا نتعرض لاثباتها ، فنحن على الحياد التام بين النفي والاثبات .

قال محمد فريد وجدي عقب نقله كلام « ليتريه » ما نصه : هذا قول عمدة من عمد الفلسفة الحسية ، ومنه يرى كل انسان ان ليس لدى القوم برهان ولا شبه برهان على نفي الصانع . وانهم ناس حبب اليهم عدم التدخل في هذه المسألة بالمرة . وبعبارة اصرح ، انهم ناس يريدون في اثناء حكمهم على الاشياء كما يقول الدكتور (روبنيه) في كتابه (الفلسفة الحسية) ان يبعدوا كل ما لا يدرك بالحس ، وان لايعتمدوا الا على المشاهدة المحسوسة .

نقول : ان كان الامر كما يدعون فالخطب سهل ، ولا يهمنا امر قوم اخذوا على انفسهم ان يثبتوا ولا ينفوا شيئا الا بدليل محسوس ، ولكن ما قولهم في انهم خالفوا قانونهم ، وكان اول من خالفه شيخهم « ليتريه » . وذلك ان هذا الاستاذ نفسه كتب في مقدمة وضعها لكتاب « المذهب المادي » تأليف (لابليه) هذه العبارة : ان الطبيعي يعلم ان للمادة وزنا ، كما ان الفزيولوجي يعلم ان المادة العصبية تفكر ، ولكن بدون ان يدعي واحد منهما معرفة كيف تزن المادة ولا كيف تفكر الاعصاب .

انظر كيف خالف « ليتريه » قانونه بنفسه ، وزعم ان الاعصاب هي التي تفكر ؟ هل لديه دليل محسوس ان لا روح للانسان ، وان الاعصاب هي التي تفكر ؟ اما كان الاجدر به ان يقر بالعجز امام هذه المسألة ، وهي اعوص المباحث الفلسفية على الاطلاق ، ان كان يريد ان يحرص على قانون الفلسفة الحسية .

اتريد دليلا آخر على نفي الحسيين للاشياء بدون برهان ؟ قال « ليتريه » نفسه في كتابه (كلمات عن الفلسفة الحسية) : يظهر لنا ان الاسباب التي اوجدت الكون ، هي ذاتية فيه غير متميزة عنه ، وهي التي نسميها نحن بالنواميس الطبيعية .

انظر كيف ادعى بدون برهان (محسوس) ان الاسباب التي خلقت الكون ذاتية فيه ، وانها هي المسماة بالنواميس . على ان الناس في بحثهم عن الخالق لا يضربون في الخيال ، ولا يخوضون في الاوهام ، انهم يبحثون عن السبب الاول الذي اوجد الكون على النحو الذي يبحث به العلماء عن النواميس .

يقول محمد تقي الدين الهلالي : من امثال العرب السائرة (اذا كنت كذوبا فكن ذكورا) اراد هذا المادي المعترف بالعجز والجهل ان يطبق عقيدته التي لا يختلف فيها الانسان عن الحيوان الاعجم . فلما وصل الى الاداة التي خلق الله فيها التفكير ، وهي الاعصاب ، خانته الذاكرة فأثبت التفكير للأعصاب ، وهذا مخالف لعقيدته ، لان نسبة التفكير الى الاعصاب من نسبة الفعل الى الفاعل بالمعنى اللغوي . ولا يوجد دليل حسي حسب مذهبه يثبت ان الاعصاب هي التي تفكر ، فظهر تناقضه . وكان ينبغي له ــ لولا ان الله اراد ان يفضحه ــ ان يلجأ الى الجهل عند العجز كعادته فيقول : ان الفكر موجود في العصب ، ولكن لا ادرى من اين جاء هذا الفكر الى العصب .

فنقول نحن : ان كنت انت لا تدري فنحن ندري ان الذي اوجده في العصب هو الذي رجع وجود العالم الممكن على عدمه (الله خالق كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل) وقد تقدم البرهان على ان العالم ليس ازليا ، وتقدم البرهان كذلك على ان العالم لا يمكن ان يوجد نفسه ، لان وجوده آت من غيره . وهذه اركان البرهان على وجود الله سبحانه وقيوميته وتدبيره لجميع الكائنات .

ثم لخص محمد فريد وجدي بحث الماديين وبحث الفلاسفة المثبتين لوجود رب العالمين فقال ما نصه ، قال «ليترى» يظهر لي ان الاسباب التي اوجدت الكون ذاتية فيه ، وهي التي نسميها بالنواميس .

وقال قائل الطائفة الثانية : يظهر لي ان للكون سببا واحدا بصيرا بما يعمل ، والا فمن اين نشأ هذا الابداع المستفيض على الاكوان ، وكيف خلقت هذه الكائنات لمقاصد متنوعة ، وغايات مقررة ؟؟

فالبحث عن الخالق ، ليس من باب البحث عما لا ينفع ، لان ادراك السبب الاول للوجود رغبة من رغبات العقل ، بل حاجة من حاجات الروح ، فليس الانسان كالحيوان خلق ليأكل ويشرب ثم يموت ، بل له وراء هذه الحاجات الجسدية حاجات لا يحددها وهم الواهم ، ولا يصورها خيال المتخيل .

ان الكائن الذي سخر الهواء والماء والمغناطيس والكهرباء وما وراء ذلك من الاشعة الخفية ، والقوى غير المرئية ، لا يقنعه ان يعيش معيشة الحيوان ، فهو ميال بطبعه لاكتشاف سر الحياة والموت ، بل سر الوجود كله ، وكائن هذه صفاته لا ينصرف عن البحث في السبب الاول للكون ، ولو جعلت عقابه على البحث فيه الموت .

يقول كاتب هذا المقال : والماديون يريدون منا ان نطفيء نور العقل ونقنع بالجهل ، او ان ننسب الاعمال الباهرة الدقيقة المتنوعة المختلفة المتضامنة التي يسير كل جزء منها ، وان كان دقيقا في منهاجه المرسوم ، لا يحيد عنه ابدا ، يريدون منا ان ننسب ذلك الى المادة الصماء العمياء ، التي هي فاقدة للحس والشعور وللعقل والادراك ، وتعتقد انها تعطي حسا ، ولا حس لها ، وتعطي شعورا ، ولا شعور لها ، وتعطي عقلا . ولا عقل لها ، وذلك منهم شطط ما بعده شطط ، وتعسف تجاوز الحد ، وليس في قدرة عاقل ان يقبله ، ولعل قائلهم يقول : نحن مضطرون الى ذلك التعسف لنخرج من سلطان الكنيسة الذي ارهقنا وضيق علينا الخناق ، وتدخل في كل شيء من شؤوننا ، فنقول له : لقد اخطأت طريق الرشد وسلكت سبيل الغي ، فهلا ناقشت الكنيسة الحساب مع الاعتراف بحكمة الملك الوهاب ، لترجع الى الصواب ، او تخرج انت من ربقتها متمتعا بنعمة عقلك غير ملوم ، فنحن لا نؤله البشر ، ونجعل الحكم كله لله مستنيرين بنور العقل ، طالبين زيادة العلم ، غير متعسفين في الحكم ، فان ابيتم فلكم دينكم ولي دين .

وموعدنا الجزء التالي لسرد بقية الشبهات والجواب عنها بحول الله .

ليعلم ذو « الرين الحبشي » ان ريحه لاقت اعصارا ، وان الحق لا يعدم انصارا ، وقل اعملوا على مكانتكم انا عاملون ، وانتظروا انا منتظرون .

مكناس — تقي الدين الهلالي

أبحاث ودراسات

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ عبد الله كنون

حرف الحاء :

136) في ص 145 (ع. ى.) تعريف بابن الحاج الفاسي صاحب المدخل جاء فيه : «هو ابن عبد الله محمد القيرواني التلمساني المالكي » والمعروف ان والده اسمه محمد وكذلك جده فهو محمد بن محمد بن محمد ، وعليه فقوله ابن عبد الله خطأ ان لم تكن محرفة من كنيته اي ابو عبد الله وكذلك وصفه له بالقيرواني والتلمساني فان ما اشتهر به هو نسبته الى بلده فاس التي ولد ونشأ بها ، ولو وصف بالنسبة لغيرها لكان حريا ان يوصف بالنسبة الى مصر التي اقام فيها نحو الاربعين سنة ، وليس يكفي مروره بتلمسان او بتونس لوصفه بالتلمساني والقيرواني (انظر ترجمته في الحلقة (22) من سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب) .

137) في ص 148 (ع. ل.) ترجمة للحارث بن حلزة الشاعر الجاهلي المعروف ، جاء فيها انه اشتهر بمحاماته عن قبيلته امام « عمر بن الهند » والصواب عمرو بن هند .

138) في ص 149 (ع . ى) تعريف بحامد بن العباس الوزير ذكر فيه انه بطش بالقرمط والصوفية والامامية ، وكلمة القرمط هنا غريبة فانها لا تصح على الافراد ولا على الجمع ، اذ لو كان يقصد شخصا بعينه لكان عليه ان يقول القرمطي ، ولو كان يريد الجماعة لوجب عليه ان يقول القرامطة ، وحتى صاحب دعوة القرمطية ورأسهم الذي به عرفوا واليه ينسبون ، انما يقال له قرمط بدون تعريف ، وهو لقبه واسمه حمدان على ما قيل او غيره .

139) وفي المكان نفسه وقع ذكر لحاميم المتنبيء ، جاء فيه انه رجل من قبيلة بني زروال البربرية ، والمعروف ان حاميم من غمارة ومن قبيلة منها يقال لها مجكسة ، فلا محل لذكر قبيلة بني زروال هنا ، والمؤلف يقلد في ذلك دائرة المعارف الاسلامية ، وكاتب المادة فيها ، هو ريني باسي ، وله تعليقات عجيبة واخطاء شنيعة سننبه عليها في بحث مستقل ، وفيه تبين من اين اتى بتلفيقه هذا في نسب حاميم .

140) في ص 150 (ع . ل .) ذكر لحبابة جارية يزيد ابن عبد الملك ضبط فيه هذا الاسم بتشديد الباء ، وهو بفتح الحاء والباء بدون تشديد ، وقال انها معشوقة يزيد ، ولا ادري لما ذا المخالفة عن تفسير جميع المؤرخين بجارية ؟ ثم قال ماتت من حبة عنب او رمان فبلغ من خوف يزيد وحزنه ان مات بعدها بايام ، ولم يقل احد ان يزيد مات بعدها من الخوف ولكن من الحزن عليها ، حتى انه لا يعلم خليفة مات حبا غيره كما قيل .

141) وفي هذا العمود ترجمة لابن حبان صاحب الصحيح ، وهو محمد بن حبان البستي التميمي يكنى ابا حاتم ، وقد تقدم له ذكره في اول الحرف ، في ابي حاتم ، ثم اعاد ترجمته في ابن حبان ظنا منه انه شخص آخر ، وثم قال انه توفي سنة 966 وهنا جعل وفاته سنة 965 ، وما تسبه اليه هنا من كلام في النبوءة ينظر تحقيقه في الطبقات لابن السبكي ج 2 ص 141 على انه انما نقل ذلك عن دائرة المعارف الاسلامية من غير تحرير .

142) في الصفحة نفسها (ع . ى) موضوع سماه الحبل بلا دنس ، قال انه اسم يطلقه المسيحيون على سيدتنا مريم العذراء التي حبل بها بدون ان تلحقها وصمة الخطيئة الاصلية ، وبقطع النظر عن هذه الخطيئة الاصلية فانا نظن ان صواب العبارة هو التي حبلت بدون زوج وبدون ان يكون ذلك ناشئا عن خطيئة كما يقول اليهود قبحهم الله .

143) في ص 151 (ع . ل .) ترجمة لحبيب بن مسلمة الفهري ، ضبط فيها اسم ابيه بضم الميم وكسر اللام ، وهو بفتحهما وعرفه بانه مكي من بني فهد ، والصواب فهر بالراء ، وقال انه من اعظم قواد الخليفة معاوية ، وهو في الحقيقة كان قائدا مذكورا في ايام عمر ، ثم قال : لقبه حبيب الروم ومجاب

الدعوة ، وليس هذا بلقب له ، وانما قيل له حبيب الروم من كثرة قتاله لهم ٠

144) في ص 153 (ع ٠ ل ٠) تعريف بالحجاج بن يوسف ، جاء فيه انه حاصر في مكة مصعب بن الزبير المدعى بالخلافة ، وظاهر ان المراد عبد الله بن الزبير لا اخوه مصعب ، فهو الذي قاتله الحجاج وهو الذي كان خليفة وقتا ما ، لا مدعيا بالخلافة ، ثم ان قوله المدعي بالخلافة هو تعبير عامي صوابه المدعي الخلافة ٠

145) وفي هذا العمود ايضا ذكر حجر آكل المرار ملك كندة وضبط بفتح الحاء وسكون الجيم ، وهو بضم فسكون او بضمتين لا غير ، ولينظر القاموس ٠

146) في هذه الصفحة (ع٠ ى٠) ورد ذكر حجر النسر الحصن المعروف الذي آوى اليه الادارسة في دولتهم الثانية بالمغرب ، وقد وقع للمؤلف فيه اخطاء : ضبطه بضم بسكون وهو بفتح اوله وثانيه معا ، وقال : بناه ابراهيم بن محمد قاسم (كذا) ابن ادريس الثاني ، والصواب ان الذي بناه هو محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس ، كما في القرطاس وغيره ، ثم قال : وفيه استقر ابناه جنون وحنون ، وهذه مصيبة « ان المؤلف يلخص هذا الكلام من دائرة المعارف الاسلامية ، والذي فيها الاشتباه في اسم جنون ، هل هو بالجيم او بالحاء ، فقد ورد في البكري مصحفا بالحاء فكان ذلك مما اوقع صاحبنا ريني باسي كاتب المادة في دائرة المعارف في الشك ، هل هو جنون وحنون ، لا براهيم بن محمد باني الحصن ، وهذا خطأ يراجع ابن خلدون والقرطاس والاستقصا وكتب النسب ، ليعلم الحقيقة ، وكان يكفيه ان يرى هؤلاء وغيرهم اكثر ما يكتبون هذا الاسم بالكاف المعقودة وهو بذلك لا يمكن ان يشتبه بالحاء اصلا ٠٠ ويا ليت الامر اقتصر على تردد كاتب المادة في الدائرة فقد جاء مؤلف المنجد وطرح الشك جانبا وجعلهما ابنين اثنين ، جنون وحنون ، لا ابراهيم بن محمد باني الحصن ، وهذا خطأ آخر زيادة على الخطأ في جعله بانيا للحصن فان جنون او كنون هو ابن للقاسم لا لابراهيم ، هذا وقد حققنا موقع قلعة حجر النسر في كتاب النبوغ المغربي فلينظر ٠

147) في ص 154 (ع ٠ ل ٠) ما نصه : حذام (بكسر الحاء) علم لامرأة في الجاهلية يضرب بها المثل في حدة البصر وتلقب بزرقاء اليمامة ، وفيها قول الشاعر :

اذا قالــــت حـــــذام فصدقوهــــــا
فـــان القـــول مـــا قالــت حـــــذام

ولا ادري كيف يتصدى للتأليف ، وتأليف المعاجم بالخصوص ، من تشتبه عليه الامور الى هذا الحد ، فأولا – ضبط حذام هو بفتح الحاء وكسر الميم على صيغة فعال المخصوصة بالمؤنث ، وليس بكسر الحاء كما ضبطه المؤلف ، وثانيا – حذام ليست هي زرقاء اليمامة التي يضرب بها المثل في حدة البصر ، ولو تأمل قليلا لادرك ذلك من معنى الشعر الذي انشده فانه لا اشارة فيه اصلا الى حدة بصرها ، وثالثا – ان ما عرفت به حذام هو الصدق ٠ وبذلك ينطبق عليها البيت الذي انشده ويتحقق فيها معناه ، وقصة كل من حذام وزرقاء اليمامة مذكورة في مظانها وتخالف احداهما الاخرى ، كما ان قومها ليسوا قبيلا واحدا ، فهذه نجدية وتلك يمانية ، والغريب ان المؤلف ذكر زرقاء اليمامة في حرف الزاي ولم يذكر انها هي حذام ولا انشد فيها البيت الانف الذكر ٠

148) وفي تلك الصفحة (ع ٠ ى) ذكر المؤلف جبل حراء ، فقال : فيه غار اختفى فيه النبي في عودته من الطائف حتى استطاع دخول مكة بعد الهجرة ، والحراء (كذا) تعرف ايضا بجبل النور ٠٠ والخبط الذي في هذا التعريف لا يقل عن الذي في المادة قبله ، فغار حراء اشتهر بكون النبي (ص) كان يتعبد فيه قبل النبوة ، ليس غير ، وفي عودته (ص) من الطائف لم يختف في غار ، وعلى قول هذا المؤلف يلزم انه (ص) بقي مختفيا في حراء نحوا من عشر سنين اي من عودته من الطائف في السنة العاشرة للبعثة الى دخول مكة بعد الهجرة في عمرة القضاء سنة سبع ، اذ ذاك ما تعطيه عبارته ، ولا يخفى بطلانه ، ثم ان قوله والحراء بزيادة الالف واللام خطأ فهو معرفة بالعلمية لا تدخلـــه ال ٠

في صفحة 156 (ع ٠ ل ٠) ذكر الحرث بن كعب المذحجي بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء فجعله المزحجي بالزاي والحاء المفتوحة وهو خطأ ٠

150) وفيه ايضا ترجمة لعبد الحق الاشبيلي صاحب الاحكام ، ذكره في حرف الحاء على اعتبار انه يعرف بابن الحراث وهو خطأ فان ما يعرف به هو ابن الخراط بالخاء والطاء ولا ادري كيف وقع له هذا الخطأ ، ثم انه لم يذكر له من التآليف ان الجمع بين الصحيحين وهو انما اشتهر بكتبه الاحكام الكبرى والصغرى والعاقبة لا بما ذكره له ٠

151 وفيه كذلك ذكر حرقة بنت النعمان بن المنذر فجعلها الحرقة بالالف واللام وفتح الحاء وسكون الراء ، وذلك خطأ ، والصواب حذف ال وضم الحاء وفتح الراء ٠

152) في ص 157 (ع ٠ ل ٠) تعريف بالحريري صاحب المقامات ، ومما جاء فيه على علهلته قوله في وصف المقامات : بطلها الحريري زيد السروجي ، وهو لحن صوابه ابو زيد ، ثم انشد بيتي الزمخشري في المقامات :

اقســـم باللـــــه وآياتـــــــه
ومشعـــر الحـــج وميقاتــــــه
ان الحريـــــري حـــري بـــــان
تكتـــب بالتبــــر مقاماتـــــه

فاسقط مشر من عجز البيت وهو بذلك لا يتزن ، وجعل تكتب بالتاء وبناء الفعل للمجهول ، وذلك يؤدي الى الاقـواء في الشعـــــر :

153) وفيه ايضا ذكر حزب البحر المعروف للشاذلي ، وقال هو كتاب ، والذين يعرفون هذا الحزب يعلمون انـه لا يزيد على ورقة فلا يقال فيه كتـاب الا بالمعنـى اللغوي ، اي مكتوب ، ونسب الشاذلي الى اليمن وهو مغربي غماري لاخفـاء فيه ، فلا ندري من اين جاء بهذه النسبة اليمنية • ؟

154) في ص 157 (ع • ني) ترجمة لابن الخشـــاب صاحب الانتقاد على الحريري في مقاماته جعله الحساب بالحـاء والسين المهملتين ، وبذلك ذكره في حرف الحاء وقال : « من مؤلفاته كتاب الاستدراكات على مقامات الحريري وانتصار ابن البري مخطوط في استانبول» فخلط بين رسالة النقد على الحريري التي هي لابن الخشاب ورسالة الانتصار للحريري التي هي لابن بري بدون تعريف بال • وقال مخطوط والرسالتان مطبوعتان رائجتـــان •

155) في ص 158 (ع• ني•) ترجمة لحسن جلفي ، جاء فيها : « مات في الرشيد (مصر ، له مؤلفاته منها تذكرت شعراء والصواب رشيد تذكرة الشعراء •

156) في ص 159 (ع• ني•) ذكر لأبي الحسن المريني قال فيه انه العاشر من سلاطين بني مرين بتشديد الراء ، وهـي مخففة ، وانه تحالف عليه الاعراب فهـزم بالقرب من قيـروان وهي القيروان بأل •

157) وفيه ايضا تعريف بالسلطـان مولاي الحسن بن محمد العلوي ، جعله ابن احمد ، والرابع عشر من بيت الحسنى ــ كذا ــ اشراف سجلماسة وهو في الواقع السابع عشر ، ثم قال: « وهم يلقبون ايضا باشراف فلالي ، (يعني فيلالة) او العلوية» وزاد قائلا : « اهتم في تدريـب الجيش ••• وفي المشاريـع العمرانية » وهذا التعبير اهتم في كذا ليس من لغة المعاجم بل من لغة الاعاجم كما نبهنا عليه سابقا ، فلا يعتمده الناشيء الـــذي يقرأ منجد الآداب والعلوم •

158) وفيه كذلك تعريف بالاشراف الحسنيين، قال فيه: «هم سلالة الحسن بن علي وفاطمة» وهذا صحيح ولكنه قال بعد ذلك : « ويطلق هذا الاسم في المغـرب على الشرفـاء من سلالـة محمد النفس الزكية اخـي ادريس الاول وشرفاء سلالتـه يعرفـون بالادراسة » فخلط بين الاشراف العلويين والادارسة ، ولو قال بعد ادريس الاول : ويعرفـون بالعلويين وعلى الشرفـاء من سلالة ادريس المذكور ، ويعرفوق بالادارسة • لاصاب الصواب •

159) في ص 160 (ع• ني) ترجمة للحسين بن نمير جاء فيها انه قاتل في وقعة حرى في الحجاز وهو يعني وقعـة الحرة المشهورة بالمدينة •

160) في ص 161 (ع• ني) تعريف بحصـن العقـاب باسبانيا الذي وقعت فيه المعركة الشهيرة بين المسلمين والاسبان ، ضبط فيه العقاب بضم العين وهو بكسرهـا كما نص عليـه في الروض المعطار ، وكثيرا ما يغلط فيه الكتاب ، كما ضبط لفظ حصن بضم الحاء ، وهو خطأ فان الحصن مكسور وقد وقع لـه هذا الخطأ في هذا العمود والعمود الذي قبله حيث تكـرر لفظ حصـــــن •

161) في ص 163 (ع• ل•) عاد فذكر الحكيم الترمذي الذي سبق الكلام عليه في حرف التاء ، وذكر كتابه ترمذ وهو عنده بلا شك غير السابق ، ولذلك اعاد ذكره ولكنه زاد في هذه المرة ذكر لقبه الحكيم ، ولم يكن ذكره قبل •

162) في ص 165 (ع• ني) ذكر حماس الليثي فقال انه احد مشركي قريش حارب النبي يوم الخندق ثم اسلم بعـد ذلك ، وكانت وفاته ايام ابي بكر •• والمعروف في حمـاس هذا انه من مواليد عهد الرسول (ص) فكيف حاربه يوم الخندق وهو طفل ، ثم ان الذي ذكره ابن حجر في الاصابة انه في خلافة عمر كان يتجر في الحقاب والادم فقال له عمر اد زكاتك ، فلم تكن وفاته اذن في ايام ابي بكر • ولا نـدري من اين اتـى المؤلف بهذه المعلومات ، والظاهر انه اختلط عليه بغيره •

163) وفيه ايضا ذكر لحمدان قرمط بن الاشعث ضبط فيه قرمط بفتح القاف والميم •• وقال انه مؤسس القرمط ، وقد مر بنا آنفا ان قرمط هذا اختلف في اسمه فقيل حمدان وقيـل غيره • ومما قيل فيه الفرج بن يحيى او ابن عثمان ، ولم نر من قال انه ابن الاشعث كما ذكر المؤلف وضبط قرمط المشهـور فيه كسر القاف والميم ، والقرمط لا يصح ان يكون اسم النحلة فكان عليه ان يقول مؤســس القرمطية •

164) في ص 166 (ع• ل•) ذكر لحمزة الاسلمي من الصحابة ، جعله المؤلف حمزة الاسلامي ولم يعرف انه منسوب الى اسلم ، بطن من الازد لا الى الاسلام، فالصحابة كلهم اسلاميون•

165) في ص 168 (ع• ل•) ترجمة لحمد الحنيفي ، جاء فيها انه فقيه تعلم في حلب وفي الازهر الدروس التركيـة ولا ندري هل كان الازهر في وقت ما يعطي دروسا في التركية ثم قال : له مختصر دلائل الاعجاب للجرجاني ، وهو دلائـــل الاعجاز بالزاي •

166) في ص 170 (ع• ل•) ترجمـة لحيـص بيص الشاعر المشهور ضبط فيه لقبه هذا بكسر الحاء من حيص والباء من بيص وهما بالفتح • (✱)

طنجة ــ عبد اللــه كنـون

(✱ تنبه الكتاب العرب اخيرا الى مهزلة منجد الآداب والعلوم فتناولته اقلامهم بالنقد في مجلة المعرفة التي تصدرهـا وزارة الثقافة والارشاد في دمشق وكذا في مجلة المجمع العربي العلمي ، والغريب ان هذه الانتقادات قلما تتلاقى فيما تتناولـه من الكتاب مع ما قلناه في مقدمة هذا النقد من اخطاء المنجد اكثر من ان يتصدى لتصحيحها كاتب واحد •

نحن والفكر الغربي

للأستاذ : أحمد أنور الجندي

تتمثل مقومات العربي الاسلامي المعاصر فى « اللغة » «والادب» « والدين » و « التاريخ » و « الثقافة » و « التراث » فهي فى مجموعها ترسم وحدة الفكر فى امتنا العربية وعالمنا الاسلامي وقد انصبت حملات التغريب والغزو الفكري والشعوبية عليها جميعا محاولة تغيير مفاهيمها ، وتحريف مضامينها ، بوصف هذه المفاهيم ممثلة اساسية لدعائم قيمنا ومثلنا وروح امتنا وطابع شخصيتنا .

وقد ثارت من حول « اللغة والدين والتاريخ والثقافة والتراث » معارك ضخمة تستهدف تجزئة المفاهيم المتلاقية فى وحدة كاملة . كما ثارت شبهات متعددة حول القومية ونظرية الاجناس .

وقد انصبت هذه الحملات على عزل الاسلام عن العروبة ، والدين عن التربية ، والعامية عن الفصحى والعلم عن الدين ، والروح عن المادة ، فى محاولات تزييف ضخمة تتصل بالقضاء على التراث وتعميق دعوة مضللة تدعو للانفصال عن الماضي او اثارة الشكوك حول بعض المواقف او الاحداث في التاريخ العربي مستهدفة اسقاط قيمه الاساسية وبطولاته ومواقفه الخالدة .

ولقد كان ابرز ما وجه الى مقومات فكرنا من دعوات التدمير ، ما اطلق عليه « نظرية التجزئة » هذه النظرية التي يحمل لواءها دعاة دهاة ، يستهدفون بها عزل الدين عن المجتمع وعزل الادب عن الاخلاق ، وعزل التراث عن الثقافة وهكذا .

وقد غاب عن الذين جروا وراء هذه النظرات مدى الهدف البعيد الذي ترمي اليه ، ظنا منهم ان التجزئة تخصص وانها عامل من عوامل ازدهار الفكر وترقيته ــ وهو كذلك فعلا ــ ولكن ليس على الوجه الذي يحملنا على تجزئة كل قضية فكرية انسانية مصادرها بين علوم الاجماع والنفس والاخلاق والدين . دون ان ينظر اليها نظرة شمول تردها الى آثارها الحقيقية فى بناء الشخصية الانسانية او علاج ازماتها .

ــ الثقافة ــ

لكي نعرف مفهوم الثقافة التي هي تمثل المفهوم العربي لكلمة (Culture) الغربية يجب ان تضع فى تقديرنا عدة امور :

«الاول» ان الثقافة تختلف عن التعليم والتربية وتمثل الدرجة العليا للتربية كما ان المعرفة هي الدرجة العليا للتعليم .

«الثاني» انها اقرب الى العقائد منها الى المعارف

«الثالث» عدم الارتباط بينها وبين الحضارة فى مفهوم الاقتباس او النقل .

وقد اختلفت ءاراء الباحثين حول مفهوم كلمة الثقافة ومضمونها ، فمن ناحية مفهوم الكلمة ومدلولها فى الفكر العربي نجد ان مصدرها هو القرءان الكريم « وقاتلوهم حيث ثقفتموهم» وهي تدل على معنى العثور بعد البحث والتصدي ، وفى المصباح المنير :

ثقف الحديث فهمه بسرعة ، وثقفته اقمت المعوج منه ، وفى اساس البلاغة بمعنى طلب العلوم والمعارف ، وفى القاموس المحيط للفيروزبادي : ثقف ككرم وفرح ، ثقفا وثقافة صار حاذقا خفيفا فطنا ، وثقفه تثقيفا سواه .

واول من استعمل كلمة الثقافة ابن خلدون ، وفى العصر الحديث حسن توفيق العدل فى كتابه « سياسة الفحول فى تثقيف العقول » .

كما اتفقت الاراء على ان الثقافة هي الوجه المقابل للحضارة .

فحيث تشمل الحضارة الماديات والصناعات والتجارة والصناعة الالية تمثل الثقافة «1» فى الاخلاق والمبادىء والامور الذهنية والمعنوية .

فالحضارة تنتقل من امة الى امة وهي قابلة للانتشار بين الامم بسرعة . اما الثقافة فتبقى خاصة بكل امة على حدة ، وان اثرت ثقافات الامم المختلفة بعضها فى بعض قليلا او كثيرا .

اما من ناحية المضمون فان الاراء كلها تجمع على ان ثقافة اية امة تشمل دينها وادبها ونظمها واخلاقها وتقاليدها واساطيرها . وانها تمثل طريقة الحياة اجمالا . وان التربية والتعليم هي واسطة من وسائط المحافظة على الثقافة وميراثها من السلف الى الخلف ، اي ان الثقافة ملك للامة والتعليم ملك فردي .

ومن عشرات التعريفات للثقافة يبدو صلة الثقافة بالامة هي اساسها الاول ، وانها تتصل بالعقل والروح، وان لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي يتسم بها ويعيش فيها ، كما ان لكل ثقافة مقومات مادية ومعنوية ، اما المادية فتتألف من طرائق المعيشة .

والمعنوية هي العادات والتقاليد التي تسود المجتمع وان لكل ثقافة ميزاتها وخصائصها التي تحدد شخصيتها .

وبالجملة فان الثقافة فى امة من الامم تتصل بقيمها وشخصيتها ومقوماتها الاساسية ومن هنا تكاد تجمع الاراء على انها لا تستورد ، وان كانت تتلقى وتمتص من الثقافات الاخرى ما يضيف اليها القوة والحياة .

ومن هنا يبدو الفارق بين « المعرفة » والثقافة فى كل ما تتلقى الامم من فكر الامم الاخرى وثقافاتها ، ومن هنا يصدق الراي الذي يربط بين الثقافة والمثل الاعلى للانسان فى بيئته وفكره .

فالمعرفة تضم المناهج والنظريات المتصلة بعلوم النفس والاجتماع والاقتصاد وهي مجموعة من الاراء تتطور وتتغير وتتعارض ، ولما كان النظر فيها ضروري لمتابعة خطو الفكر الانساني فان ذلك يتبع النظر منها خلال باب المعرفة الرحب الواسع ولا يمكن ان تتحول هذه المعرفة الى « الثقافة » الا فيما يتلاقى منها مع الاسس والمشخصات الاصلية ، ذلك ان ثقافة كل امة لها طابعها الخاص فى الحياة ونظرتها الى المشاكل الاساسية ولكن الثقافات تتلاقى وتأخذ وتدع ومن هنا ايضا يبدو صدق النظرة التي تفرق بين نقل الحضارة ونقل الثقافة باعتبار ان الحضارة مادية والثقافة ذهنية ، وعلى ضوء هذا الفهم لا يكون « الدين » من عناصر الحضارة بل من عناصر الثقافة

نصل من هذا الى القول بان هناك « ثقافة عربية اسلامية » تختلف فى جذورها ومفاهيمها عن الثقافات الشرقية والغربية المتعددة .

وان هذه الثقافة تتميز بشخصيتها واسلوبها وان هناك خلافات جذرية بين ثقافتنا وبين ثقافة الغرب التي كانت اشد اتصالا بحكم سقوط العالم الاسلامي العربي تحت سيطرة الاستعمار الغربي «الفرنسي والبريطاني» على وجه الخصوص .

ويمكن القول بان الثقافة العربية الاسلامية « فى العالم العربي » هي وريثة الثقافات القديمة المصرية والفينيقية والاشورية والبابلية ، وان بلاده كانت مهبط الاديان الثلاثة وان الفكر العربي الاسلامي قد قام على اساس الاسلام « وهو دين وفكر وحضارة » واللغة العربية بعد امتصاصه للثقافات الفارسية والهندية والاغريقية وقد بدا طابعه ممثلا للالوهية واعتبار الدين جزء من المجتمع وتمثل قيم الاخاء والعدل والسلام والحرية .

وقد تمثلت الثقافة العربية الاسلامية فى تجربة شملت دورة كاملة من التاريخ ، واثبتت فى عصور ازدهارها قدرتها وفاعليتها على تحقيق اهدافها وتمثل

1» فى مراجعة شاملة لاراء « سلامة موسى » وساطع الحصري ولاراء تايلور وعبد اللطيف الطيباوي ولطفي جمعة وستيوارت وساطع الحصري وارثر اربري وهاري شابيرو

قيمها، اما في فترة ضعفها فليس على قيمها يقع الحساب انما يقع على العوامل التي ادت الى تخلفها . هذه لغة التخلف التي لم يلبث ان تحول الى يقظة جديدة حتى ليمكن القول بان الثقافة العربية الاسلامية لم تمت وان تولاها الضعف والاضطراب ، وانها استطاعت ان تواصل الحياة بغير سناد من سلطان الحكم وقيام الدولة التي تحمل مبادئها ، وقد استطاعت ان تقاوم الغزو الغربي ، هذا الغزو الذي حاول القضاء على مقوماتها او تحويرها واقصائها على قاعدتها وتحويل ملامح شخصيتها وابراز الخلافات الجذرية بين الثقافة العربية الاسلامية وبين الثقافة الغربية :

1 — ان الفكر الغربي يحل مشاكله على قاعدة القوة بينما يحل الفكر العربي الاسلامي قضاياه ومشاكله على القاعدة الاخلاقية .

2 — انفصال الفن عن العلم

3 — سيطرة المادة على الفن

وفارق ءاخر بين الثقافة الغربية والثقافة العربية الاسلامية ، فالثقافة الغربية تطلق الغرائز والحريات الى اقصى مدى بينما الثقافة العربية الاسلامية تؤمن بالمزج بين الروح والمادة واعتبار الخلق قوام الحرية .

وفارق ثالث : هو قيام السياسة في الفكر الغربي على اساس الانتهازية ، بينما يقوم في الفكر العربي الاسلامي على اساس الخلق والضمير .

وفارق رابع : هو ان الفكر الاسلامي العربي يرى الناس سواسية ولا فضل لابيض على اسود ، بينما يرى الفكر الغربي سيادة الابيض والاري وان كل ما سوى الغرب عبيد له ، مع اقتناعه بشرعية فرض سيطرته على الشعوب والعمل على تسخير جنس من البشر لخدمة جنس ءاخر وانه وعدم ايمانه بالقانون الاخلاقي في معاملة غير ابناء جنسه .

ويقول قسطنطين رزيق : ان الثقافة الحديثة في الغرب تقوم على اساس الايمان بالانسان حيث كانت الثقافة في العصور الوسطى المطبوعة بالمسيحية او الاسلام تدفع البشر الى التطلع الى العالم الاخر وتزهدهم في هذا العالم الاخر . وانقلب الايمان بالله والعلم السماوي الى ايمان بالطبيعة والانسان القادر بعقله على السيطرة عليها واستغلالها ... لم تتمكن هذه وان الثقافة من احراز تقدم محسوس في حل مشاكل الانسان الاصلية بل انه يجابه نتيجة لهذه الثقافة ذاتها اخطارا اشدهولا وفظاعة من اخطار الماضي وذلك بالانتاج المادي ، وما ولدته الحضارة في الانسان من تكبر وتجبر واعتقاده بانه سيد مصيره »

والواقع ان هذا الرأي يمثل الفارق الواضح والعميق الجذور بين الثقافة العربية الاسلامية والثقافة الغربية .

اما من ناحية الفكر العربي الاسلامي فقد عرف بالجمع بين الدين والدنيا وانه لم يكن مطلقا داعيا الى التزهيد في العالم الارضي على النحو الذي صوره الكاتب ، فلم يكن الفكر العربي الاسلامي داعية زهد وان ما دخل عليه في عصور الضعف من بعض هذه المفاهيم لا يمثل قيمه الاساسية واصوله الاصيلة .

وقد كشف البحث عن فشل هذا الاتجاه الذي جرى عليه الفكر الغربي غيران الفكر العربي الاسلامي يجمع بين القيم المادية والروحية ويمزج بينهما في مختلف نظراته الى السياسة او الاجتماع او الاقتصاد او النفس .

واذا كانت الفلسفة تهدف الى البحث عن السعادة فان الثقافة الغربية لم تستطع ان تحقق منذ القرن الخامس عشر الى اليوم مفهوم السعادة ، بينما استطاع الفكر العربي الاسلامي ان يعطي هذه السعادة في مفهوم واضح هو ايجاد وفاق طبيعي بين الروح والعقل والجسد ينعكس على الزمان والمكان .

واذا كانت ثقافة الاغريق والرومان في صبغتها عقلية وان ثقافة الهند والشرق الاقصى في صبغتها روحية وان ثقافة الغرب « بشقيها » في صبغتها مادية المصدر ، فان الثقافة العربية الاسلامية وحدها دون ثقافات الانسانية جميعا هي التي تحمل ذلك المزيج المتفاعل المتكامل المتوازن : بين الروح والمادة والعقل والقلب والجسم ، والدين والعلم .

وان الثقافة العربية الاسلامية هي انسانية الاساس والقيم والاهداف .

ولعل هذا هو السر في امتدادها بهذه السرعة الغريبة التي عدها المؤرخون خارقة لنواميس الكون وتطور الحضارات ، ولعل ذلك يرجع الى بروق روح الوحدة بين قيمها المختلفة وعدم انقسامها الى مفاهيم مستقلة تتضارب وتختلف ، كما يحدث في الفكر الغربي حين تختلف مفاهيم علوم النفس والاجتماع والادب والدين والاقتصاد والتربية والعلم التجريبي ، فلكل علم مفاهيمه التي قد يتعارض مع مفاهيم العلم الاخر بينما

المفروض انها جميعا تلتقي فى خدمة الانسان اساسا وتدور فى فلكه باعتباره ميزان الاشياء .

وقد كان من نتيجة ذلك ان اختل التوازن فى المدنية الحاضرة بين نمو القوى المادية ونمو القوى الروحية ، فقد بلغت الحضارة قمتها فى العلوم التجريبية بينما بقيت القوى الروحية ضعيفة متخلفة

وقد القى جوستاف لوبون هذا السؤال : ماذا يحدث اذا استمر العقل فى النمو وظلت العواطف ثابتة لا تتغير ، لقد درسوا كل شيء فى العالم ، ما خلا الرجل فلم يدرسوه ، كشفوا الغطاء عن اسرار السماء ولم يكشفوا عن اسرار القلب ، لئن امكننا ان نقول اننا ممدنون فانه ينقصنا الجوهر » .

وعلى ضوء هذه المفاهيم تبدو فكرة الجوهر والعرض فى الثقافة ، فان القيم الاساسية للثقافة وهي جوهر كل ثقافة تظل اساسا لكل قابلية جديدة فى مجال التحول ، ومن هنا تسقط نظرية التطور الدائم لكل قيم الثقافات . والغربيون انفسهم لم يسقطوا جوهر ثقافتهم عندما اتصلوا بالثقافة العربية الاسلامية ونقلوا منها .

ومن هنا تبدو اهمية تقدير هذه النظرة فى الاقتباس او الاقراض او النقل او الاستعارة من الثقافات الاخرى ، فلابد للاقتباس او الافتراض ان يكون قائما فى نطاق العرض لا الجوهر ، ولابد ان تكون هناك قدرة كاملة على الامتصاص ، والفهم او التمثيل

فاذا لم تكن هناك هذه القدرة ضعفت شخصية الامة وملامح ثقافتها الاصلية وانحرفت

وليس ضير على الثقافات ان تقرض او تمتص من ثقافات الامم الاخرى ، ولكن العبرة قدرة الثقافة المختصة على التمثل وتحويل المستعار الى كيانها لعملية هضم سليمة دون ان يظل قائما كانه شيء مستعار ، ولهذا يرجع الى قوة الثقافة الاخذة وقدرتها على الهضم وقد كانت الثقافة العربية الاسلامية من بين الثقافات الشرقية والغربية من القدرة والنضج على الاستعارة والامتصاص ، غير انه فى قدرة قيام النفوذ الغربي عجز فكرنا طويلا عن عملية الهضم .

فقد كان موقفنا اذ ذاك غاية فى الضعف ازاء العلوم والافكار المختلفة التي حملتها ثقافة الغرب والتي كانت اولياتها اساسا من منابعنا فقد ظلت سنوات طوالا وهي لا ترتبط بجذورها الاولى ، وكانها من مستحدثات فكر الغرب حتى اصاب شبابنا اذ ذاك ذلك الاحساس بالقصور والعجز وكان لابد لنا ان نربط تطورات علم الاجتماع والاقتصاد والنفس والسياسة وغيرها بجذورها الاولى المستمدة من فكرنا اساسا ، وهذا ما استطعنا ان نصحح مفهومه بعد اليقظة .

ومن ناحية اخرى فنحن قد اقترضنا فى الماضي فى مجال لدينا فيه تراث ضخم .

والواقع ان الاقتراض من الثقافات الاخرى دون قيد او مراقبة يحدث فى الثقافة المقترضة حالة « عسر الهضم » مما يؤدي الى القصور عن بلورة العناصر الدخيلة او المستعارة وتحويلها الى كيان الامة ونقلها الى القوالب القومية .

ولما كانت الثقافة الغربية « بشقيها » تستمد جوهرها من المادية فانها تنكر الروحية التي هي عنصر اصيل فى الثقافة العربية الاسلامية هذا بالاضافة الى ان نظرية الفلسفة البرجماتزمية فى القضاء على الضعفاء يتعارض مع نظرية التكامل الاجتماعي التي يؤمن بها الفكر العربي الاسلامي .

القاهرة ــ انور الجندي

الشعر بين التكلف والابتذال

للأستاذ : محمد عبد العزيز الدباغ

الادب تعبير جميل عما في نفس الانسان من افكار وعواطف ويتيسر جمال الاسلوب وروتق التعبير لمن رق ذوقه ودقت مشاعره ووضحت معانيه في نفسه فجعل الالفاظ ترجمانا لها ووسيلة للافصاح عنها .

ان الادب الجميل الرائع هو الذي تتناسق فيه مجهودات الاديب وتتكواكب فيه مظاهر نبوغه فيربط بين المعاني والالفاظ ويبدع في التصوير والخيال وطريقة العرض حسب الفن الادبي الذي يرتاح اليه ويختاره من بين الفنون .

فالابداع الادبي تختلف مقاييسه حسب الاتجاهات الادبية الحديثة فما يحتاج اليه الكاتب قد لا يحتاج اليه الشاعر او القصاص او الناقد الادبي .

واذا كانت هاته المقاييس تختلف من حيث احتياج الاديب الى استعمال الخيال او الانسياق مع العواطف او تحليل الافكار تحليلا مرتبطا بالمنطق او استغلال الاساليب الخطابية او استعمال الاوزان والقوافي او الابتعاد عنها فان الذي يجب ان لا يختلف فيه الادباء على اختلاف مناهجهم هو الوضوح التعبيري والابتعاد عن التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي وتجنب التكلف المفضي الى القصور في تصوير المعاني والى الانسياق مع الالفاظ انسياقا يفقد الادب روعته وجماله ، والاديب حريته وابداعه .

ان اضر شيء بالادب ان يتكلف الاديب طريقة تعبيرية لا يكون الهدف منها الا ابراز القدرة على التصرف بالالفاظ والتلاعب بها .

ان اللغة وسيلة للتعبير وانها رسول الفكر ومجهر العواطف الكامنة في نفس الانسان لذلك يجب ان لا نخرجها عن حدودها وان لا نصرفها في غير معانيها وان لا نبعدها عن غايتها بمعنى اننا يجب ان لا نجعلها متحفا فنيا لاستعراض المحسنات اللفظية اذ الواجب جعلها وسيلة للبيان والتبيين .

ومما لا يخفى ان الشعراء هم اقدر الناس على البيان اي على ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، لانهم يعتمدون على انواع الاستعارات والمجازات ومختلف التشبيهات والصور .

ان قدرة الشاعر على الخلق قد تجعله يتصرف في اللغة تصرفا مطلقا فيجعلها مرنة تسع ما كانت تضيق عنه ، لهذا يجب عليه ان يهتم بهذا الجانب الفني التصويري وان يجعل الالفاظ اطارا ملائما .

ان اللغة تكتسب الحياة من الشعراء الموهوبين لانهم يستطيعون ان يعطوا الكلمات مدلولاتها العميقة فبفضل خيالهم يبعثون الروح في الالفاظ ويجعلونها متصلة بالمعاني متماسكة بها .

ان الشعراء جديرون بان يعتبروا المانحين الواهبين للغة قوام وجودها وامتدادها ، وان هذه المواهب الخلاقة التي يكتسبها الشعراء قد تضعف اذا ما وجهت عنايتهم الى الالفاظ وتناسقها دون ان يكون مع ذلك اهتمام بالمعاني والصور .

وقد ضعف الشعر العربي حينا من الدهر لما اصبح الاهتمام اللفظي ضرورة من ضرورات الادب .

حقيقة استطاع بعض الشعراء بما لهم من قوة ان يلتزموا قيودا لم تكن معهودة في الشعر ، وحافظوا رغم ذلك على التوازن الفكري والابداع المعنوي ، كالمعري مثلا حينما الزم نفسه ما لا يلزم ، وكأبي تمام حينما جعل الجناس ضرورة تعبيرية ، وكالبحتري الذي حافظ على الجرس الداخلي في قصائده ، ولكن هاته القوة التي كانت تنبعث من هؤلاء الشعراء الكبار وامثالهم دفعت آخرين الى التقليد في القالب اللفظي فضعفت معانيهم وهزلت صورهم ، بل عمد آخرون الى خلق قيود جديدة وتضييقات مختلفة حتى اخرجوا بقيودهم التعبيرية الشعر عن العمل الفني الذي يعبر به تعبيرا جميلا عما في نفس الانسان من مشاعر واحساسات ويصور به دقائق الاشياء وخفايا الامور الى حركات بهلوانية لا تمت الى الفن الادبي بصلة .

لقد بلغ الاستهتار بالشعر عند بعض الشعراء الى ان يعمدوا الى ايجاد البيت الذي يقرأ طردا وعكسا ، كقول الارجاني في وصف صديق :

مودته تدوم لكل هول
وهل كل مودته تدوم

فأنت تقراء هذا البيت من اوله الى آخره او من آخره الى اوله فلا يقع تعثر فيه ، ولكن هذا المجهود اللفظي لا يدع للشاعر حرية التعبير لانه اسير لفظه واسير حروفه .

بل دفع التصنع بعض الشعراء الى ان يأتوا بالقصيدة الشعرية ثم يحذفون منها اجزاء ، فاذا هي قصيدة اخرى محافظة على القوافي منسجمة مع الايقاع العروضي كما فعل الحريري حينما قال (✶) :

يا خاطب الدنيا الدنية انها
شركة الردى وقرارة الاكدار

دار متى ما اضحكت في يومها
ابكت غدا بعدا لها من دار

واذا اظل سحابها لم ينتقع
منه صدى لجهامه الغرار

غاراتها ما تنقضي واسيرها
لا يفتدى بجلائل الاخطار

كم مزدهى بغرورها حتى بدا
متمردا متجاوز المقدار

قلبت له ظهر المجن واولغت
فيه المدى ونزت لأخذ الثار

فاربأ بعمرك ان يمر مضيعا
فيها سدى من غير ما استظهار

واقطع علائق حبها وطلابها
تلق الهدى ورفاهة الاسرار

وارقب اذا ما سالمت من كيدها
حرب العدى وتوثب الغدار

واعلم بان خطوبها تفجا ولو
طال المدى ووتت سرى الاقدار

هذه الابيات السداسية الاوزان حذف منها الشاعر جزئين فصارت على النهج الآتي :

يا خاطب الدنيا الدنية
انها شرك الردى

دارمتي ما اضحكت
في يومها ابكت غدا

الى نهاية القصيدة .

وغير خاف ان هذا التضييق يدفع الشاعر الى الحشو والفضول احيانا والى الاجحاف بالمعاني احيانا اخرى ، بل يدفعه الى استعمال كلمات غير شعرية ولا يأتي بها الا لتناسب القافية المفروضة المتكلفة البعيدة عن الطبع .

ان الشاعر في مثل هاته الاحوال لا يكون هادفا الى ابراز المعاني بل يكون عاملا على ابراز تفوقه في التغلب على الالفاظ والاوزان .

ويعرف علماء البديع هذا النوع بالتشريع او التوأم ، وقد قال ابن حجة الحموي في كتابه (خزانة الادب) (✶) : « ولا شك ان هذا النوع لا يأتي الا بتكلف زائد وتعسف فانه راجع الى الصناعة لا الى البلاغة والبراعة » .

واخطر من هذا تصنعا ما عمد اليه الرئيس ابن عاصم حينما مدح ابا الحجاج يوسف بن اسماعيل النصري بقصيدة طويلة تتجاوز مائة بيت ضمنها كلمات كتبها بألوان مغايرة اذا جمعت تكونت منها قصيدتان ، ثم ولد من القصيدتين موشحتين ، وهذا امر عسير لا يتيسر بسهولة ولا يمكن للشاعر ان يحافظ معه على الجمال المعنوي ، وسنحاول ان نعطي نموذجا للسياق اللفظي الذي سار عليه فيما سنختاره من هاته القصيدة ونجعل للكلمات المنفردة علامات خاصة بها . قال : (✶)

اما والهوى (ما كنت) مذ بان عهده
اهيم بلقيا من تناثر وده

رعى الله من (لو انصف) الصب في الهوى
لما فاض منه الدمع مذ بان صده

ولو جاد من (بعد المطال) بزورة
لما شب اشواقي وقلبي زنده

كما خان صبري يوم اصبح و (أصلي
لظى) زاد ماء من جفوني وقده

لذاك اسال الدمع كالدر مدمعي
من (الوجد) فاستولى على الجفن سهده

حكى لؤلؤا من سلكه متناثرا
و (الاليم) قد تابع مده

ذخرت الثمين القدر منه بمقلتي
وما زلت من خوف (النكال) اعده

ان هاته الابيات تتضمن مطلع القصيدتين المولدتين فالكلمات الموجودة بين قوسين اذا جمعت تولد عنها البيت الآتي :

✶) المقامة الثالثة والعشرون للحريري .
✶) خزانة الادب للحموي ، الطبعة الاولى ، صفحة 120 .
✶) اقرأ القصيدة تامة وما تولد عنها في كتاب ازهار الرياض ، للمقري من صفحة 145 الى صفحة 158 من الجزء الاول .

ما كنت لو انصف بعد المطال
اصلى لظى الوجد الاليم النكال

فاذا اجمعت الكلمات الاخرى التي ميزت بالخط الواضح لتولد المطلع الآخر وهو :

تناثر الدمع من جفوني
كالدر من سلكه الثمين

ومن تتمة هاتين القصيدتين تتولد الموشحتان ، وفي هذا من التعسف ما لا يخفى .

هذه المحاولات لا شك انها تبعد الاديب عن المعاني التي يقصدها بل تصرفه احيانا الى تبديل لفظ بما هو أدون واسخف وتجعله غارقا في تنظيم كلماته اكثر من تعمقه في ابراز خواطره وهذا ما يجب ان ننزه عنه الشعر .

ان الشعر لحن جميل وعاطفة وقادة والهام يتلى ، يجب ان يكون مطبوعا ، يجب ان ينبع من ملكة الشاعر دون تكلف يبعده عن الابداع والجمال .

يجب ان يجعل الشاعر اللغة طريقة تعبيرية تهدف الى تصوير العواطف وتيسير المعاني ورسم الخواطر والخيالات ، ثم يجب عليه ان يحافظ على التوازن التعبيري الفني فيختار من الالفاظ ابعدها عن الغموض والابهام ، واقربها الى الذوق واشدها انسجاما مع الجرس الموسيقي الجذاب .

ان التوازن بين الكلمات شرط اساسي من شروط البلاغة لا يعتمد على القواعد فقط ولكن يعتمد على الذوق ايضا . ان الذوق استاذ الحاكمين ورائد الناقدين ، يجب ان نمكنه من الحكم وان نعطيه القيادة ، وان نجعله ميزانا عادلا نميز به بين الغث والسمين ، بين الرديء والجيد ، بين القبيح والجميل .

ان مجرد الركون الى الذوق الادبي الصقيل يكفينا في الحكم على ان التكلف التعبيري الذي لا يسير مع طبيعة اللغة ولا ينسجم مع قوانينها يفقد الادب جماله ويخنق فيه روح المعاني الجذابة ، ويذوي فيه الاحساسات والعواطف الصادقة .

واذا كنا لا نريد للشعر هذا التضييق المعقد المخالف لروح الفن ، فنحن ايضا لا نريد له التفسخ والانحلال والابتذال لا نرضى له التحرر المطلق عن الايقاع الموسيقي الرائع .

ان الاوزان العروضية والقوافي الشعرية في ذاتها ليست ضررا على الشعر ، ولكن الضرر هو ان تنقل هذه الاوزان بقيود اخرى تجعل الشاعر اسير التعبير بعيدا عن الانطلاق العادي الذي يجعل الشاعر متحكما في معانيه وصوره مؤثرا في سامعيه وقرائه . واذا كان الشعر العربي اليوم يعيش في اضطراب بين مدرستين ، مدرسة المحافظين على الاوزان ، ومدرسة الثائرين عليها فاننا لا نريد من المدرستين معا ان يقتصر خلافهما على الطابع الشعري اللفظي ، وانما يجب ان يسبر غور المعاني والصور .

اننا نريد التجديد في الاتجاه المعنوي للشعر وفي الاتجاه التصويري . نريد عمقا في الخيال ، عمقا في التصوير ، ولكن جذور هذا العمق يجب ان ترتبط بالايقاع الجميل الذي تمتاز به لغتنا .

ان الذي ننكره على الشعر هو ان يفقد رسالته ، هو ان يصبح مجرد كلمات متنافرة او معقدة دون ان يكون تيارا لتجديد يهدف الى رفع مستوى الخيال والتصوير والموسيقى .

لذلك ارى ان الشعر العربي يجب ان يحافظ على اوزانه وقوافيه دون ان ينساق الى مشجعي التعقيد او التفسخ ، وعلى الشاعر ان يهيم في معانيه وصوره وان يهتم بالفاظه وتراكيبه وان يجعل توازنا بين التعبير الفني وبين قوة الخلق والابداع .

ان الشاعر الذي لا يخلق شيئا جديدا في عالم الادب يكون متجرا لمن سبقه ، وليس الخلق مقتصرا على المعاني ، بل انه متصل بالتصوير ، فكثير من الشعراء ياخذون المعنى المبتذل ولكنهم بقوة خيالهم يرفعونه الى درجة الاعجاب حتى يصير تحفة فنية رائعة .

ان الشعر فن جميل ، يجب ان يظل بعيدا عن التكلف والابتذال ، فهو رمز حي للخواطر الكامنة والاحساسات الجامحة والاهتزازات العارمة ، يكتسب خلوده من جمال ايقاعه وتماسك اجزائه وصدق عاطفته .

فليتجنب الشعراء التضييق اللفظي المخل بالمعاني والانحلال التعبيري المخل بالفن الادبي الرائع البديع .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

منابع الشعر وحقيقة الشاعر

للاستاذ : محمد رشيد

محاضرة ألقيت فى مهرجان الشعر الذى اقيم بشفشاون تحت اشراف جمعية اصدقاء المعتمد

سيداتي سادتي

بكل سرور اتوجه بالتحية الى جمعيتكم الفتية واقدم لها شكري على دعوتها الكريمة التي اوحت بها روح نزيهة مخلصة ، روح متطلعة الى ايقاظ الهمم الفكرية ، وبعث القرائح النائمة من مراقدها ، والاستزادة من تعميم الوعي بما يفرضه علينا العصر من مجهودات صادقة في ميدان العلم والادب والمعرفة بمعناها الاوسع ، تلك المجهودات التي ترتبط لزوما بكفاحنا من اجل الحرية والديمقراطية ، ومن اجل الغد الذي تصبح فيه للمواطنة حقوقها وحرمتها . ولا ينبغي ان ننسى ابدا ان المثقف المغربي ، وعلى الاقل في الظروف الراهنة ، يحمل مسؤولية كبيرة ازاء شعبه وازاء الاجيال المقبلة . فعليه يتوقف خلق مغرب جديد في كل شيء : في سياسته ، في اقتصاده ، في ثقافته . وتلك مهمات كبيرة ونبيلة لا يستطيع المثقف ان يواجهها وان يضطلع بعبئها الا اذا كان يحمل روحا ثورية وبناءة ، في آن واحد .

وان المبادرة التي تقوم بها جمعيتكم والتي تشرف هذه المدينة الشاعرة باصالتها وطابعها ، وتشرف شبابها الحي الناهض لتدخل في هذا الاتجاه الايجابي اذ تجعلنا — ولربما كان ذلك لاول مرة — نحاسب ضمائرنا ونلقي نظرة جدية على احد الابواب الرفيعة في الثقافة والادب ، والذي كان هو العنوان الاول لوجود اجدادنا العرب في التاريخ ، وديوانهم الذي تغنى بملاحمهم ومفاخرهم ، الا وهو الشعر .

وبعد تعاقب القرون والاحداث الجسام ، وتقلبنا من اطوار النهوض والصعود الى اطوار الخمول والانحطاط ، ومن اطوار السبات الى اطوار الوعي واليقظة ، يحق لنا اليوم ان نتساءل : هل لدينا شعر ؟ وما قيمته ؟ وما هي المناهج الجديدة التي يجب ان نتبعها لننهض بشعرنا ونكون لنا مساهمة ملحوظة في هذا الفن الرفيع ؟ وكل هذه اسئلة لا تخفى اهميتها وتستحق منا كامل الالتفات والانتباه ، لا لان الشعر هو كل شيء في الحياة ، ولكن لاننا نعلم من استقراء تاريخ الشعوب انه احد عناوين نهوض الامم وحيويتها وشخصيتها وصفاء روحها . وما علينا الا ان ننظر قليلا الى الامم الكبرى في العالم لنرى المنزلة الرفيعة التي يحتلها الشعر لديها ، سواء في الاوساط الشعبية او في اوساط رجال العلم والثقافة والتسيير .

وتلبية لهذا الاهتمام النابع من ضمائركم المخلصة ، جئت لأقدم لكم بعض الآراء الشخصية ، راغبا في ان تنال حظها من المناقشة حتى يتبين لي صحيحها من سقيمها ، وحتى نخرج منها بفكرة او بأفكار ممحصة قد نسترشد بها في اعمالنا المقبلة .

وغني عن البيان ان الحديث عن الشعر ذو شجون ، وان موضوعاته كثيرة لا تنحصر ، منها ما سالت فيه دماء الاقلام سخاء ، ومنها ما ران عليه السكوت عندنا حتى اليوم . ولا زال الشعر في اوربا يستأثر بجانب كبير من اهتمام النقاد والادباء والفلاسفة وعلماء الجمال ورجال التحليل النفسي ، دون ان يجد من بينهم احد سبيلا الى الادعاء بأنه استوفى الموضوع حقه او انه وضع النقطة الختامية في هذا البحث الذي ظل دفتره مفتوحا منذ ان نطق الانسان الاول بالكلمة الشعرية .

وانا لن اتحدث لكم اليوم عن التزام الشاعر ، مثلا ، اذ طالما تطرقت الى هذه المسألة في ابحاث اخرى وانا لا احب ان اكرر نفسي وأدور على فكرة واحدة في كل ما اتناوله من الموضوعات . ولن اتحدث لكم عن تطور الشعر العربي ، ولا عن

اتجاهاته المعاصرة ، ولا عن الشعر في المغرب . فكل هذه موضوعات راجت لدينا فيها بضاعة كثيرة ، وان كان هذا لا يعني انها غير جديرة بالعناية وان الكلام فيها قد انتهى .

وقد فضلت ان اسامركم في موضوع يظهر لي انه طريف بالنسبة الينا . ولربما اقتضت طبيعة هذا البحث ان اسلك في بعض الاحيان سبل التعقيد والابهام . وانا على اي حال مستعد لان افسر ما عسى فهمه او ما اشتبه معناه . والموضوع هو :

« منابع الشعر وحقيقة الشاعر »

لست ادري من اين جاءت هذه الفكرة ورسخت في كثير من العقول وهي ان الشاعر هو ذلك الرجل التائه في احلامه ، البعيد عن دنيا الناس ، يعيش مع السماء والكواكب والبحار والجبال والملائكة ، اي مع كل ما هو بعيد عن اهتماماتنا المباشرة ، فاذا رجعت به الى ارضنا القريبة ودائرة دؤوبنا ونشاطنا اليومي ، خرس لسانه وانحبست افكاره وناله العي ، واذا سألته عن ابسط الاشياء في الحياة ، نظر اليك بعينين ملوءهما الحيرة والذهول ، وتبين لك جهله وغفلته ؟ .

انها ، في الواقع ، فكرة من تلك الافكار الكثيرة التي نلتقطها من المحادثات السطحية التي تروج في مجتمعاتنا عن كل شيء ، فتستقر في الاذهان وتنفذ الى اللاشعور ، حيث توجه آراءنا واحكامنا في وجهات منحرفة ، ان لم نقل خاطئة بالمرة ، فنحن هنا ، ايضا ، بازاء حالة تقتضي منا مراجعة افكارنا ومعتقداتنا وتصفيتها من شوائب الظنون والاوهام . وبذلك ، فقط ، نستطيع ان نرى الشاعر في وضعه الحقيقي ، سواء كانسان، او كفنان ، او كعضو في المجتمع ، ونعيش معه تجربته الداخلية في كامل عمقها واتساعها .

كلا : ان الشاعر ليس هو ذلك الرجل النادر المغفل الذي يفر من الواقع ومن الناس ويؤثر حياة مصطنعة بين الأخيلة والرؤى . نعم ان له سمتا يتميز به ، وشخصية تنسجم مع فنه ، وسلوكا في الحياة ينتظم مع نوع مشاعره وانفعالاته . ولكنه قبل كل شيء — وهذه صفته الجوهرية — رجل بكل معنى الكلمة ، رجل تكتمل فيه معاني الرجولة ، وتجد لديه احيانا صورها المنحوتة ، البارزة ، المتطرفة في نوعها .

وتاريخ الشعر سواء لدى العرب او غيرهم مليء بالرجال الافذاذ في نوعهم ، فيهم البطل ، والصوفي والزنديق ، والخليع والموسوس ، والفيلسوف ، والعاشق . ولكنهم في الاعم الاغلب، يلتقون في كونهم تحملوا مصيرهم الى النهاية ، وواجهوا المصاعب والمآسي في حياتهم . وشاعرنا الاول امرؤ القيس ، الم تكن حياته كلها مكابدات وتجارب مرة ؟ والمتنبي ، اليس يمثل في اعيننا الرجل الشعبي الطموح الذي اراد ان يغالب الحظ بكل ما اوتي من ذكاء ، ونبوغ ، ولكن همته العالية نفرت منه كبراء عصره ، ودفعتهم الى الحذر منه ، فعاش ناقما على اوضاع زمانه ، ثائرا على قيم مجتمعه ، آسفا على ضياع الفضائل في يده ؟ والمعتمد بن عباد ، ذلك الامير المدلل ، الذي عاش عيشة الامراء بخيرها وشرها ، الم يقف بـه التاريخ مواقف فريدة ساقته من السلم الى الحرب ، ومن الطمأنينة الى الروع ، ومن المجد الى النفي ، ومن النعيم الى البؤس ، ومن الحرية الى الاسر ، ومن الانس الى الغربة ؟

والرجولة لا تقترن هنا لزوما بحمل السيف وتقلد القوس . فلها تعابير وصور اخرى، ربما كانت الصق بالانسان، لأنها فيض مباشر من ذاتيته وكوامن نفسه . وما السيف والقوس والرمح الا رموز خارجية قد تفقد كل معنى لو لم توجد اليد التي تمسكها والارادة التي تحركها . فشاعر كأبي نواس، الذي عاش مسالما ، هو ايضا رجل ، لانه كان له موقف من الحياة اختاره وسار فيه الى النهاية ، ولأنه عبر عن ثورته على الوضع الانساني وعلى المجتمع بالطريقة التي تراءت له انسب وانجع . وهل نقول غير هذا عن المعري الذي عاش حياته بضميره اليقظ ، واحساسه المرهف ، وكانت له اختيارات ومواقف في كل الشؤون ، استقاها من خبرة واسعة ، وتأمل طويل ؟ .

في مقدورنا الآن بعد استعراض امثلة مختلفة ان نحاول استخلاص كنه هاته الرجولة ، التي هي الميزة الرئيسية للشاعر الحقيقي . انها تتمثل لنا ، اولا ، في اتفاق الشاعر مع نفسه ، ولا اقول في رضاه عن نفسه . الشاعر انسان ، قبل كل شيء ، يريد ان يعيش ليعيش ، ليستمتع هو ايضا بنفس الحياة ، ليشاهد حضوره في الوجود ، ليبلو وزنه في العالم . ولم يخرج الى الدنيا لينظم الشعر فقط ويكون آلة اطراب وايقاع . بل ، لربما كان عليه ان يعيش بكل جوارحه اكثر من سائر الناس ، وان يندفع بقواه الحيوية في كل الوجهات . وفي غمرة التجربة ينتهي به المطاف اما الى انسجام روحي يريه الكون والاشياء كلها سابحة في النور ، متبارية في الاشراق واما الى تمزق باطني يشعره بمحدوديته الانسانية امام لا نهاية الكون . فهو ، حيثما اتجه الى نفسه او الى العالم ، يجد اسرارا وزوايا مظلمة وقوى خفية تسيطر عليه من قريب او بعيد ، ولكنه يعجز عن استيعاب كنهها ومقاومة تأثيرها عليه . وسواء أكان الشاعر في حالة من التماسك والانسجام او من التمزق والانقسام ، فانه يحتفظ بنوع من الوحدة الروحية العالية هي التي تجعله يدرك في نظرة تركيبية شاملة وضعه في العالم ووضع العالم بالنسبة اليه . وهي التي تكيف شعوره في هاته الوجهة او تلك وما كان ليحس بالتمزق مثلا لو لم تكن لديه مقاييس الوحدة والانسجام، ولو لم يكن امامه المثال الاعلى الذي يعجز دائما عن الوصول اليه . فهو متفق مع نفسه فيما يريد ، فيما يبحث عنه ، ولكن التمزق يأتيه من الاصطدام بالواقع والوعي بوضعه في الوجود .

وكل هذا انما يعبر في النهاية عن تجربة واسعة وعميقة في الحياة . وكل الناس يتحدثون اليوم عن العبث والتمزق والضياع . كلمات تنجذب اليها الاقلام الفتية لبريق جدتها وغرابة منزعها وتنوع اشاراتها وعمق ايحائها . ولكن ما كل من يضع يده على كبده ويتأوه ويتوجع في كلامه يعرف ما هو التمزق الحقيقي . وما كل من يقول : انا متمزق يستطيع ان يدلنا على الجرح الذي يعانيه ، فهنا مجال سهل للادعاء والتلاعب بالالفاظ . وكل واحد يستطيع ، مثلا ، ان يشتري البرتقال او اي فاكهة في السوق ، ولكنه اذا بحث هناك عن شيء يسمى التمزق فلن يجده .

فالامر هنا يتعلق بتجربة صادقة ، نزيهة تتلاقى مع مواهب خاصة من حساسية مرهفة ، وخيال رحيب الآفاق ، وفكر حي ، بعيد الاغوار . وتلك مزايا لا تمنح الا لطائفة قليلة من الناس . ولذلك ، فانه من الخور الاعتقاد بان فهم هذه الكلمات التي برز بها الفكر الحديث كاف وحده ليجعل من الانسان فنانا او شاعرا او ليلهمه بقدرة قادر الى مواطن الطرافة والابداع . فالفن او الشعر ليس وليدا لوصفات مهيأة جاهزة يرجع اليها الفنان او الشاعر كلما حاول ان ينشيء شيئا جديدا ، ولكنه وليد لشيء آخر أعلى وأسمى وأشد تمنعا على الطالب الراغب ، شيء يلتقي مع الكيان الانساني بأكمله .

سلا ـ محمد زنيبر

تصويب ... ومعذرة

وقع خطأ فى المقال الذي جاء تحت عنوان : « فراغ يجب ان يملأ » للاستاذ محمد عبد العزيز الدباغ المنشور فى العدد العاشر من السنة الثامنة فى صحيفة 27 ، فقد جاءت هذه الفقرة هكذا :

« يجب أن يعلم شبابنا أن الاسلام هو سبب ضعفهم واستخفافهم بحضارتنا وبلغتنا »

والصواب هو :

« يجب ان لا يعلم شبابنا ان الاسلام .... » كما يتضح من الفقرة السابقة واللاحقة ومن روح المقال .

فمعذرة للاستاذ الكاتب ولقرائنا المحترمين .

تعليق على نقد

للأستاذ : حسن الصائغ

اريد اولا ان اثير انتباه الاخ الاستاذ محمد زنيبر أنني لم اخصص مقالا في نقد بحثه القيم عن نجيب محفوظ ، فهو يعلم اني كنت معلقا على عدد بكامله من اعداد مجلة « دعوة الحق » الغراء ، وبذلك فلم يكن متوقعا ان اخصص لكل مبحث نقدا كاملا ، وهذا ما جعلني وجعل الذين من قبلي ومن بعدي في نقد العدد يختصرون ما وسعهم الاختصار ، وليس همهم نقد الموضوعات ، ولكن همهم تسجيل تطور العدد من خلال ما يضمه من انتاج ، اذ لا يعقل ان يكون الناقد مستطيعا لنقد مختلف الموضوعات التي يتناولها العدد ، على ان من الصعوبة ان انقد في التعليق على العدد بحثا كبحث الاستاذ زنيبر ، لانه متسلسل في اعداد سابقة ، مما يريد الاستاذ معه ان ارجع الى الاعداد الماضية لنقد مبحثه ، وكأنه نسي ان نقد العدد كله لا يسمح بالتفرغ لنقد موضوع بعينه ، مما كانت نتيجته بكامل الاسف ان يصور الاستاذ زنيبر ناقد العدد في صورة حرجة ، حيث اصبح حسب تعبيره ، كالرجل الذي يقص قصة طويلة على مستمع لا ينتبه اليه حتى اذا انتهى منها التفت اليه الاخر في براءة قائلا : ما ذا تحكي ؟ . كم كنت ارجو ان يسمو النقد عندنا عن هذه الاستفزازات التي لا تخدم الادب بقدر ما تنمي حاسة الانانية ، وهذا ما انزه (صادقا) عنه الاستاذ زنيبر ، على ان له ان يقص علينا ما شاء ان يقص ، ولنا ان نسأله اخيرا عما كان يحكي ، اذا لم نفهم قصده ، او لم يقم حكايته على اصول فنية ، او اقامها على اصول لا نتفق عليها جميعا .

وتلبية لدعوة الاستاذ زنيبر عدت الى الاعداد السابقة فازددت تأكدا ان الاستاذ زنيبر لم يكن مقتنعا كثيرا في محاولته للمقارنة بين الف ليلة وليلة وثلاثية نجيب محفوظ .

فكم مرة ابتدأ هذه المقارنة ثم عسر عليه الاسترسال فيها فأمعن من جديد في التعقيب والاستثناء ،

فالاستاذ لا يستطيع ان ينكر ان الف ليلة وليلة تصور حياة الشرق وجو الشرق وانسان الشرق ، فهل يستطيع ان يؤكد ان هذا الانسان الشرقي هو الذي يعيش في مصر وحدها ولا يتخطى حدود المجتمع المصري الى المجتمع العراقي والعجمي احيانا ، وهو مجتمع آخر له خصائصه ومميزاته ، بل ان السمات التي اعتمدها في الربط بين ابطال الف ليلة وليلة وابطال ثلاثية نجيب ، هي سمات تتعدى الربط بين هؤلاء الى الربط بين الرجل البغدادي والفارسي والمصري ، اعني انها سمات قاسم مشترك اعظم بين الانسان الاسيوي والافريقي في حياتهم الاجتماعية .

اما عن التقاء نجيب محفوظ بألف ليلة وليلة فقد شعر الاستاذ ببعض الحرج في ذلك فاضطر ان يخصص جزءا من كلامه ليفرق بين التقليد والالتقاء ، واذا كان مصيبا في تعريفاته فقد عسر عليه ان يجد التقاء بين شخصية احمد عبد الجواد وشخصية هارون الرشيد ، الا في تلك السمات التي يلتقي فيها الانسان والانسان ثم اين تجد الالتقاء بين التعبير عن الشعور القومي والوطني عند ابطال نجيب محفوظ ، والتعبير الوجودي عند ابطال الف ليلة وليلة ؟ .. وقد انخدع الاستاذ بموضوع الثلاثية وموضوع الف ليلة وليلة ، فرأى ان قصة الف ليلة وليلة من الادب الواقعي ، ثم يلبث ان وجد صعوبة في التوفيق بين اصول المذهب الواقعي وموضوعات الف ليلة وليلة فاخذ في شرح المذهب الواقعي في مبحثه الاول غافلا عن الاصول الحقة لهذا المذهب ، ثم عاد اليه ثانيا في مبحثه الخامس مضيفا زيادات لتوضيح هذا المذهب ، ولكنه ظل دائما يشعر ببعد الف ليلة وليلة عن المذهب الواقعي ، لان المذهب الواقعي هو الذي يصور الواقع ويكشف عن اسراره ، اي يصور ما في الواقع من شر ، وبذلك يعارض المذهب المثالي المتفائل الذي لا يرى في مظاهر الخير كالشجاعة والكرم خيرا مع انها تستبطن الشر ، لان الواقعية ليست تصويرا ، بل ليست كشفا ومعرفة فقط حسب الجملة السقراطية التي ذكرها الكاتب ، وانما هي ، مذهب تشاؤمي .. نعم اصبحت في بعض المدارس الاشتراكية تعبيرا عن الواقع

الدعني ، فهي اذن ليست المذهب الذي لا يعتمد الخيال ، ولا المذهب الذي يربط موضوعاته بالمشاكل التي يعيشها الناس ، وانما هي مذهب يصور حقيقة الانسان المرة ، وبالرجوع الى مجموعة (الكوميديا البشرية) لبلزاك تتضح اصول هذا المذهب الاولية التي انفسحت من بعد لتيارات جديدة .

ولست ادري لما ذا يلوم الاستاذ زنيبر كاتبنا القصصي لانه يشمل ابطاله بالعطف ويبرز جانب الخير فيهم اكثر من جانب الشر الذي هو الجانب المخبوء ، ملاحظا عدم وجود اي كبير اثر لعاطفة الحقد في روايته ، وانا اعتقد ان لنجيب محفوظ الحرية ليتصرف في ابراز هذه الناحية ، وان هناك مدارس واقعية لا تبالغ في تصوير الواقع ، وانما تتخذ من امكانيته تعبيرا عن الواقع ايضا ، فلا يستبعد ان يكون ابطال ثلاثيته اخيارا حسب اتجاه بعض مدارس الواقعية ، ولذلك فألف ليلة وليلة ليس لها من التحليل الدقيق ما يمكن ان توصف به بالواقعية ، ليقارن بينها وبين ثلاثية نجيب محفوظ على اصول هذا المذهب ، ثم لقد عثر الاستاذ زنيبر على صور متشابهة ، فجرته في صورتها الظاهرية الى المقارنة ، ثم لم يلبث ان اعترف ان هناك خلافا في التحليل ، فراح يبحث عن الالتقاء في ثلاثة مواقف تبلغ في عمقها اختيارات ميتافزيقيا وهي الاستسلام للقدر ، والاقبال على الملذات ، والتشبث بالدين ، ثم زاد اخيرا الجو المليء بالمتناقضات ، الذي يتحرك فيه ابطال الروائيتين ، ويخيل الي انه لا يعسر على اي ناقد ان يجد (الالتقاء) في اكثر من هذا سواء بين نجيب محفوظ او بين عدد كبير من القصاص في الشرق والغرب .

ولقد اغرق الاستاذ في نقده لتعليقي عليه في شرح شرقية المجتمع المصري ، وتحليل مفهوم المجتمع الشرقي ، ولكن الشيء البسيط الذي قلته هو ان المجتمع المصري شيء ، والمجتمع العراقي شيء ، والمجتمع الفارسي شيء آخر ، وان قصة الف ليلة وليلة تصور هذه المجتمعات كلها ، فعند ما تتكلم قصة الف ليلة وليلة عن المجتمع الفارسي تصور عالما غريبا له لغته وتقاليده، وعندما تتكلم عن الارياف والقرى والجنيات والشياطين ، لا يكون معنى ذلك ان هذا مجتمع واحد .. ولا شك ان العالم الاجتماعي يستطيع ان يجد في الف ليلة وليلة عناصر عن المجتمع المصري والعراقي والعجمي ، ولا يستطيع ان يجد ذلك عند الكاتب المصري ، لان حوادث الف ليلة وليلة تجري في كثير من البلاد العربية وغير العربية بينما حوادث قصص نجيب محفوظ تجري في مصر وحدها .

واخيرا بالغ الاستاذ في تفسير الجانب التأثيري لثلاثية نجيب الذي المحت اليه في كون قصصه تخلق مجتمعا جديدا بطريقة غير مباشرة ، لان تصويرها لواقع المجتمع المصري وعيوبه من شأنه ان يعظ القاريء الى تلافي العيوب والبحث عن مجتمع صالح ، اما قصة الف ليلة وليلة فقد كتبت لتشغل الشعب عن مأساته كما هو معروف في تاريخ الادب .

كما انني عند ما قلت ابطالا واقعيين لا يمكن ان يفهم احد ان الواقعيين هم المعروفون لدى الكاتب ببطاقتهم الشخصية ، ولكنهم هم المنتزعون من الواقع الذي تعيشه مصر ، فالتاجر احمد عبد الجواد ، مثلا هو نموذج صادق لمئات التجار في مصر ، فلما ذا يفسر الاستاذ ما قلته بغموض لم اقصده ، ثم لما ذا يفهم من كلمة (العواصم) المركز الذي تتكتل فيه المجتمعات حيث يلحق بها الارياف والقرى وما يحيط بها من جو وبحر ... الا ترى ان ميوعة التفسير ابعدت الكلمات عن معانيها الحق ، وهذا ما لا ينبغي لناقد نزيه كالاستاذ زنيبر ان يسلكه ، وبعد ، فأؤكد للاستاذ اني لحد الساعة لست بناقد ، وانما انا معلق فقط لان نقد ما كتبه يتطلب كثيرا ، من الزمان والعمق في البحث وليس هناك من يشغلني عن التمتع بهذه الفرصة الثمينة .

الحسن السائح

عدي بن زيد العبادي

وسبقه إلى القصص الشعري في قصيدة غير معروفة

للدكتور فكتور الكك

من المتفق عليه ان القصة فى الادب العربي القديم، وخاصة فى الشعر ، لم تقصد لذاتها الا فى الندرة ، فقد سخرتها خاصة الاسلوب الخطابي للتمثيل والعظة وضرب المثل فبقيت فى الناحية الخلقية بين فنون الشعر العربي وضروبه .

ولولا قصيدة الحطيئة فى الضيافة البدوية التي يستهلها بقوله :

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل
ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما

ومثل الحية والاخوين الذي نظمه النابغة الذبياني شعرا سويا ، وساقه وسيلة لتبيان فقدان الثقة بينه وبين بعض بني قومه ، لخلت ساحة عكاظ العرب من القصص الشعري .

غير ان الباحثين قلما تنبهوا ، فى هذا المضمار، الى سبق عدي بن زيد العبادي النابغة والحطيئة الى الشعر القصصي ، فهو قد نظم قصة « قصير » وجدعه انفه وما كان من امر جذيمة الابرش والزباء فى قصيدته التي لم يذكر مطلعها الا فى معاهد التنصيص للعباسي « 1 : 211» فيما نعلم ، حيث قال :

ابدلت المنازل ام عنينا
بقادم عهدهن فقد بلينا ..

ووردت ابياتها المتبقية متفرقة فى الشعر والشعراء ومعجم البلدان ومروج الذهب والاغاني وحماسة البحتري .

كما سبق جميع شعراء العرب الى الشعر القصصي التاريخي ايضا فى قصيدته التي مطلعها :

لم ار مثل الفتيان فى غبن الـ
ايام ينسون ما عواقبها

فتعرض الى تغلب الفرس على بلاد اليمن بعد الاحباش ، ثم ذكر قصة صاحب « الحضر » وكيف دخله سابور بممالأة النضيرة بنت صاحبه الساطرون الملقب بالضزن « راجع القصة فى الطبري 2 : 47 وآثار البلاد للقزويني 354ـ356 وتاريخ غرر السير المنسوب للثعالبي 493 والاغاني 2 : 140 »

ولا يعزبن عن بالنا فى هذا المجال ما ورد فى قصيدته الشهيرة المستهلة بقوله :

ارواح مودع ام بكور
لك ؟ فاعمد لاي حال تصير

من الاشارات التاريخية الكثيرة الى الملوك الفانية من كسرى وبني الاصفر واخي الحضر ، داعيا الى الاعتبار واعداد الزاد للاخرة ..

اما السبق الفريد الذي احرزه عدي بن زيد فى حلبة الشعر القصصي عند العرب ، فهو فى انه تجاوز الاستقاء من معارف الجاهلية وخرافاتهم ورواياتهم الى ورود منهل القصص الديني الشائع بين أهل الكتاب يومذاك ، ففتح بذلك فتحا جديدا فى شعر العرب القصصي وسار على خطاه امية بن ابي الصلت الذي عاصر دعوة نبي الاسلام الى الهدى وعبادة الواحد الاحد .

ويتجلى منحى عدي الجديد فى وروده منهل القصص التوراتي فى قصيدة مغمورة لم تتداولها كتب الادب ولم يتناولها بالبحث او بالرواية النفر القليل الذين « عنوا » بشعر العبادي ، وقد هدانا الله اليها

ونحن ننقب عن ءاثار عدي بيتا بيتا وخبرا خبرا منذ شهور ؛ فوقعنا على الابيات السبعة الاولى منها فى كتاب « البدء والتاريخ » لمطهر بن طاهر المقدسي « 1: 151» وعلى الابيات المتبقية ؛ بما فيها السابع ، فى كتاب الحيوان للجاحظ « 4 : 197–198» .

وقد ذكر الجاحظ القسم الثاني منها فى معرض كلامه عن قول امية بن ابي الصلت فى اشعاره ان كل شيء قد كان ينطق ، وكان الجاحظ قدم بقوله « الحيوان 4 : 196 » : « وكانت العرب تقول : كان ذلك اذ كان كل شيء ينطق وكان ذلك والحجارة رطبة » ثم قال : « فان قلت ان امية كان اعرابيا وكان بدويا ، وهذا من خرافات اعراب الجاهلية ؛ وزعمت ان امية لم ياخذ ذلك عن اهل الكتاب فاني شانشدك لعدي بن زيد وكان نصرانيا ديانا وترجمانا وصاحب كتب ، وكان من دهاة اهل ذلك العصر .

«قال عدي بن زيد ، يذكر شان ادم ومعصيته ، وكيف دخل فى الحية ، وان الحية كانت فى صورة جمل فمسخها الله عقوبة لها حين طاوعت عدوه على وليه فقال » « ويذكر الجاحظ الاثنى عشر بيتا الاخيرة من القصيدة »

ويلاحظ القارىء ان القصيدة قسمان : يذكر عدي فى القسم الاول قصة خلق الله للعالم كما جاءت فى التوراة ، ثم يعرض فى القسم الثاني لما كان من امر ءادم ومعصيته والحية ، قال عدي بن زيد :

اسمع حديثا لكي يوما تجاوبه
عن ظهر غيب اذا ما سائل سالا
ان كيف ابدى اله الكون نعمته
فينا ، وعرفنا ءاياته الاولا :
كانت رياحا وماءا ذا عرانية
وظلمة ، لم يدع فتقا ولا خللا
فامر الظلمة السوداء فانكشفت
وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الارض بسطا ثم قدرها
تحت السماء سواءا مثل ما فعلا
وجعل الشمس مصرا «1» لا خفاء به
بين النهار وبين الليل قد فصلا
قضى لستة ايام خلائقه «2»
وكان اءخر شيء «3» صور الرجلا
دعاه ءادم صوتا فاستجاب له
بنفخة الروح فى الجسم الذي جبلا
ثمت اورثه الفردوس يعمرها
وزوجه صنعة من ضلعه جعلا
لم ينهه ربه عن غير واحدة
من شجر طيب : ان شم او اكلا «4»
فكانت الحية الرقشاء اذ خلقت
كما ترى ناقة فى الخلق او جملا
فعمدا للتي عن اكلها نهيا
بامر حواء لم تاخذ له الدغلا
كلاهما خاط اذ بزا لبوسهما «5»
من ورق التين ثوبا لم يكن غزلا
فلاطها«6» الله اذ اغوت خليفته «7»
طول الليالي ، ولم يجعل لها اجلا«8»
تمشي على بطنها فى الدهر ما عمرت
والترب تاكله حزنا وان سهلا
فاتعبا ابوانا فى حياتهما
واوجدا الجوع والاوصاب والعللا
واوتيا الملك والانجيل نقراه
نشفي بحكمته احلامنا عللا «9»
من غير ما حاجة الا ليجعلنا
فو ق البرية اربابا كما فعلا «10»

والذي يلفت نظر الباحث ان هذا الضرب الفريد من القصص الشعري لم يرزق من يتعهده من بين شعراء العرب ، ولو قد رله من يعنى به لاتى اكلا طيبا وخرج بالشعر الجاهلي عن رتابته، والعجيب ان الشعراء الاسلاميين والعباسيين لم يلتفتوا الى ما فى القرءان الكريم من قصص ، ليغنوا شعرهم ويوسعوا ءافاق تجربتهم الفنية ، الا ما كان من امر الفرزدق فى هجوه لابليس ، وما درج عليه النابغة اذ « ذهب فى الحيات مذهب امية بن ابي الصلت وعدي بن زيد العبادي وغيرهما من الشعراء » كما يقول الجاحظ .

بيروت : الدكتور فيكتور الكك

---

1 ـ المصر : الحد . 2 ـ فى الحيوان :خليقته . 3 ـ فى الحيوان : ءاخرها ءان . 4 ـ اي : عن شمها واكلها . 5 ـ اي سلفا لبوسهما ، الاية ، « لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » . 6 ـ لاطها :الصقها . 7 ـ خليفة الله : ءادم . 8 ـ قوله : لم يجعل لها اجلا ، اشارة الى ما يزعمون من ان الحية لا تموت الا بعرض يعرض لها من قتل وما شاكله . 9 ـ الاحلام : العقول ، وعللا : بدل من احلامنا والضمير فيها مقدرا ؛ اي : عللا منها . 10 ـ ارباب : جمع رب ، قال فى اللسان : « الرب يطلق فى اللغة على المالك والسيد والمربي والقيم والمنعم . قال : ولا يطلق غير مضاف الا على الله عز وجل ، واذا اطلق على غيره اضيف فقيل : رب كذا » .

طبيعة العاطفة الأدبية

للأستاذ : عيسى فتوح

لا يشك احد في ان العاطفة عنصر هام من عناصر العمل الادبـــي ، بالاضافـــة الى الخيال والفكــرة والاسلوب .. ووجودها في كل عمل ادبي شرط لازم ؛ لا يختلف عليه اثنان ، انما الاختلاف في طبيعة هـــذه العاطفة ، ومقدارها ونوعيتها .. فثمـــة عواطـــف مائعة ، قلقة ، هائجة ، مضطربة ، صارخة ، عمياء .. وثمة عواطف رصينة ، جدية ، واعية ، هادئة هـــدوء الموج في ايام الصحو .. والسؤال الآن : اي النوعين افضل ، واقرب الى طبيعة العمل الادبي الصحيح ؟

ان العاطفة الادبية المتزنة هي التي يؤثرها النقاد ويطلبونها ؛ بعكس العاطفة المائعـــة التي لاتستطيـــع ان تتماسك او تقف على رجليها .. هـــي كالشمـــس المتوهجة التي تعشى البصر، والآلام الكبيرة التي تحطم القلوب والاجسام .. العاطفة العنيفة تشل التفكير ، وتضعف التصور ، فلا يرجى منها في ميـــدان الادب خير .. ومن المعروف ان العواطف الحـــادة العنيفـــة تحمل المعبرين بها على الاكثار مـــن عـــلامات التعجب والاستفهام والفواصل والنقاط الكثيرة ...

العاطفة الطبيعية لاتكون متسرعة ، ولا تستخدم من قبل النزعات السياسية والمذاهب الاقتصادية أو الدينية لئلا تصبح رخيصة ، تستعمل كمطية لبلـــوغ المآرب ، ومن هنا جاء عدم تقييمنا لشعر المدح الـــذي قاله اصحابه وهـــم يتمسحون بالاعتاب لقاء صلـــة رخيصة من مال او متاع .

اول ما يجب ان تتسم به العاطفة الصحيحة هو الايحاء ، ولذلك كانت الآثار الفنية اشد ايحاء من غيرها لتعدد المؤثرات التي تتضمنهـــا ، قابـــل بيـــن صورة شمسية لاحد المناظر الطبيعية واخرى فنية للمنظـــر نفســـه ، تجد ان الصورة الفنية اكثر اثـــارة لاحلامـــك ومتعتك وتفكيرك لتعقدها وتعدد المؤثرات فيها بمـــا اضاف اليها الفنان في شخصيته ونظرته الخاصة .

ان الاشياء القديمة تبع من الايحاء لـــما لها مـــن قدسية وهيبة ، وروعة وجلال ، لذلك يتلقاها الانسان وقلبه خائف وجل ، بعكس الاشياء الحديثة ، وسبب ذلك ان الوحي يعتمد على الغموض ؛ والماضي بطبيعته اكثر غموضا من الحاضر ، ومن هنا كان الكلاسيكيون واضحين صريحين ، اذ يخاطبون العقل الانســـاني خطابا مباشرا ، اما الرومانتيكيون فيكثرون مـــن التلوين والتصوير لانهم كانوا اكثر اتصالا بالمتاحـــف والاثار والنقوش والفنون ، وبالاجمال كما ازداد الفن غموضا زادت فيه قوة الايحاء ، ولهذا كانت الموسيقى ايحاء صرفا لانها لاتقول شيئا ، بل توحي الى السامع مشاعر مختلفة ، والرمزيون عندما قرنوا الشعـــر بالموسيقى انما ارادوه ايحاء خالصا ، وجعلوا الغموض اهـــم ميزاتـــه .

ثم يجب ان تكون العاطفة الادبية باقية الاثـر ، دائمة لا موقتة سريعة المفعول .. ولا يتيسر ذلك في العمل الادبي الا اذا كان فيه وحدة شعورية ، فالقطـــع الشعرية التي لاتجمعها وحدة في الموضوع والشعـــور تكون ذات متعة سريعـــة ولذة آنية ، نسمعها فنعجب بها ، ولكننا سرعان ما ننساها وننسى صورها التـــي مرت بخاطرنا مرور الحلم .. بعكس قصائد الغـــزل والاشعار الغنائية ، فهي تتمتع بنصيب كبير مـــن العاطفة ، ويطربنا لحنها الشجي الذي يتصاعد مـــن رنات مقاطعها وذكرياتها المثيرة .

والعاطفة الادبية سليمة ، صحيحة ، متزنـــة ، غير شاذة ولا متحرفة ، لان الادب فن ، والفن يأبى ان يكون رخيصا يباع ويشرى ، ويأبى ان يكون منحرفـــا مائعـــا ، فالعواطف التي تكون من باب الزفـــرات والتنهدات والاهات عواطف مائعة ، مريضة ، ليســـت من الفن في شيء ولذلك يقول الفيلسوف كروتشـــي : « ان التعبير العاطفي ليس مـــن الشعـــر في شيء لان ميزته التاوه ، والتنهد ، والمبالغة ، والغلـــو العاطفي » وقد تسرع كروتشـــي ، فنفى ان تكـــون العاطفة من عناصر العمل الفني لان الفن في نظـــره انضباط ونظا م، والعاطفة تشويش واضطراب ، وهو القائل : « لا يمكن للشعر ان ينقل العاطفة او يقلدهـــا لان العاطفة تشويش واضطراب والفن نظام وشكل » .

والواقع ان الشعر، عكسا لما يقول كروتشي، ينقل العاطفة نقلا .. يهدئها ولا يثيرها، لان من طبيعة الفن ان يعدل العواطف، ويظهرها في شكل الخيال والتصور، لا التأوه والتنهد، ثم يسترها وراء براقع الاحياء والغموض.

ليست قيمة الفن في ان يهيج عواطفنا، وينبه احاسيسنا، لان التأثير الشديد يجمد الخيال، ويخرس التعبير، ويحد من سيلان الذهن، ويشغلنا لا باحاسيسنا عما سواها فحسب بل يشغلنا حتى عن وصفها والترجمة الصادقة عنها، ولذلك كان الادب العاطفي الكثير الهوس والهياج ادبا رخيصا مبتذلا، ويعتقد «سعيد عقل» في مقدمة قصيدته «المجدلية» انه «لم يقم اثر فني او عمل عظيم في حالة هياج فالفن نتيجة الهدوء، وعمل لاواع»

لعل خير ما يفصل في هذا الموضوع رأي دي غرامون ليبار الذي ينظر الى العاطفة الادبية نظرة معتدلة، فيرى انها لابد ان تكون عنصرا من عناصر العمل الادبي، ثم يشترط الا تكون مشوشة، مضطربة ولا مائعة رخيصة، وهو ينهي عن الغلو في خلق الصدف والمفاجئات في الادب القصصي العنيف، ويلقي احكامه النقدية بهدوء وروية قائلا: «قد يحدث التأثر بصورة كلية، دون ان يكون هذا التأثر لذة استاطيقية «جمالية» فالهياج النفسي اذا ما بلغ حدا ما قضى على اللذة، وهو ما نراه في «المسرحية السوقية» التي تبالغ في عرض الفواجع والمفاجئات، وفي الروايات البوليسية، وسائر الادب الحاد العنيف الذي يجعل المشاركة الشعورية الما لشدة التأثر، ومن هذا النوع المهيج «رقصة البطن» التي رغم براعتها، تخلو من الفن، ومشاهد عراك الثيران، والمصارعات الدامية، والالعاب الخطرة، ومشاهد القتل والتعذيب المسرحي، ومن الخطأ ان نقيس الجمال بمقدرته على اثارة العواطف.

للعاطفة اذن حدود يجب الا تجتازها، لانها باتساع المدى الانفصالي تقضي على اللذة الجمالية، وربما احدثت انقباضا كما راينا في المسرحية السوقية، ونعرف لهذا اكثر من مثل في الحياة الانسانية، فلو كنا نشاهد طفلا يغرق، فاننا للوهلة الاولى، نشارك والديه شعورهما، اما بعد ان نرى جنون عاطفتهما، وهياجهما فان الشعور الذي كان يخالجنا يضيع، بل ربما تحول الشعور الى نوع ءاخر مغاير، فتنقبض النفس وتتقزز لاسراف الابوين في اظهار عاطفتهما اكثر من الحد الطبيعي الذي يحتمل ان يبديه والدان في مثل هذه المواقف، ولذلك يخشى في التمثيل المسرحي اظهار التعذيب الوحشي من الممثل الذي لا يبغي الايلام، بل امتاع المتفرجين، فتضيع الغاية عليه.

ان الميوعة في الادب كالميوعة في الفن تهبط بقيمته الى الحضيض، فالكلمات الطنانة المبتذلة لا تستطيع ان تهب الاثر الفني قدرة على الخلود، والمفروض في الادب ان يكون اساسه صحيحا لا باطلا او مزيفا، وما العواطف المائعة سوى اساس مزيف من اسس الادب، صحيح ان الاعجاب قاعدة من قواعد الفن الجيد ولكن الا يثار اعجاب احيانا من عرض العاب نارية، او تنظيم الحوانيت في شارع من الشوارع؟ بيد ان العاطفة التي من هذا النوع ليست عاطفة شعرية لان الاساس الذي بنيت عليه فاسد ... وانما العاطفة الشعرية في انعقاد الزهرة ثم تفتحها، في ظهور هذه القوة الروحية التي تعمل في تكوين الزهرة، وما في ذلك من جمال حي لاينتهي معه الاعجاب.

المهم ان المياعةفي العاطفةالادبية شيءمبتذل حتى ولو قصد منها صاحبها الاصلاح والتوجيه، ولذلك كنا لانرحب بالادب المتشائم، ولا بالادب الزاهد لانه يقطع ما بين الانسان والحياة من صلات، ويرينا الجانب الاسود من الدنيا، ويعرض لنا مآسيها، ويخلق عندنا نوعا من التبرم والنقمة، مع ان الحياة ليست مأساة فقط، بل هي ملهاة تتخللها اكثر ما تتخللها، النظرات المشرقة.

ومن صفات العاطفة الادبية ان تكون متنوعة، ذات مصادر واسعة شخصية كانت ام موضوعية ... فاذا رأى احدنا لوحة طبيعية فيها اشجار وصخور واشخاص وبيوت، كان لابد له ان يتساءل عن الدافع الذي حدا بالرسام الى اخراجها على هذا النسق .. واخيرا يعرف ان النسق الظاهر في اللوحة انما كان نتيجة لظروف الفنان الشخصية والعقلية، حتى ليقول روسو: «ان اللوحة الواحدة تصور باشكال مختلفة تبعا لاختلاف الحالات الداخلية في نفوس الناظرين، فتباين اوضاع الصورة من مرة لاخرى عند الشخص نفسه انما يعود للظروف التي احاطت به .. ونحن ايضا لو نظرنا الى لوحة اليوم، ثم نظرنا اليها في الغد لكانت نظرتنا مغايرة كل التغاير، ولاوحت لنا اللوحة غير ما اوحت بالامس، ومن هنا جاء قولنا: «ان الفنان ابن ظروفه».

دمشق — عيسى فتوح

الدكتور محمد مندور

للأستاذ محمد أحمد البوسرغيني

منذ شهور مضت .. مات الدكتور محمد مندور ..

وبموته فقد العالم العربي — من محيطه الى خليجه — احد قادة الفكر الحر القديم والحديث ..

وبموته سقطت ورقة اخرى من تلك الشجرة الكبيرة اليانعة ، بثمار النوابغ والعباقرة الذين خلدهم الزمان ، واثروا وما زالوا يؤثرون على تاريخ الفكر المعاصر بثمرات نتاجهم ، وجهودهم الكبيرة ، التي خلدها تاريخ البشرية من جيل الى جيل . فبعدما سقطت ورقة استاذ الجيل احمد لطفي السيد .. وورقة الدكتور هيكل .. وورقة عباس محمود العقاد .. وغيرهم .. تسقط فجاة .. وبلا مقدمات طبيعية .. ورقة غالية ثمينة .. عزيزة على نفوسنا .. ورقة شيخ النقاد : الدكتور محمد مندور .

وبموته طوى الزمان فكرا نيرا عظيما ، ازدهى به المثقفون مدة تتعدى الثلاثين سنة ، ما لبث فجأة ان انقضى وانكمش على نفسه الى الابد .. وترك الجميع فى ذهول ..

ولد «1» رحمه الله يوم 5 يوليو عام 1907 فى كفر مندور بالقرب من منيا القمح بالشرقية ، وكان والده مومنا صادقا فى ايمانه ، متدينا ، ينتمي لمذهب صوفي اسمه « الطريقة النقشبندية » ومعناها النقش على القلب ، وكان رجلا متسامحا يبغض العنف والكره بين مجموع الناس ، يحفظ القرءان الكريم ويردده فى جل المناسبات .

فى هذا الجو العبق باريج الايمان الحق ، ترعرع الصبي محمد مندور ، وتفتقت موهبته على الدين ، وكيف لا تتفتق وقد « كانت نشأته الاولى فى ذلك الوسط الروحي والاخلاقي هي التي غرست في نفسه التمسك بالقيم الاخلاقية ، والحفاظ عليها دائما مهما كلفه ذلك من ثمن » .

وفى حوالي الخامسة من عمره ، ارسله والده الى الكتاب لتعليم القراءة والحساب ، لكنه لم يدم به طويلا حتى دخل المدرسة ، فكان يستيقظ مع الفجر ليركب حماره ، ويقطع مسافة ستة كيلومترات ليصل الى منيا القمح حيث المدرسة ، وفى الطريق الطويل « كان يتعرض لمضايقات اولاد وتلاميذ يكبرونه سنا ، وكان يخشاهم وكل ذلك اثر عليه واربكه فى مرحلة الدراسة الابتدائية » .

وفى عام 1921 نجح فى امتحان الشهادة الابتدائية نجاحا « عاديا » فانتقل الى مدرسة طنطا الثانوية حيث بدات مواهبه تتفتح ، ويحافظ على السبق للحصول على اعلى الدرجات طوال مرحلة الدراسة وفى عام 1925 حصل على الباكالوريا من القسم الادبي ، وفى هذه الفترة كان مغرما بقراءة الكتب الادبية ، وامهات الادب العربي القديم امثال : العقد الفريد لابن عبد ربه ، والكامل للمبرد ، والاغاني لابي الفرج الاصبهاني ، والامالي لابي علي القالي ، وقد قراها كلها وهو فى المرحلة الثانوية .

1» سنعتمد فى دراستنا لحياة الدكتور محمد مندور على كتاب « عشرة ادباء يتحدثون » لانه هو المصدر الوحيد لحد الان الذي به حياة الدكتور محمد مندور . الناشر دار الهلال . عدد 172 — يوليو 1965 . ومؤلفه هو الناقد فؤاد دواره

وبعد حصوله على الباكالوريا التحق مباشرة بكلية الحقوق، ليتخرج وكيلا للنيابة « كأولئك الوكلاء الذين يحضرون الى كفر بين الحين والاخر، فتهتز لحضورهم القرية كلها، ويجرى لهم الخفر والمشايخ، بل والعمدة نفسه » وكانت البرامج الدراسية للسنة الاولى في كليتي الحقوق والاداب تكاد تكون واحدة، وذلك في الادب والتاريخ وعلم النفس والاجتماع واللغات الكلاسيكية. واكتشف الدكتور طه حسين عبقرية الطالب محمد مندور، فاستدعاه لمقابلته وساله:

— ما الكلية التي طلبت الالتحاق بها ؟
اجاب :

— كلية الحقوق يا دكتور.
— ولماذا ؟
— لاتخرج وكيلا للنيابة بالذات..
فقهقه الدكتور طه حسين، وعاد يسأل تلميذه:

— ولماذا وكيلا للنيابة بالذات ؟
— لانه الرجل الذي تهتز له بلدتنا كلها عندما يحضر اليها.

— اما فلاح صحيح يا بني، ان لديك استعدادا ادبيا لا تشك فيه، وخسارة ان تدفن نفسك في هذه المهنة. انا انصحك بان تعدل عن الحقوق الى الاداب، واملي كبير في ان تتفوق وان تسافر في بعثة الى اوربا بعد تخرجك لتعود وتعمل استاذا في الجامعة.

ولكن الطالب الريفي، رفض عرض استاذه في ادب وحياء، واصر على البقاء في كلية الحقوق، فقال الاستاذ :

— اما فلاح مخه ناشف
ثم صمت ليستطرد قائلا بعد لحظات :
— طيب يا سيدي ابق في الحقوق كما تريد، ولكن على ان تلتحق ايضا بكلية الاداب في نفس الوقت، وانا اتعهد باعفائك من مصروفات كلية الاداب، ولن يصعب عليك الجمع بين الكليتين لان الدراسة بعد السنة الاعدادية ستكون في الصباح بالحقوق، وبعد الظهر بكلية الاداب.

وكذلك اعجب به « هوستليه » استاذ علم الاجتماع باجتهاده في مادته، وعرض عليه ان ينضم الى قسم الاجتماع فوافق، واصبح يدرس في كلية الحقوق، وفي قسمين بكلية الاداب في وقت واحد.

وفي عام 1929 حصل على ليسانس الاداب، ووقع عليه الاختيار ضمن بعثة تضم خيرة الشباب المثقف في مصر، حيث التحق بالسربون ليحضر درجة «دكتوراه» في دراسةالنقد العربي، ولكن دراسته للنقد العربي لم تقنعه وانما دفعته الى انواع من الدراسات الادبية الاخرى التي كان لابد منها في النقد، فدرس النقد الادبي، ودرس الاداب الفرنسية وما يتصل بها من لغات كاليونانية القديمة، واللاتينية والفرنسية وفقهها المقارن مع حضور محاضرات المستشرقين، وتحضير دكتوراه في الادب العربي القديم مع احدهم، كما « التف الى بعض الدراسات الصوتية واللغوية في سبيل تأكيد نظرته الى مباحثه النقدية » «1».

ولحسن الحظ قررت الكلية ان تستبقي البعثة سنة تدرس خلالها اللغة الفرنسية قبل سفرها، فاستطاع محمد مندور ان يكمل خلالها دراسته للحقوق. وحصل على الليسانس « للحقوق » في عام 1930، واستدعي بالفعل لتحقيق امل الطفولة ليصبح وكيلا للنيابة، ولكنه بعد تردد طويل، فضل السفر في البعثة الى باريس على التعيين وكيلا للنيابة التي اصبحت في نظره لا قيمة لها.

وغادر القاهرة الى باريس..
غادرها وكله امال واماني واحلام..
وفي هذه المدينة العامرة بكل انواع الثقافات المتجلية فيها نزعات الفكر الثائر، حيث تلتقي فيها عناصر حية من مثقفي العالم، وتبرز فيها عناصر اخرى ذات فكر حر مثقف واع لظروف ملابسات الافكار الثائرة على مجتمعها المقيد، المثقل البطيء.. وحيث هي مركز الاشعاع الروحي للمثقفين في اي بقعة من الارض كانوا او وجدوا، استطاع محمد مندور ان يكون لنفسه عالما خاصا به، عالم الطالب.. الباحث في مجال الاشياء واغوارها وجوهر وجودها..
فباريس مدينة بالغة الخطورة، فيها — كما يقول — الجد والصرامة، وفيها المغريات المهلكة، وقد اخذ من الاثنين بطرف. والغريب العجيب ان المغريات هي التي افادته كثيرا من الناحية العاطفية والثقافية،

1» راجع مقال « الدكتور مندور الانسان » للدكتورشكري فيصل، بالصفحة الثقافية بجريدة العلم عدد 5560 المؤرخ بتاريخ 28 مايو 1695.

لانها مكنته من الاختلاط بالمجتمعات الراقية المتقدمة ، وبدهماء الفن والادب في مونبراس والحي اللاتيني .

وباريس كذلك هي التي كونته عقليا وعاطفيا وانسانيا ، هي التي غرست في نفسه حب التأمل والاستطلاع في الحياة ، وهي التي صقلت مواهبه بكل ما فيها من الاحاديث التلقائية العفوية ، والاعترافات الصادقة في ساعات الحظ والامل ، ولمس نفوس البشر عارية صريحة غير مقنعة ولا متوارية .

وكان طيلة مقامه بباريس يحاول ان لا يتكلم بالعربية ، فيبتعد عن اخوانه المصريين ، ويختلط بالاجانب المقيمين بها ، وذلك للمزيد من البحث والاستطلاع في ءافاق اللغة الفرنسية وءادابها وعلومها وفي هذا يقول : « كنت في باريس احاول ان لا التقي باخواني المصريين الا في حالات الضرورة ، واختلط طوال الوقت بالفرنسيين وغيرهم من الاجانب المقيمين في باريس ، تجنبا لمواصلة الحديث باللغة العربية ، حتى لاحظت بعد السنة الاولى من اقامتي في باريس، اني لم اعد افكر باللغة العربية ، بل انتقلت الى التفكير باللغة الفرنسية . ويخيل الي ان تغيير لغة الفكر الى لغة اكثر تجديدا ودقة ، واقل ميوعة قد غير منهج تفكيري كله ، بالرغم من ان تفكيري منذ دراستي الجامعية في مصر كان يمتاز بالدقة والوضوح والنفور من الشقشقة اللفظية ، او افتعال الغموض . وربما كان للمزاوجة بين دراسة القانون والادب اثر فعال في تكوين هذا المنهج الفكري في نفسي » الى ان يقول : « ومع كل هذا فمن المؤكد ان تغيير لغة التفكير لا لغة الكلام فحسب ، هي التي تكون النقلة الكبيرة في منهج تفكيري العام ، بل واحساسي ايضا . فاللغة هي ضابط الاحساس كما هي ضابط الفكر . والانسان لا يعي احساسه ولا يبينه الا اذا استطاع ان يسكنه اللفظ المحدد الدال »

وفي باريس عرف الانطلاق والحرية الفكرية الواسعة المنتشرة تحت سمائها وارضها والتي لا مثيل لها في بلاده . يقول : وهما لا شك فيه ايضا ، ان جو الحرية الفكرية الواسعة المنتشرة في سماء باريس وارضها ، قد كان له اثر فعال في تفتيح نوافذ النفس على كافة الافاق. فضلا عن انني لم اقتصر على القراءة ، بل احست ان في المشاهدة منبعا للمعرفة لا يقل اهمية عن القراءة ان لم يفقها احيانا . ولذلك لم امكث في باريس بعد انتهاء العام الدراسي ، بل كنت اغادرها للتنقل اما في ارجاء فرنسا ، واما في الدول الاوربية الاخرى ، وكان للمشاهدة وقع السحر في نفسي فما زلت اذكر مثلا كيف تحول وصف « فلوبير » لكنيسة مدينة « روان » في احدى قصصه الى حقائق حية نابضة ، موحية عندما زرت تلك الكنيسة ، وشاهدت القصص الدينية التي نقشت على نوافذها لتحكي قصة القديس « سان جوليان » وعندما وصلت الى الدار الريفية المتواضعة التي اعتزل فيها « فلوبير » الى جوار « روان » في شمال فرنسا مدةخمس سنوات ليكتب فيها روايته الخالدة « مدام بوفاري » خيل الي انني امام معبد رهيب »

وبعدما فرغ من دراسة اللغة اليونانية القديمة وءادابها في عام 1936 ، احس برغبة ملحة في زيارة بلاد اليونان التي قرا عنها الشيء الكثير من التراث اليوناني القديم ، فاتفق مع زميل له في الدراسة يدعى « جاك تريليه » على القيام معا برحلة الى بلاد اليونان وجزرها المتناثرة في بحر ايجه ، وجزيرة صقلية باعتبارها جزءا من بلاد الاغريق القديمة .

وهكذا سافرا رغم اعتراض مدير البعثة في باريس ، لانه كان يظن الامر مجرد نزوة سياحية ، مع انها كونت عند مندور « اضخم معجزة بشرية » والتي « تفوق في اهميتها الف كتاب » .

وعند ما عاد من رحلته ، فوجيء بمدير البعثة يوقف مرتبه ، ويطالب بفصله من البعثة ، لانه خالف رايه . ولحسن الحظ ان كان مديرا لجامعة القاهرة ءانذاك السيد احمد لطفي السيد ، الذي كان محمد مندور قد نجح في كسب ثقته ، وخاصة عند ما نجح في ليسانس الادب الفرنسي التحريري بعد عام واحد .

وعندما لاحت تباشير الحرب العالمية الثانية بل وفي عام 1939 ، عاد الى القاهرة ، فواجه صعوبات وتحديات لتعيينه في الجامعة ، سببها عدم حصوله على الدكتوراة في الادب العربي القديم ، وسيطرة النظام الانجليزي في قسم اللغات القديمة . فعمل مدرسا للترجمة من الانجليزية الى العربية ، وفي السنة الدراسية 40–1941 تمكن المرحوم احمد امين من ان يحصل له على بضع ساعات للترجمة من الفرنسية الى العربية في قسم اللغة الفرنسية.

وبعد فترة وجيزة – 1943 – حصل على الدكتوراة من جامعة القاهرة ، وكان موضوع الاطروحة التي تقدم بها « التيارات النقدية عند العرب في القرن الرابع الهجري » وظن ان الدكتوراه ستفتح له

ابواب الامل الموصدة امامه ، فتقدم الى الدكتور طه حسين بوصفه مديرا لجامعة الاسكندرية وطلب منه ان يرقى الى درجة مدرس «أ» ، ولكنه رفض . وفي هذا يقول الدكتور مندور : « فبعد ان حصلت على الدكتوراه سنة 1943 من جامعة القاهرة بمرتبة الشرف الممتازة ، تقدمت الى الدكتور طه حسين بوصفه مديرا لجامعة الاسكندرية التي اعمل بها ، بطلب ترقيتي الى وظيفة مدرس «أ» من الدرجة الرابعة ، فاذا به يرفض طلبي ويحتد في رفضه بصورة دفعتني الى التفكير الجدي في الاستقالة من الجامعة » وقدم استقالته وخرج الى الهواء الفسيح .. الى ميدان الصحافة .

وهكذا ففي فاتح فبراير 1945 تولى تحرير جريدة « الوفد المصري » زيادة على تحريره في جريدة « اخبار اليوم » وبعض المقالات في « الاهرام » ومجلة «بلادي» التي كان يصدرها ابن احد كبارهيئة السعدية. وكذلك تولى تحرير مجلة « البعث » والتي كان يكتب فيها مقالات ملتهبة حماسة ووطنية ، بعد ما كانت منبرا للارادات الطلائعية الثورية التي بدأت آنذاك تخرج من قمقمها العميق الى مجتمعها تصلح ما افسده المستعمر الغاشم .

وفي يوليو عام 1946 شن اسماعيل صدقي حملة شعواء على اثنا عشرة مجلة وجريدة فاغلق جميعها . ومن بينها جريدة « الوفد المصري » ومجلة « البعث » وفي تلك الليلة المشؤومة فاجاه البوليس في عقر داره ، وساقوه الى مركزهم . وفي هذا يقول : « فاجاني البوليس في بيتي بدورياته وعساكره وضباطه ، فازعجوا زوجتي واطفالي ازعاجا شديدا ، ثم ساقوني معهم الى المحافظة رغم انهم لم يجدوا في منزلي اي كتاب او ورقة تشير الى أني شيوعي من قريب او بعيد » .

وبعد هذا القي عليه القبض ، ووضع داخل الزنزانة مدة 46 يوما . والواقع الذي من اجله دخل الى السجن ، انه رفض التعاون مع اسماعيل صدقي وحكومته ، التي حاولت رشوته بتعيينه سفيرا في سويسرا، وقد اجابها بلسان صريح لا يخاف الوهن او الجبن : « اني افضل الانتحار على مثل هذه الخيانة الوطنية » . وظل اصدقاؤه على اتصال مستمر به ، فكان يكتب مقالات يومية يوجه فيها ـ وهو بالسجن ـ النقد لحكومة اسماعيل صدقي، مما ظن هذا الاخير ان خير الحل هو اطلاق سراحه بعد ما كان يتمتع باحترام كبير من طرف رجال البوليس ، الذين حرصوا على ان يوفروا له الراحة معرضين انفسهم بذلك للاخطار ، فكانوا يحملون له الصحف والغذاء ، بل لقد مكنوه من كتابة مقالات ضد صدقي والسراي والانجليز من داخل السجن « وحملوها للجريدة فنشرتها ، مما كان يطيح بصواب الحكومة الظالمة القائمة وقتذاك ، وتسبب ذلك في نقل بعض رجال البوليس وتشريد بعضهم » .

وبسقوط وزارة اسماعيل صدقي ، امكن ان يتولى « تلقائيا » رئاسة تحرير جريدة « صوت الامة » التي واصل فيها كفاحه ضد استبداد الاستعمار ، واحتكار راس المال الاجنبي والوطني لكل ثروات البلاد ، لذا طالب بعدد كبير من قوانين العدالة الاجتماعية التي تكفل للامة ـ وخاصة العمال ـ حياة اسعد وارقى . وتتضمن هذه القوانين : ـ التأمينات الاجتماعية في مواجهة العجز ، والشيخوخة كما طالب بتحديد الملكية ، والزراعة ، ووضع حد معقول للضرائب الباهظة التي كان يشكو منها المواطنون .

« واذا كان الدكتور مندور يتسلم جريدة «صوت الامة» ويكتب افتتاحيتها ، فتكون هذه الافتتاحيات بعض وقود الثورة الكبرى التي كانت بعد ذلك عام 1952 . فقد اضفى على مقالاته في صوت الامة ما كان يثور عنده من رغبات نحو مستقبل وطنه ، ومن نقد لحاضره ، ومن تبرم بواقعه .. واشاع كثيرا من المفاهيم والاراء والنظرات .

« لكن مندور لم يكن عنيف الولاء الى جانب سياسي بعينه . لم يكن ـ على انه يكتب في صوت الامة ـ يصدر عن تفكير حزبي ضيق ، ولم يكن « وفديا » بهذا المعنى الذي كان يفهمه الناس آنذاك من الاحزاب ولكنه احس هذا التجاوب بينه ، وبين جناح من الوفد ، فانطلق معه ، لم ينطلق سياسيا ولكنه انطلق انسان مجتمع ، انسانا ثائرا ، متألما ، ينظر الى كل زاوية من زوايا مجتمعه ويرى « السياسة » حصيلة وليست اصلا ، تتويجا لكل مشاكل الجماعة لا مشكلة رئيسية فيها »

« وعلى انه خاض في « صوت الامة » في بعض التفاصيل التي كانت تطرحها الحياة السياسية

اليومية غير انه كان يعالجها من هذه الزاويـــــة الاجتماعية ، التي كان وراءها عقله وقلبه واحاسيسه. ولذلك ظل الدكتور مندور اثيرا عند كل الناس جميعا، وفديين وغير وفديين ، محببا اليهم .. للذي يقوله اثـره وخطـره » «1» .

وفي اوائل عام 1948 تولى مهنة المحاماة التي لمع فيها . يقول : « قررت في اوائل عام 1948 ان اقيد نفسي في نقابة المحامين ، وان انتفع بدراستـــي للقانون في مزاولة المحاماة ، وكان اسمي قد انتشر في جميع انحاء البلاد ، وملأ جميع الاسمـاع ، ممـا مما يسر لي العمل بالمحاماة . فازدهر المكتب الـذي افتتحته ، وكان يأتيني الموكلون مـن اقصى الصعيد ، واقصى شمال الدلتا في القضايا الجنائيـة الكبيرة . وبلغت وقتئذ مبلغا كبيرا من الرخاء المادي ، رغـم حرصي الشديد على شرف مهنة المحامـاة . وواصلت في نفس الوقت الكتابة والاشراف على تحرير جريـدة « صوت الامـة » حتى هزمنا حكومات الاقليـــات هزيمة مطلقة . فاضطر الملك الى التسليم بضـرورة اجراء انتخابات جديدة تشرف عليها حكومة محايـدة برياسة « حسيـن سري » وتولى الدكتور محمـــد هاشم وزارة الداخلية التي اجرت الانتخابات بنزاهة. وطالبت من الوفد المصري ترشيحـي لدائـــــرة السكاكيني ، وجرت الانتخابات ، وفزت فيها فـوزا سحيقا ودخلت البرلمان عضوا فيه لاول مرة » .

ولكنه ظل علـى اتصال دائم ووثيـق مـــع الصحافة التي لم يفارقها ابدا بمقالاته السياسيـة ، وابحاثه الادبية ، التي كانت تتطرق الى مشاكـــل الشعب الذي كان يشكو من حكم الحكام المستبديـن الموالين للانجليز ، والعملاء المنتشرين في ارجـــاء البلاد . فكيف يفارقها وهو رجل مثقف وسياســي كبير له ثقله ووزنه وشعبيته عند مجموع الامـــة . يقول عن مرحلة انطلاقه من الوظيفة الحكومية الــى العمل بالصحافة « عندما قررت ان احطم قيـــود الوظيفة الحكومية ، لاسترد حريتـي في العمـــل السياسي والاجتماعي الى جوار العمل الادبي الـذي تخصصت فيه ، فلم اجد ميدانا استطيع ان اجمـع فيه بين العمل السياسي والعمل الادبي كناقد متخصص الا في الصحافـة » .

بدا رحمه الله نشاطه الادبي كناقد في مجلـــة « الثقافة » و « الرسالة » و « الاهرام » وركـــز اهتمامه الادبي بالدعوة الى « ايثار الناحية الجمالية في الادب ، والعناية بالصياغة والقالب الفنـي عامـة في الشعر والادب » وكان من رايه « ان للادب وظيفـة سياسية ولكنه لا يؤديها باسلوب مباشر والا انقلب الى مجرد دعاية سياسية . فوظيفة الادب في التطوير السياسي ، ان يستخلص القيم المحركة التي تكمن خلف مظاهر التطور المادي والاجتماعي للحياة . وهو بكشفه عن هذه القيم الكامنة يحيلها الى قـوة ايجابية فعالة تدفع نحو مزيد من التطور في نفس الاتجاه » .

« ومعنى هذا ان الادب انعكاس لواقع الحيـاة وتطورها ، ولكنه ليس انعكاسا سلبيا ، بل انعكاسـا ايجابيا ، فهو يرتد ثانية الى تلك الحياة ليحث خطاها، ويدفعها نحو مزيد من التطور والتقدم ، وبذلك ياخـذ من الحياة ، ثم يعطيها اكثر مما اخـذ . وهذا هـــو المفهوم الديالكتيكي للفلسفة الاشتراكية ، بالنسبـة للادب ، وهو يختلف عن المفهوم الميكانيكي للاشتراكيـة الذي يعتقد ان التطور المادي للحياة هو الذي يطـور الفكر في حيـن ان الفكر في موضع الذنب لا الراس ، بينما المفهوم الديالكتيكي يجعل الفكر قوة فعالـــة نحو التطور والتقدم لا مجرد انعكاس آلي لذلـــك التطـور » .

وبالمناسبة اريد هنا ان اثبت حقيقة ادبية تاريخية، حتى تكمل الصورة التي رسمناها للدكتور محمـــد مندور . وهذه الحقيقة هي ان الدكتور مندور كـان يمثل مع الدكتور لويس عوض الجيل الاوسط الـذي وضع مع الجيل الاول والذي يمثله : الدكتور طـه حسيـن وعباس محمود العقاد والمازني وهيكـــل

1» «الدكتور محمد مندور الانسان » مقال للدكتور شكري فيصل ، الصفحة الثقافية بجريدة العلـــم عدد 5560 بتاريخ 28 مايو 1965

اسس النقد فيما بين الثورتين 1919ـ1952 «1» وقد كان جيل الدكتور مندور يتميز بشيئين : المنهجية الاكاديمية من ناحية ، ومحاولة الربط بين الادب والحياة من ناحية اخرى . بمعنى ان الدكتور مندور لم يعد يكتفي بان يعيش النقد في برج عاجي معزولا عن الحياة ، بل حاول دراسة العلاقة القائمة بين الفن والادب من ناحية ، وبين الحياة والمجتمع من ناحية . وقد كان لهذه المحاولة اثر واضح في تكوين الفكر الجديد في مختلف المدارس لا في الواقعية فقط ، ولكن في فهم الرومانسية والكلاسيكية .

ونستطيع ان نقول ان الدكتور مندور والدكتور لويس عوض كانا بمثابة المقدمات الطبيعية ، التي مهدت للفكر وفي الادب لما هو حادث اليوم . ومن هنا فهما اشبه بقنطرة ، وبالدعاة الاول لهذا الجديد الذي نراه اليوم «2» .

وقد ركز الدكتور مندور اهتمامه في النقد بثلاث مراحل كناقد ادبي .

المرحلة الاولى : في المنهج الجمالي في النقد وكان يركز فيها على القيم الجمالية في النص الادبي ، وفي الشعر بصفة خاصة، لان الفن الادبي الذي يعتبر اكثر جمالية من اي فن ادبي اخر ، حيث يصب هذا الفن او ذاك مضمونا انسانيا معينا قد يرضى عنه الناقد وقد لا يرضى . اما الشعر فمن الممكن ان يعتبر فنا جماليا خالصا . والجمال له اكبر قيمة فيه .

المرحلة الثانية : منهج النقد الوصفي التحليلي وهو المنهج الذي صدره في ثلاثة عشر كتابا الفها لمعهد الدراسات العربية العليا. وقد التزم فيها اسلوبا علميا محايدا يهدف الى الوصف والتعريف والتثقيف اكثر مما يهدف الى التوجيه .

المرحلة الثالثة : مرحلة النقد الايديولوجي ، وهو يقوم على منهج يحدد وظيفة اجتماعية محددة للادب والفن ، ويصدر الناقد في نقده عن عقيدة ، او على الاصح عن هذا المنهج الفكري والفني الذي يعتنقه ويقول عن هذه المرحلة وسبب ايمانه بها : «وقد دفعت الى اعتناق هذا المنهج ، نتيجة لاهتمامي بالقضايا العامة وبالنواحي السياسية والاجتماعية في حياتنا ثم لايماني بالفلسفة الاشتراكية ، وازدياد ايماني بها كلما ازددت معرفة بواقع مجتمعنا اثناء عملي في الصحافة والمحاماة والبرلمان . وبحكم نشاتي الريفية ، واستمرار صلتي الوثيقة بالريف واهله ، وطبقات شعبنا الكادحة المظلومة » .

وقد ظهر هذا المنهج ـ الايديولوجي ـ في النقد وهو « المنهج الذي يولي مضمون العمل الادبي والفني اهتماما لا يقل عن الاهتمام الواجب بالقيم الجمالية في الادب » وقد ازعج هذا المنهج بعض الذين راوا فيه اتجاها سياسيا واجتماعيا اقلقهم واقض مضاجعهم . فانبرى نفر لمحاربته باسم الفن وحريته وقيمه الجمالية . والف الدكتور رشاد رشدي جماعة من تلاميذه ومساعديه لمحاربة اتجاهه في هذا المنهج ، واذا بعدد كبير من اصدقائه وزملائه المثقفين،

1» يتميز الجيل الاول بانه هو الذي وضع اسس النقد النظرية والتقليدية ، سواء بتعريف العالم العربي بنظرات النقد الاساسية في الاداب الاجنبية العالمية . او بتطبيق مقاييس النقد على الادب العربي قديمه وحديثه .

والجيل الثالث او الحالي فهو جيل النقاد الشبان الذين نشأوا في كنف الثورة : وهم رجاء النقاش ، محمود امين العالم ، عبد العظيم انيس ، احمد عباس صالح ، انيس منصور ، فاروق خورشيد والدكتور عبد القادر القط وغيرهم . وقد حمل عليهم الدكتور لويس عوض بأنهم يتميزون بالانطلاق والتفتح والتخفف من الاكاديمية . وهذا في حد ذاته نافع وضار في ءان واحد ، هو نافع من ناحية الانطلاق المتفتح . ولكن نقص تكوينهم الاكاديمي جعلهم يقفون على ارض غير ثابتة ، ولعلهم لا يلامون على ذلك ، لان طبيعة الطور السريع الذي نعيش فيه لا يدع لهم مجالا لاستكمال تكوينهم العلمي ، فهم يستقبلون مدارس الفكر والفن الجديدة بعقل متفتح . فلا يفزعون امام التجريد او اللامعقول او الوجودية ، وقد استطاعوا ان يواصلوا الكلمة .. كلمة النقد الى الجمهور من خلال كتاباتهم في الصحف ، بعد ان كان النقد الادبي والفني قاصرا على فئة قليلة من المثقفين ، يتابعونه بعد ان اصبح الان من الاهتمامات العامة .

2» راجع نص الاستجواب الذي اجرته جريدة العلم مع الدكتور لويس عوض والذي يشرح فيه الموقف الثقافي بمصر قبل وبعد الثورة » عدد 5602 السنة التاسعة عشرة بتاريخ الجمعة 16 يوليوز 1965

رددوا فيه الاتجاه التخريبي المناهض والمضاد لرأي مندور لرشاد رشدي واتباعه المهزوميـن .

وخلال هذه المراحل الثلاثة المتقدمة حافظ ـ رحمه الله ـ على القيم الانسانية العامة ، والقيم الجمالية . ولكن المسألة اصبحت مسألة موازنة بين مختلف القيم ، فاغفال القيم الجمالية ، يخرج الادب عن طبيعته كادب . ولكنه لا يهتم بالمضمون الى جوار القيم الجمالية ، واحيانا يعطي للمضمون اولوية في التقييم ، وقد ظهر هذا الاتجاه ، في كثير من ابحاثه ومقالاته والتي جمعها اخيرا في كتابه القيم « قضايا جديدة في ادبنا المعاصر » .

وخلال هذه الدراسات القيمة ، والنشاطات الادبية وتدريسه في معهد الدراسات العربية العليا التابع لجامعة الدول العربية ، خرج بتآليف كثيرة تتعدى الثلاثين وكلها قيمة اغنت الخزانة العربية بما تحويه بين دفتيها . واهمها :

ـ النقد المنهجي عند العرب ـ نماذج بشرية ـ في الميزان الجديد ـ في الادب والنقد ـ ابراهيم عبد القادر المازني ـ خليل مطران ـ اسماعيل صبري ـ ولي الدين يكن ـ مسرح شوقي ـ مسرحيات عزيز اباظة ـ المسرح النثري ـ مسرح توفيق الحكيم «الجزء الثاني من المسرح النثري» ـ الشعر المصري بعد شوقي « في ثلاثة اجزاء » الادب ومذاهبه « منذ الكلاسيكية حتى الوجودية » ـ الادب وفنونه ـ قضايا في ادبنا الحديث ـ النقد والنقاد المعاصرون .

كما ترجم الكتب الادبية الاتية :

تاريخ اعلان حقوق الانسان للفيلسوف الفرنسي «البيربابيه» ـ دفاع عن الادب لجورج ديهامل ـ من الحكيم القديم الى المواطن الحديث ، وقد الفه اربعة اساتذة السربون ، وفيه تحدث كل واحد منهم عن المثل الاعلى الذي ساد العالم المتحضر في فترة من فترات التاريخ ـ مدام بوفاري لجوستاف فلوبير ـ نوزات ماربان ـ ليالي موسيه . الى غير ذلك من المقالات الادبية التي كان ينشرها في مجلة الرسالة والثقافة والاهرام والجمهورية والمسرح .

بقيت لنا في هذه العجالة السريعة من حياة الدكتور محمد مندور ، نقطتان مهمتان هما : معركته مع عباس محمود العقاد . ومشاركته في المسرح والذي بذل فيه جهودا عظيمة من اجل الرفع من قيمته ماديا وادبيا ومعنويا بعد ان احبه حبا يفوق طاقة الخيال وعمل فيه كاستاذ وناقد وباحث ومتحدث عظيم .

خاض رحمه ثلاث معارك هامة مع عباس محمود العقاد . وهي :

المعركة الاولى : وقد وصفها الدكتور مندور « بانها المعركة الكبرى العنيفة » . وقد ابتدات بينهما حول جزئيات مثل ما اكده العقاد في كتابه « مطالعات في الكتب والحياة » عند حديثه عن رسالة الغفران لابي العلاء المعري ، من انه لم يسبقه في الرحلة الى العالم الاخر غير « لوسيان » الشاعر الروماني . فاندهش الدكتور مندور لهذا ، وعلق على زعم العقاد بان فيه قصورا لا يبيح لكاتبه تعميقا وتأكيدا كالذي زعمه . وأكد له الدكتور مندور ان تخيل الرحلة الى العالم الاخر اقدم من « لوسيان » وكل شعراء روما . لان الاساطير الاغريقية القديمة ، سبقت الى وصف رحلة « اورفيوس » الى العالم الاخر بحثا عن زوجته الفقيدة . ثم وصف « هوميروس » لرحلة « اوليس » بطل ملحمة « الاوديسة » الى العالم الاخر ايضا ، بل وعند الرومان انفسهم سبق « فيرجيليوس » «لوسيان» في وصف رحلة الى العالم الاخر في ملحمته الشهيرة « الالياذة » وهاج العقاد على هذا الرد هياجا شديدا ، ورد عليه بمقال مبديا دهشته من ظهور غلام يدعى « مندور غندور » يدعي العلم ويجرؤ على مناقضته .

المعركة الثانية : استمر السجال بينهما مدة من الزمان ، حتى تطور الى مناقشته لمنهج العقاد العام في التفكير والكتابة . وكذلك حول المنهج النقدي، فأما عن التفكير والكتابة فقد اخذ الدكتور مندور عن العقاد «التأكيدات الجازمة المسرفة التي تحتاج الى استقراء كامل قبل الجزم بها . وانا اعلم ـ يقول الدكتور مندور ـ ان التفكير العلمي السليم يأبى التعميمات التي لابد ان يتسرب اليها الخطأ . لان احدا لا يستطيع ان يزعم الاحاطة بكل شيء ، لان منهج العقاد منهج جدلي كثيرا ما ينهض على اقيسة فاسدة لمجرد اللجاجة في الجدل ومحاولة الافحام لا الاقناع » اما المنهج النقدي فقد اخذ على العقاد ومدرسته « انهم يريدون ان ينزلوا بالادب الى مستوى الوثائق النفسية ، فيصبح همهم كنقاد استخلاص العقد النفسية للشاعر او الاديب من انتاجه الادبي . وبذلك يتحول الناقد منهم الى باحث

نفسانـــي لا ناقد ادبي له منهجه الخاص بعمله ، باعتبار ان الادب شيء قائم بذاته له منهجه الخاص ، وفـــن جميل ، ووعاء لقيم انسانية واخلاقية واجتماعيــــة تكتسب وجودها المستقل عـــن صاحبها » وقد جمــع معظم هذه الردود فى كتابـــه « الميزان الجديد » .

المعركـــة الثالثة : كانت هذه المعركـــة عــــام 1956 حول الشعر الحر الجديد ، وهل هو شعر خال من الموسيقى ، ام له موسيقـــاه الخاصة وهل هي من نوع جديد لا تقوم على ايقاع الطبول مثل موسيقـــى الشعر العمودي . وقد تدخل العقاد فى هذه المعركـــة، وانكـــر وجود اي موسيقى فى الشعر الجديد ، ورفض اعتباره شعرا بعد ما كان يحول القصائد التــــي ترسل اليه الى لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعايـــة الفنـــون والاداب الى لجنة النثر للاختصاص . وقـــد اوضح الدكتور مندور فى هذه المعركـــة ان للشعـــر الجديد موسيقاه القائمة على التفعيلة ، وله اسلوبـــه فى التعبير الشعري الجديد الذي يجمع بين الواقعيـــة والرمزية والغنائية ، وضرب جديد مـــن الموسيقى . توقعت ان تالفه ءاذاننا على نحو ما الفت الموسيقـــى الغربية المتعددة الانغام والالحان التي لا يحتل فيها الايقاع مكان الصدارة ، بالرغم مما لقيته هذه الموسيقى فى بادىء الامـــر من مقاومة . ثم لـــم تلبث الاذان ان الفتها واحبتها ، بـــل وفضلتها احيانا كثيـــرة علـــى الايقـــاع الجدي الذي يغلب على الموسيقى الشرقية .

وفى ءاخـــر هذه المعركـــة اطلق عليه العقاد اسم: شيـــخ النقـــاد .

لم يكتف رحمه الله بعمله الادبي المحدود ، بـــل دفعته انسانيته الصادقة الى ان ينظر فى الانواع الادبية الاخرى التي لها صلة وثيقة بعامة الشعب . فانطلـــق الى المســـرح مدرسا مواد ادب المسرح وتاريخه ونقده فى المعهد العالي للفنون المسرحية ، ورئيـــسا لقسم الادب المســـرحي ، واستاذا للنقد حتى اواخر ايامـــه . كما كان عضوا فى لجنة المســـرح القومي ، ولجنة المســـرح الكوميدي ، بل وكان له فى كل الوان النشاط المسرحي الرسمي والحر اثر واضح ومشاركـــة فعالة .

وخلال عمله بالمســـرح ، ركز اهتمامه فى ثلاثـــة مقالات طويلة ، تعتبر ابحاثا عن تطور الفن الدرامـــي فى العصر الحاضر فى العالم ، على اساس تطور مفهوم وظائف الادب واهدافه منذ ظهور ما يسمى بالاوتشدك، اي الاستطلاع الدرامي ، حتى المســـــرح الملحمـــي ، والمســـرح الوجودي ، واخيرا مسرح اللامعقول . وقوم كل هذه المذاهب فى ضوء ما تحققه للانسانية مـــن مكاسب ، او ما تلحقه بها من اذى . وقد نشر هذه المقالات فى مجلة المســـرح بعنوان «تصفية حساب» اي حســـاب الاصول الدرامية وتطورها بتطور الوظائـــف والاهداف . وبالرغم من انه لم يفصح عـــن هدفه فى مقالاته ، فان الهدف من السهل الاحســـاس به ، وهـــو تبرير وتعزيز اتجاهه نحو تركيز الاهتمام الاكبـــر على مضمون الادب والفن . وهو بالطبع المضمون الذي يخدم الحياة والانسان ، ويتمشى مع الفلسفـــة السياسية والاجتماعية التي ارتضاها الشعب بدليل ان تطور المضامين والاهداف ادى الى تطور الشكـــل الفني والاصول الدرامية الخالصة . فالشكل تابـــع لا متبوع ، ويكفي ان يسهم فى ابراز هذا المضمـــون وايصاله الى الناس . يقول رحمه الله فى هذه القضية وخلاصتها : « هذه هي الخلاصة التي يسهل الخروج بها من تصفيتي لحساب الاصول الدرامية اي الشكل الفني للدراما ، وهي اكبر رد غير مباشر على مــــن يعارضون اتجاهي الايديولوجي الجديد ، وان لـــم يتخذ هذا الرد صورة المعركة او الحرب الدونكيشوتية المقعقعـــة بالســـلاح . وفضلا عن ذلك فقد احتفظـــت بمنهجي الوصفي التحليلي العلمي الخالص حتى اليوم ، مقيما حدا فاصلا بينه وبين منهجي الايديولوجي الذي استخدمته فى مجال جماهيري خطير ، كمجال الادب المسرحي والفن التمثيلي ، ولا ادل على ذلـــــك من انني استخدمت هذا المنهج الوصفي فى دراستـــي للنقاد المعاصرين انفسهم سواء اكانـــوا ممن اشتبكت معهم فى معارك ام لم اشتبك ، اذ جعلت هدفي من هـــذه الدراسة التعريف العلمي المحايد باتجاهات وجـــود هؤلاء النقاد منذ حســـن المرصفي حتى العقاد والمازني وشكري وميخائيل نعيمة ، ويحيى حقي ولويس عوض وذلك فى كتابي الاخير « النقد والنقاد المعاصرون » .

« وانا اعلم ان المنهج العلمي الهادىء لا يلفـــت الانظار مثل المنهجيـــن الاخرين الذين استتبعا معارك ونزالا استلفتا الانظار . واولهما بعض الناس انني كنت اكثر حيوية واضافة للحركة النقدية حتـــى فى فترات اخرى ، اشتغلت فيها بالنقد الهادىء ، اي الوصف التحليلي الاكاديمي مثلما فعلت فى الثلاثـــة عشرة كتابا التي نشرها لي المعهد العالي للدراســـات العربيـــة » .

وفى يوم الاربعاء 19 مايو عام 1965 ، وبعد مـــرض عضال ، اسلم الدكتور محمد مندور اجفانـــه للنوم العميق .. الى الابد .. وترك الجميع فى ذهول ، بعد ان غالب الموت منذ خمس عشرة سنة حين اجريت له

عملية جراحية ضخمة ، اضطر الاطباء معها الى فتح جمجمته .

لقد قضى رحمه الله أزيد من ربع قرن ، في جهاد وبذل وتضحية من اجل ابراز معالم النقد الادبي والفني المعاصر ، بعد حياة عاصفة عرفت كيف تستوعب المجتمع المصري ، ثم الحياة الاوروبية، ثم عرفت هذه الحياة — والعالم بين يديها — كيف تتحكم في حركة الفكر ، والنشاط الدائب في ميدان الكلمة الشريفة ، ومدلولها الحق القويم .

وبعد .

فمنذ شهور مضت ، مات الدكتور مندور ..

وبموته فقد العالم العربي — من محيطه الى خليجه — احد قادة الفكر الحر القديم والحديث ..

لقد كان رحمه الله اول كاتب سياسي في مصر، كتب في صحيفة يومية دراسات على جانب كبير من الاهمية ، بمفاهيم اشتراكية حيث كان في هذا الوقت الكتابة من اجل الاشتراكية جريمة يعاقب عليها بالسجن .

كان رجلا عظيما بكل معنى كلمة « العظمة » قوي الايمان .. غزيرا في علمه .. صادقا في غيرته.. صائبا في احكامه .. متميزا بشخصيته العالية .. شهما .. وديعا .. سمحا .. رفيعا .. خلوقا .. واسع النظرة.. لانه في اعماقه كان يومن بالحب.. حب الانسان للانسان .. ايا كان وكيفما كان .

كان قلبا كبيرا صادقا مخلصا ، يسعده ان يقدم العون للناس مع ادراكه لنواحي القصور فيهم .. كان قلبا صادقا مخلصا يحس بهموم هذا الجيل الذي يتمثل في الضياع الفكري ، الذي ينشب مخالبه في عقول الشباب ، فيمتص حيويتهم وقدرتهم على العمل المثمر الخلاق . كان قلبا خيرا عامرا بالرقة والسماحة والعطف والاحسان .. كان قلبا عطوفا على الجميع في اي زمان او مكان ..

كان رجلا عظيما عبقريا ، ائل في جيل وسيمتد الى اجيال . كان — وسيظل — رائدا ومعلما وناقدا واديبا واستاذا مثقفا لم يكن يعرف التزمت .. كان يرى الحياة بما فيها الفن والادب ككل شامل .

ولاسوق للقارىء الكريم مثالا على عطفه ورقته وسماحته واخلاصه للناس ؛ فلن اجد غير هذا المثال الذي سالخصه في سطور وجيزة « عندما علم الدكتور مندور بمرض العقاد — وهما الان في دار الحق والخلود — تجلت نزعته الانسانية الصادقة الكريمة ، في زيارات يومية لبيته ، وهو يحمل اليه الزهور ، تعبيرا عن شعوره الاخوي الصادق الحقيقي نحوه ، ولما علم العقاد بذلك وهو في فراش المرض ، تاثر له ابلغ الاثر » .

وبموت العقاد ، ويحزن عليه الدكتور مندور حزنا شديدا . فتعود اليه ذكريات ايام المعارك التي خاضها معه ، ويزفر زفرة ثقيلة حارة ويقول لاحد تلاميذه « ليت العقاد عاش ليحرك القلم على الورق باي كلا مندور بخاطره . وما كان يخطر على البال » .

وبالامس القريب .. يوم 19 مايو 1965 في مشهد توديع الدكتور مندور الى مثواه الاخير ، التقت افواج متباينة من معارضيه ومحبيه على السواء ، يحملون الزهور وقد جمعهم حزن حيقيقي .. وشعور اكيد بالخسارة التي منيت بها البلاد العربية بفقده .

وفي المقبرة ، وعند حافة القبر الذي ضم جسده العظيم ، ابنه الدكتور طه حسين بكلمات تتقطر حزنا والما . ومن جملة ما قال « كان مندور من اذكى تلاميذي في كلية الاداب ومن انبههم مع ثلاثة ءاخرين من زملائه . وكان اساتذتهم وانا منهم ، نباهي بهم ونجعلهم مثلا لتلاميذنا . واذكر اننا دعونا الى محاضرة في احدى مدرجات الجامعة جماعة من خيرة الادباء والمثقفين فلما انعقد الجمع ، وامتلا المدرج ، لم يتقدم استاذ لالقاء المحاضرة . وانما قدمنا هؤلاء التلاميذ اليهم ، وانبأناهم بأنهم سيتحدثون الى المجتمعين في موضوعات ادبية ، ليلقي كل واحد منهم كلمة في نصف ساعة. فتكلم الاربعة عن موضوعات الادب العربي . وامتاز منهم مندور ، وهو الذي ظفر بالاعجاب من اساتذته ومن المستمعين » . ثم قال الدكتور طه حسين بصوت مكلوم : « ان الامة خسرت بوفاة مندور اديبا نابها ، وناقدا ممتازا من ابنائها رحمه الله » .

هذا هو الدكتور محمد مندور فقيد المثقفين العرب ، واحد رواد الثقافة والادب والنقد والحرية السياسية والاجتماعية . واحد دعاة الاشتراكية الاوائل في مصر . واحد الذين جعلوا من المسرح علما وفنا وقاعدة شعبية يلتقي في اهدافها الجميع . وهو اول من يسر سبل الاحساس بالجمال في الادب

والفن ، بعد ان حطم ارستقراطيته الادب وتحويله الى ادب ديمقراطي يتطرق الى اوضاع الشعب ، ويحل مشاكلهم . هذا الادب الذي جعله في خدمة القضايا السياسية والاجتماعية .

ولقد عرفنا ـ كذلك ـ في الدكتور محمد مندور الشعر المهموس ونظرته فيه ، وعرفنا فيه نظريات النقد الحديثة ومذاهبه ، بعد ان وجدنا فيه رائدا واستاذا « وقمة من القمم في دراساته الادبية والنقدية والمقارنة ، وفي متابعته الفكر الغربي في امتداداته الانسانية المختلفة » وقد التف حوله الجميع ، نتعلم منه ، ونتزود بالجراة والحماسة والعمل الوطني .

واذا كنا نبكي اليوم الدكتور محمد مندور ، فاننا نبكي فقدان استاذ عظيم اثر في تكويننا واتجاهنا الادبي بمقالاته وكتاباته التي سيخلدها الزمان من جيل الى جيل .

فعزاؤنا لزوجته المحترمة الشاعرة الكبيرة السيدة النبيلة ملك عبد العزيز : ولاخواننا العرب الاشقاء في اي ارض من العروبة كانوا او وجدوا اليهم نقدم والحزن يملا قلوبنا لفقدان الدكتور محمد مندور احر تعازينا ومواساتنا . راجين من الله تعالى ان يلهم الصبر والسلوان للجميع وما شاء الله ! ..

رحم الله الدكتور محمد مندور .. شيخ النقاد .. الرجل العظيم ..!

مراكش ـ محمد احمد البوسرغيني

أضواء على الأدب الإسباني

للأستاذ : حسن الوراكلي

- 5 -

أ ـ يدروساليناس

اطل على الحياة في مدريد سنة 1892 ، واغمض عينيه الى الابد في مدينة بوسطن سنة 1955 ، جامعي تكوينا ومهنة ، درس الحقوق ثم الفلسفة والادب ، وحاز دكتورة في الادب (1917) ، وزاول تدريس اللغة والادب في جامعات اشبيلية ومرسية ومدريد ، كما درس اللغة الاسبانية في جامعتي السربون وكامبريدج ، واشتغل سكرتيرا عاما للجامعة الدولية الصيفية بمدينة سانتندير ، كما شغل منصب المدير العام لمركز الدراسات التاريخية للاجانب .

وقد شب يدروساليناس محبا للسفر ، ولوعا بالرحلة ، ومن اجل ذلك كان كلما سنحت له الفرصة بزيارة بلاد الا واغتنمها ، وهكذا زار معظم اقطار اوربا وحاضر في جامعاتها .

وقد اضطرته ظروف الحرب الاهلية ، كما اضطرت كثيرا غيره من الشعراء والكتاب ، الى ترك اسبانيا قاصدا بلاد امريكا اللاتينيـــة .

تفتقت موهبة ساليناس الشعرية في فترة مبكرة من حياته، لكن تنده لعطياتها تأخر بعض الوقت .

ولساليناس رأي في الشعر فريد ، فهو يـرى ان الـذي يجب ان يقدر « في الشعر ، فوق كل شيء ، الاصالة ، ثم الجمال وبعد ذلك الابتكار . اسمي شاعرا مبتكرا ، مثلا ، والترسافجي لندور Walter Savage Landor واسمي شاعرا جميلا ،مثلا، كونكورة ومايارمي Mallarmé واسمي شاعرا اصيلا ، مثلا ، سان خوان دي لاكروز San Juan de la Cruz وجوتـه Goethe وخوان رامون خمنيث (✶)» .

وقد صدرت لساليناس دواوين شعريـة ، منهـا : فـأل Presagios (1923) و : مفاجأة مؤكـدة Seguwazar (1929) ، و : اسطورة وسمة Fabula - (1931) Signo

وكتب للمسرح اعمالا متعددة ، دعت بعض النقاد الى ان يصفوه بأنه يمتلك قدرة درامية غير مشكوك فيها ، وهي ، في رأيهم ، تفوق قدرته الوصفية التي تتجلى في كتاب صدر لـه ، يتضمن اقاصيص وصـورا صغيرة بعنـوان : المعصـوم العـاري El desnudo impécable

والى جانب ذلك اشتغل ساليناس بالتأليف في النقد الادبي وتاريخه ، ومن كتبه في هذا الصدد : الادب الاسباني في القرن العشرين Litera Tuca espanola en el siglo وهو كتاب ضم بين دفتيه دراسات نقدية رائعة حول بعض مظاهر التجديـد في الادب الاسباني الحديث ، كما تضمن دراسات تحليلية ، نقدية لشخصيات ادبية مرموقة في جيل 98 ، من امثال مكيل دي او نامونو وخابي انكلان وباروخـا وماتـادو وخـوان رامون خمنيـث وأزرينيس ، وبالاضافة الى هذا حوى الكتـاب نظـرات وآراء لساليناس في بعض عصرييـه من الكتـاب والشعراء . وكتـب ساليناس دراستين ، احداهما عن خورجي مانريكي والاخرى عن روبن داريو ، كما قام بنشر وتقديم اشعار ملنديـز فالدس ، وترجم الى الاسبانية بعضا من ادب موسط Musset ومريمي Mérimée بروسط Proust وغيرهم .

ب ـ خورجـي كيلـن

نشأ في فايادوليد (1893) ، جامعي تكوينا ومهنة ، حصل على الدكتورة من جامعة مدريد سنة 1924 ، ثم استاذا للادب في جامعات مورسية واشبيلية ومدريد ، ودرس اللغة الاسبانية في جامعتي اكسفورد ومرفنا ، ظل في اسبانيا خلال الحرب الاهلية،

(✶ انظـــر : Gerardo Diego, Poesia espanola contemporanea (antologia), p. 303, nueva edicion. Taurus, Madrid, 1962.

لكنه ــ مؤخرا ، وبمحض ارادته ترك وطنه الى الولايات المتحدة الامريكية حيث يدرس الاسبانية بـ Wellesley College.

وقد حرر خورجي كيلين ونشر انتاجه في صحف ومجلات رفيعة ، مثل « القلم La pluma » و « اسبانيا » و « الشعر » و « شعر ونثر Verso y prosa » ولكنه لم ينشر كعصريه من الشعراء الاساتذة كتبا في النقد والتاريخ الادبي ، بل انه لم ينشر ــ فيما نعلم ــ غير كتاب واحد ، هو ديوانه : « ترتيل Cantico » الذي ظل ينمو ويكبر بقصائد جديدة كلما طبع (✱) ، ومع ذلك اهتم الدارسون والنقاد بانتاجه الشعري ، فدبجوا عنه المقالات وكتبوا في تحليله وتقييمه الاحاديث العريضة ، ومن اشهر النقاد الذين اهتموا بشعر كيلين الاساتذة: كاسالدورو ودامو ألونو وكولون ويدروساليناس .

ان جورجي كيلين ظفر بشهرة واسعة طارت باسمه الى سموات اخرى غير سماء اسبانيا ، فلقد ترجمت اشعاره الى اللغات الاوربية كالانجليزية والفرنسية والايطالية . كما انه من جهته قام بترجمة اشعار لبول فاليري وخولس سوبر فيلي ، ونزا لبول كلاودل .

ج ــ دامو الونو

ولد تحت سماء مدريد في غضون سنة 1898 ، وهو كسابقيه ــ ساليناس وكلين ــ جامعي تكوينا ومهنة ، تخرج من كلية الحقوق ، وحاز دكتورة في الادب ، وامضى ست سنوات يدرس اللغة الاسبانية في جامعات برلين وكامبريدج وسطانفورد وكولومبيا وهو نطر كوليج بالولايات المتحدة الامريكية ، واخيرا في جامعة اكسفورد ، ثم اصبح بعد ذلك استاذا للغة والادب الاسبانيين بجامعتي بلنسية ومدريد .

ويتحدث عنه الاستاذ ك. طور بايسطير بانه عالم في فقه اللغة Filologie ، وناقد ومؤرخ للادب ، وشاعر غنائي ، ثم يشير الى العلاقة بين « الشاعر » و « العالم » في شخصية ألونسو فيقول ان في اعماق الو الونسو يقيم « الشاعر » مختبئا في احيان كثيرة وليس نائما ، ومن السهل التأكد من ان العلاقة التي تربط بين دامو الشاعر ودامو العالم ليست تشير بصداقة وتجاوب ، ان شعر كل من ساليناس وكلين قد يطغى على علمهما على حين ان شعر دامو يبدو حقيقة ، عدوا سافرا لعلمه .

ومن اشهر الدواوين الشعرية التي صدرت لدامو : قصائد خالصة Poemas puros (1921) ، و : الريح والشعر El viento y el verso (1925) و : ابناء الغضب Hijos de la ira و : نبأ قاتم Oscura noticia و :

الانسان والله Hombre y Dios ، وهو يفرض آخر مرحلة حياتية لدامو تعكسها اشعاره ، انه كتاب انسان تعصف به دوامة من التساؤلات عن اشياء غامضة في العالم ، هو يستفسر عنها الله، لان الدم والرماد والبقايا الميتة . ، لان الانسان ... الانسان المعاصر ، الانسان العشريني بكل آلات مدنيته وحضارته ، لا يمكن ان يستفسر عنها ... ان شعر « الانسان والله » جياش بالعاطفة ، نابض بالفكر .. انه شعر ديني ، ودامو ألونسو قال ذات يوم بان كل شعر حقيقي انما هو دائما ديني .

بالاضافة الى هذه الذخيرة الشعرية التي قدمها دامو الونسو للمكتبة الاسبانية نشر دراسات تاريخية ادبية حول (ضون دو أردوس) لخيل (فيثنطي) وحول شعر خوان دي لاكروز ، وموضوعات اخرى متعددة ، وكل دراسات تتمثل فيها شخصيته العلمية الفذة ، وقد نقل الى الكلمة الاسبانية بعض اعمال جامس خويثي James Joyce وسهلي Shelley وت. س. اليوت T.S. Eliot ، وشعراء انجليز آخرين .

د ــ خراردو دييكو

كانت ولادته في سانتندر سنة 1896 ، يحمل شهادة الماجستير في الادب ، ويزاول التدريس بالتعليم الثانوي ، وهو عضو في الاكاديمية الملكية الاسبانية .

وقد تعددت جوانب شخصية خراردو دييكو الفنية فهو شاعر ، وناثر ، ومحاضر ، وعازف للبيان بارع . وناقد في الادب والموسيقى والفن التصويري Pictorico

وكما تعددت جوانب شخصيته الفنية ، تعددت سفراته ورحلاته ، فقد جال ، تقريبا بكل اجزاء اسبانيا ، وزار باريس ومدنا فرنسية اخرى ، كما سافر الى الارجنتين والاوروكواي ، والقى محاضرات في الادب والموسيقى في مدن اسبانية وامريكية .

ويحدثنا خراردو دييكو نفسه عن بداية حياته الادبية ، فيقول : (لم اكن كاتبا مبكرا ، بداياتي لم تستطع ان تكون مشرقة ، وكان لي الشرف ان اظهر ، لاول مرة ، ككاتب ناثر على صفحات « المجلة العامة » Revista general (1918) .. وفي نفس السنة بدأت احاول ارتياد الآفاق الشعرية) .

وهو ايضا ، يحدثنا عن الذين تأثر بهم في ادبه وعن روافد تكوينه الشعري ، فيقول : (اعتقد ان بعض الكلاسيكيين قد اثروا في ذوقي وفي شعري ، في مقدمتهم لوبي دي فيكا الذي اعبده ، ومن بين عصريي تيلفو فيثنطي هو يدبرو وخوان لاريا الذي تربطني به صداقة ود شديد منذ اعوام البلباو ــ وهي المدينة التي تلقى فيها تعليمه الثانوي ــ كما اثر في تكويني

(✱) (طبعة مدريد 1928 ــ 75 قصيدة) و (طبعة مدريد الثانية 1936 ــ 125 قصيدة) و (طبعة المكسيك 1945 ــ 270 قصيدة) و (طبعة بوينس أيرس 1950 ــ 332 قصيدة) .

الشعري تعلقي بالطبيعة ، والرسم ، وفوق كل شيء ، تعلقي بالموسيقي (✱) .

وقد اسهم خراردو دييكو في تحرير مجلات مختلفة ، وقد اصدر مجلة شعرية سماها : شعر Carmen (✱) ، وبالرغم من ان حياتها كانت قصيرة (صدر منها سبعة اعداد) فقد تركت آثرها في دروب الشعر الاسباني المعاصر .

واخرجت له دور النشر الاسبانية عدة دواوين ، من اشهرها : اغنية الزوجة El romancero de la novia (1918) وخيال Imagen (1921) واشعار انسانية Versos humanos (1924 ، وغير هذه من الدواوين التي بهر شعرها الغنائي ، الابداعي ، المبدع ، الناس . ادباءهم ومتأدبيهم ، ودعا النقاد الى القول بان (شخصية خراردو دييكو قطعة اساسية في تاريخ الشعر المعاصر(✱))، كما حذا بهم الى الاعتراف بان تأثير شعر خراردو دييكو كان عظيما في المجموعة الابداعية الاسبانية وفي بعض الشعراء الذين ظهروا قبل سنة 1939 .

وقد اكتسب خراردو دييكو ذوقا حساسا نتيجة اطلاعه الواسع على الشعر وقراءته له في مختلف عصوره ، ويتجلى ذلك في منتخبيه الشعريين الذين قدمهما لقاريء الشعر الاسباني أكلا شهيا وثمرا جنيا ، وهما : منتخبات شعرية على شرف كونكورة (من لوبي دي فيكا الى روبن داريو) ومنتخبات من الشعر الاسباني المعاصر ، وقد ضمت اروع ما انتجه الشعراء الاعلام في العصر الحديث .

ونحب قبل ان نترك خراردو دييكو ان نشير الى ان له تعريفات للشعر ، من اطرف ما يقرأ ، ومنها : الاعتقاد فيما لا نراه ، يقولون عنه انه « الايمان » ، وخلق وابداع لم نره ابداء ذلك هو « الشعر ») و (الشعر هو الظل الالهي المضيء للانسان ، وبدونه لا يوجد) .

تطوان — حسن الوراكلي

(✱) من كتابه : الشعر الاسباني المعاصر — منتخبات ص 377 .

(✱) للكلمة معان اخرى يمكن ان تترجم اليها ،فهي تعني البناء الشعري كما تعني الدارة في بستان او حديقة ، وتعني غير ذلك ، وقد آثرنا ترجمتها الى العربية بكلمة — شعر — .

(✱) انظر : G. Torente Ballester, Panorama de la Literatura espanola contemporanea.

عمليات السبر

أو مفحصة القرن العشرين

للأستاذ : عبد اللطيف خالص

في ظرف لا يتعدى ربع قرن عرفت عمليات السبر تطورا مدهشا بهر العقول ودوخ افكار الجميع ، فقد كانت هذه العمليات منحصرة ، بادىء ذي بدء في ميادين محدودة ومعينة قد لا تخرج عن اطار التجارة والاقتصاد والدعاية لبعض المنتوجات والمعروضات ولكنها سرعان ما تطورت واخذت تدخل ميادين الاجتماع والسياسة والثقافة والصحافة وغيرها ، ولعل من دواعي هذا التطور واسبابه المباشرة شغف الناس باستطلاع الاخبار واستجلاء ما يدور في خلد ابناء البشرية من افكار وما يتصارع في داخلهم من اهتمامات لا تحصى ومشاغل لا تستقصى ، ولعل من عوامل هذه التطورات والدوافع التي ادت اليه اهتمام الدور التجارية الكبرى والشركات الصناعية العظمى في الدول المتقدمة بالوقوف على رغبات الجماهير الانسانية وميولها في المأكل والملبس والمسكن حتى تستحوذ على اموالهم وتستأثر بنفقاتهم وتتمكن من شهواتهم واغراضهم فتقدم لهم مايريدون ويبتغون وتعرض عليهم ما هم به معجبون من اوان منزلية وادوات مهنية واطعمة شهية وبذلات مرضية وغيرها من الاشياء التي تعتمل آمال الحصول عليها في نفوس الناس والتي تتفق واذواقهم .

ولعل هذا ما حدا بتلك الدور والشركات والهيئات الى تكوين معاهد للسبر تابعة لها حتى لا تكتفي بتكليف المراكز الموجودة الشيء الذي نتج عنه تعدد هذه المعاهد والمراكز التي تنصب اهتماماتها على سبر اغوار الرأي العام في مختلف انحاء المعمور .

غير ان التطور الذي عرفته هذه العمليات لم يطرأ على كيفية سيرها فحسب ولكنه طرا على مجالي نشاطها وفروع عملها حتى اصبحت اليوم تستغل في الميادين السياسية وحتى وجد من الناس من يقول بضرورة استعمالها مكان الانتخابات متغافلين عن حقيقة واضحة لا تقبل اللبس ولا ترضى بالتخمين والتقريب وهي ان الانتخابات عمليات جماعية تشمل سائر المواطنين في قطر من الاقطار بينما عمليات السبر ما زالت ، رغم اتساع مجال نشاطها ، لا تشمل الا طبقة خاصة من الناس .

وحتى تعرف مدى استعمال عمليات السبر في مختلف الميادين وتنوع وجوه صلاحيتها تقف ، قبل الدخول في صلب الموضوع ، على بعض الامثلة المتنوعة.

فمن المعلوم ان الولايات المتحدة الامريكية تواجه اليوم حربا ضروسا في الفيتنام، وانها خلفت في اراضي الهند الصينية فرنسا التي انتهت مهمتها منذ الاتفاق الذي حصل في جنيف سنة 1954 بين ممثلي الحكومة وممثلي الزعيم البطل هوشي مينه اثناء اجتماع شارك فيه ممثلون عن الصين الشعبية والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي وبريطانيا العظمى ، ويعلم القراء ان الرئيس الامريكي الحالي جونسون يتحمل اليوم ، مسؤوليات جسيمة في مواجهة الحالة الناشئة عن شن الطائرات الامريكية الغارات على بلاد شمال الفيتنام التي يعتقد الرئيس الامريكي انها المسؤولة اولا وقبل كل شيء عما تعرفه الولايات المتحدة من صعوبات داخل جنوب الفيتنام بسبب اتساع نطاق نفوذ ثوار الفيتكونغ الشيوعيين . ولا يخفى على القارىء الكريم ما يمكن ان يترتب على التدخل الامريكي العسكري من تهديد للسلام العالمي ، وقد يدفع حب المحافظة على السمعة التي تتمتع بها الولايات المتحدة الاميريكية في العالم برئيس الولايات المتحدة الى استعمال بعض الاسلحة النووية في هذه الحرب ، وقد لا تصل هذه السطور الى المطبعة حتى يكون قد حصل ما لا تحمد عقباه ، كل هذا يوضح لنا ان سمعة الرئيس الاميركي تجتاز مرحلة دقيقة وان نجاحه في عمله هذا متوقف على تأييد الشعب الامريكي له في هذا الميدان زيادة على موافقة مجلس الكونغريس وعلى سياسته. وشعبية الرئيس جونسون لن تظهر الا اذا نظمت الانتخابات الرئاسية التي ما

زالت فترتها بعيدة فكيف تعمل الصحافة الامريكية للوقوف على شعبية الرئيس الامريكي فى هذه الحقبة الخطيرة التي تجتازها الولايات المتحدة الامريكية ؟

ان الصحافة الامريكية ، وبعدها الصحافة الغربية الموالية لهذه البلاد والمناظرة لسياستها لم تجد فى هذه الفترة الا وسيلة واحدة لمعرفة راي الشعب الامريكي فى رئيسه ساعة المحنة ، وما هذه الوسيلة الا عمليات السبر التي قامت وما زالت تقوم بها يوميا المعاهد المختصة كمعهد جالوب مثلا الذي يزود الصحافة الامريكية والعالمية بين الفينة والاخرى بنتائج هذه العمليات التي تدل آخر عملية منها على ان شعبية الرئيس جونسون الامريكي تعرف فى بلاده على الاقل صعودا مطردا وانها تفوق بكثير السمعة التي كان يتمتع بها وقت الانتخابات الرئاسية عندما كان ينافسه فى المعركة المرشح الجمهوري كوولد ووتر . وتدل نتائج اخر عمليات السبر التي نظمها معهد جالوب على ان سبعين فى المائة من سكان الولايات المتحدة يؤيدون الرئيس الامريكي ويناصرونه ويدعون له بل يستنتج من هذه العملية الاخيرة التي اجريت فى اوائل شهر اغسطس من السنة الجارية ان فى امكان الرئيس جونسون ، اذا ما تقدم لانتخابات جديدة ، ان يحصل على تأييد من الشعب الامريكي يقترب من الاجماع رغم وجود طبقة نشيطة من المثقفين الامريكيين الذين يعارضون التدخل الامريكي فى الفيتنام والذين قاموا مؤخرا بدعوة الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر لزيارة الولايات المتحدة قصد القاء محاضرات سياسية تندد بالموقف الامريكي رغم عدم تلبية الفيلسوف الوجودي الفرنسي الكبير لدعوة اولى سبق ان توصل بها من السلطات الجامعية الامريكية فى اوائل هذه السنة .

ومن الامثلة العجيبة التي يمكن الاستدلال بها على ما اكتسبته عمليات السبر من اهمية الاستطلاع الذي نظمه المعهد الفرنسي للراي العام فى النصف الثاني من شهر يونيه من السنة الجارية والذي انفردت مجلة ليكسبريس بنشر نتائجه فى العدد الذي يحمل رقم 737 والمؤرخ من 2 الى 8 من شهر اغسطس 1965 ، فقد نشرت هذه الاسبوعية الفرنسية تحت عنوان « ما يفكر فيه الفرنسيون » نتائج هذا البحث الذي نظمه المعهد المذكور ليعرف مواقف الشعب الفرنسي من حكومة السيد بومبيدو قبل الانتخابات الرئاسية الفرنسية المقرر اجراؤها فى شهر نونبر 1965 .

والواقع انه بحث طريف يتم عن تفكير عميق واتجاه سليم لمعرفة ميول الرأي العام الفرنسي والحكم الذي يحكم به على سياسة الجمهورية الخامسة فى مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والفلاحية .

ويليق بنا ان نعرض هذه النتائج فى شكل جدول حتى تتضح للعيان :

الميدان	المرتاحون	المستاءون	من لا رأي لهم	ملاحظات
السياسة الاجتماعية	32 فى المائة	51 فى المائة	17 فى المائة	كان الاستياء يعم 42٪ فى شهر يبراير 1963 «46٪ فى شهر اكتوبر 1964»
السياسة الخارجية	52 فى المائة	19 فى المائة	29 فى المائة	نصف الشعب الفرنسي يؤيد الحكومة
السياسة الاقتصادية	31 فى المائة	37 فى المائة	22 فى المائة	لم يعرف راي الشعب الفرنسي تغييرا كبيرا يستحق الذكر منذ اوائل الجمهورية الخامسة
التربية الوطنية	41 فى المائة	37 فى المائة	22 فى المائة	غالبية المستائين من الاطارات العليا وارباب المهن الحرة من اطباء ومحامين ومهندسين واساتذة التعليم العالي
الفلاحة	25 فى المائة	41 فى المائة	34 فى المائة	حتى انصار دوجول يعارضون هذه السياسة .

وقد نظمت عمليات سبر اخرى حول السياسة العامة للجمهورية الخامسة دون تحديد الميادين فكانت نسبة المرتاحين تبلغ 45 في المائة ونسبة المستائين 35 في المائة ونسبة الذين لم يستطيعوا الادلاء باي راي في الموضوع 20 في المائة .

ومن الجدير بالذكر ان هذه العمليات ستتكاثر في الشهور القليلة المقبلة نظرا لدنو اجل الانتخابات الرئاسية في فرنسا وانتشار الاشاعات حول احتمال تخلي الجنرال دوجول رئيس الجمهورية عن تقديم نفسه لتجديد انتخابه وتفكيره في تبني ترشيح المسيو بومبيدو رئيس الحكومة الفرنسية الحالي الذي يحظى بعطف كبير من طرف الرئيس الفرنسي للجمهورية الخامسة .

وما دام الامر يتعلق هنا بخبر نشرته المجلة الاسبوعية الفرنسية ليكسبريس فلنشر الى ان ادارة هذه المجلة كلفت احد معاهد السبر في فرنسا للقيام ببحث في اوساط قرائها خصوصا بعدما اخذت المجلة تظهر في حلة جديدة وبعدما غادرتها نخبة من المثقفين الذين كانوا يشرفون على صفحاتها الادبية .

وقد تبين من هذا السبر ان ازيد من خمسين في المائة من قراء المجلة في حلتها الجديدة يتكونون من الحاصلين على القسم الثاني من شهادة البكالوريا على الاقل وان غالبية قرائها تنتمي الى الاوساط اليسارية المثقفة كما تبين ان الاقبال ما زال متزايدا عليها بصفة مستمرة . وبذلك فندت الاشاعات التي راجت مؤخرا حول اعراض القراء عنها وتحولهم الى المجلات والاسبوعيات التي فتحت ذراعيها للمساعدين الذين كانوا يعملون سابقا في « ليكسبريس » .

ونشر احد مراكز السبر في انجلترا نتائج بحث قام به في موضوع استهلاك الشعب الانجليزي لنوع معلوم من الزبد فاتضح من نتائج عملية السبر ان ازيد من خمسين في المائة من الانجليز يقبلون على شراء هذا النوع من الزبد وان 25 في المائة يعرضون عنه بينما لم يسمع به ما يقرب من 20 في المائة من سكان انجلترا . وقد تلت هذه النتائج احصائية تدل على ان الشعب الانجليزي استهلك في شهر يوليوز 1965 . ازيد من عشرة ملايين كيلو من هذا الزبد .

تلك بعض الامثلة التي رأينا من المفيد ان نتعرض لها في هذه المقدمة لنعطي للقراء الكرام نظرة كاملة عن الاهمية التي تكتسيها هذه العمليات قبل التعرض لكيفية نشوئها ودواعي انتشارها ومراحل تطورها وطرق اجرائها .

لقد كان من نتائج التطورات الاقتصادية والتقلبات الاجتماعية التي عرفها العالم منذ ظهور البخار في الوجود واستخدام الالة للوصول الى اختراعات عملية جديدة واكتشافات فنية حديثة انتشار الوعي بين سكان الاقطار المتقدمة في العالم خصوصا بعد ان يسرت الطباعة سبل التعليم لجميع ابناء البشرية وذللت النظريات التربوية العصرية طرق التربية في وجوه الناس . فقد اقبل الناس على العلم وتطلعوا الى المعرفة فبعثوا ابناءهم بكثرة الى المدارس التي كانت لا تفتح ابوابها في العصور الماضية الا في وجوه بعض المحظوظين من ابناء الاغنياء والحكام كما استعد الجميع للاغتراف من ينابيع المعرفة والورد من مناهل العرفان حتى شملت الثقافة بمنافعها المديدة الانسانية كلها وعمت مزاياها المعمور ، ولم يبق محروما منها الا بعض الاقطار التي لا زالت تتعثر في طريق رقيها الاجتماعي وتتردد في سلوك نموها الاقتصادي .

وما تمدد الصحافة وتكاثر المطبوعات الا دليل على هذا التطلع الدائم الى العلم الذي تعرفه البشرية عموما وسكان الدول الراقية خصوصا والذي يتجلى في محبة المعرفة والرغبة في البحث والاستكشاف . وقد بلغ هذا التطور الثقافي والتقدم العلمي درجة جعلت كثيرا من رجال البحث والاستقصاء وارباب الاستكشاف والاستقراء ينغمرون في ابحاث عديدة يقصدون من ورائها معرفة ميول جماهير السكان وما تهفو اليه نفوسهم وتميل اليه قلوبهم وذلك بواسطة عمليات تقنية دقيقة ووسائل فنية عجيبة تسبر اغوار المجتمعات البشرية وتغوص في اعماقها للتنقيب عن اهدافها والضرب على اوتارها الرنانة ودقاتها الحساسة وجس نبضها حتى تتعرف على التيارات الفكرية والسياسية التي تتجاذب المجتمعات البشرية .

وهكذا اخذنا نرى الصحافة تقوم بين حين وءاخر باطلاع الراي العام في امة من الامم على نتائج هذه الابحاث العلمية التي اجرتها احدى المنظمات والتي شملت عددا معلوما من الناس يمثلون مختلف طبقات المجتمع .

ويكفينا برهانا على ما نقول ان نتائج الانتخابات التشريعية البريطانية التي جرت في شهر اكتوبر 1964 كانت معروفة قبل يوم الانتخابات لان اهم الهيئات والمنظمات المكلفة بسبر اغوار الراي العام البريطاني توصلت بعد عمليات البحث والسبر والتنقيب التي قامت بها في وسط المجتمع الانجليزي الى ان حزب

العمال سيخرج منتصرا من هذه المعركة الانتخابية بل ان من هذه المنظمات من اكدت بان انتصار حزب العمال سيكون ضعيفا بحيث لا تتعدى الاغلبية التي سيحرز عليها عشرة اصوات . وقد عرفت الحملة الانتخابية لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة نفس التخمينات وقد ذهب الامر ببعض الشركات الامريكية التي تقوم بعملية السبر الى تتبع الحملة الانتخابية عن كثب وكانت تصدر كل اسبوع بل كل يوم بيانا عن نتائج البحث والسبر التي تقوم بها مؤكدة حظوظ المرشحين الرئيسيين جونسون وكولد ووتر في الفوز بمنصب الرئاسة .

والحقيقة ان عمليات السبر لا تنظم في موضوع الاحداث السياسية فحسب ولكنها اصبحت جزءا لا يتجزأ من وسائل الدعاية لصالح الدور التجارية والشركات الاقتصادية والمنظمات الاجتماعية في الاقطار المتقدمة كالولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى وفرنسا والمانيا وغيرها .

ففي كل حين تتردد في الصحافة العالمية اصداء هذه الابحاث التي تدور حول مختلف المواضيع كـ «شعبية الجنرال دوكول» و «الانتخابات الرئاسية في فرنسا» و «الاستماع الى الاذاعة ومشاكل التلفزة» و « ميول الفرنسيين في شراء البضائع » و « راي المنتفعين بالضمان الاجتماعي في تسوية ملفات التقاعد » و « تنظيم المرور في مقاطعات باريس » و « مصاريف الفرنسيين في اللباس » الى غير ذلك من الموضوعات الاقتصادية والقضايا الاجتماعية والسياسية والديموغرافية سواء اكان الامر يدخل في نطاق محدود كالمخترعات المنزلية الحديثة من ادوات مطبخ وءالات طبي وانواع الصابون او كان يدخل في اطار وطني كتحضير التصميم الخماسي في فرنسا او الحملات الانتخابية التي اشرنا اليها سابقا . ففي كل حالة من هذه الحالات يصبح المجتمع المعني بالامر حلبة يتسابق فيها رجال البحث وارباب السبر لمعرفة ميول الطبقات الاجتماعية التي يتكون منها هذا المجتمع حيث تحدد هذه الميول وتنسق على ضوئها النتائج النهائية التي تساعد المهتمين بهذه المخترعات على المضي في اعمالهم مستنيرين بهديها مشجعين من طرفها مدركين قبل الاوان مدى نجاحهم او اخفاقهم فيما يرمون اليه .

وهكذا اصبح سبر اغوار الراي العام يحتل مقاما جليلا بين وسائل الاحصاء دون ان يتعارض معها او ينافسها لان عمليات الاحصاء والتوثيقات الادارية تشمل مجموع سكان البلاد بينما لا تزيد عمليات السبر على اشعار المسؤولين بالنتائج المحتملة لهذه الاحصاءات والتوثيقات الادارية كما تسمح بتيسير طرق تطبيقها وتعبيد سبل نجاحها .

فكيف نشأت هذه العمليات ؟ وما هو اصلها ؟ وما هي الاسس العلمية التي تخضع لها ؟ وهل اعطت هذه العمليات نتائج حسنة تؤكد قوة مفعولها ومدى فعاليتها ؟ تلك اهم الاسئلة التي تتعلق بهذا الموضوع والتي سنحاول الاجابة عنها مستعينين في ذلك بالبحث القيم الذي نشرته الاستاذة الصحفية الفير دوبريساك في جريدة لومند الباريسية .

والاستاذة الفيردوبروساك خبيرة فرنسية كبيرة في ميدان الاحصائيات وقد سبق لها ان اصدرت كثيرا من الدراسات المفيدة في قضايا الاخبار والمشاكل الديموغرافية في عدد مهم من الاقطار في القارة الاوروبية والعالم الجديد .

نبذة تاريخية

ما زالت عمليات سبر اغوار الراي العام حديثة العهد لانها وان كانت تعتمد على حساب الاحتمالات الذي توصل اليه العالم الفرنسي والمفكر الكبير باسكال في القرن السابع عشر وعلى اكتشاف قانون الاعداد الكبيرة الذي اعلنه بيرنولي في القرن الثامن عشر فانها لم تستطع ان تتطور وتاخذ المقام اللائق بها الا بين الحربين العالميتين الاولى والثانية . ومع ذلك فقد عرفت فرنسا عمليتها الاولى في اوائل القرن التاسع عشر بل في سنة 1801 بالضبط حيث اراد «لابلاس» ان يقوم بتجربة اولى في هذا الشان وقد كان لتطور هذه العمليات في العقود الثلاثة الاولى من هذا القرن بالاقطار الانجلوساكسونية اسباب عديدة اهمها تقدم علوم الاحصائيات والدراسات الاحتمالية والدافع النفساني الذي اثارته « نظرية المواقف » في نفوس سكان هذه الاقطار حيث اخذ بعض العلماء والخبراء يجرون ابحاثا لمعرفة ءاراء الناس وميولهم ومواقفهم ، وقد دفعت « نظرية المواقف » ببعض العلماء الفرنسيين الى القيام بابحاث في فرنسا ترمي الى وزن ذكاء بعض الافراد ومقدار نباهتهم . وقد قام بهذه العملية في فرنسا العالمان بينيط وسيمون في مفتتح هذا القرن . وبازاء هذه الاسباب اكتشف العلماء فوائد جمة من وراء دراسة امكانيات الاسواق . وقد كان للازمة العويصة التي عرفها العالم العربي في سنة 1929 اثر كبير وفعال في تطور هذه العمليات حيث ذهبت ببعض المفكرين الاجتماعيين الى التساؤل

عن سير مجتمعهم وانفعالات الافراد الذين يتكون منهم هذا المجتمع والتطلع الى معرفة مواقف المواطنين وميول السكان .

لقد ادت هذه العناصر كلها الى تطور عمليات سبر الراي العام التي اخذت تشق طريقها في اتئاد واطمئنان الى ان حل شهر نونبر 1936 حيث وقع حادث سياسي خطير كان له الاثر القوي في ظهور هذه العمليات وتمكينها واعطائها شهرة عظيمة طبقت بفضلها الافاق . فقد تقدم الرئيس الاميركي الراحل روزفيلت الى الانتخابات الرئاسية بالولايات المتحدة لاول مرة في سنة 1933 ورشح نفسه ضد لاندون مرشح الحزب الجمهوري وكان جميع الملاحظين السياسيين يعتقدون بان روزفيلت لن ينجح في الانتخابات وانه سيعرف فيها اخفاقا كبيرا . ولكن مجلة اميركية شهيرة هي ليطراري ديجيت لم ترد ان تصدق ما يقوله غالبية الملاحظين السياسيين ورجال الصحافة وقررت ان تقوم ببحث مهم خاص بها يشمل ازيد من مليوني امريكي . وبالفعل فقد اجرت المجلة الامريكية بحثها . حيث بعثت برسائل مضمونة الى مليونين من الاميريكيين يمثلون مختلف الاوساط والطبقات في المجتمع الاميريكي وقد جاءت نتائج هذا البحث لتؤكد الشعور العام الذي كان يخامر المتبعين للحملة الانتخابية والذي كان يعتقد بان الرئيس الاميريكي لن يحظى بتجدد الثقة فيه من طرف المواطنين الامريكيين .

وفي نفس الوقت قامت ثلاثة معاهد خاصة بدراسة ميول الرأي وببحث ءاخر لم يتعد عدد المشاركين فيه اربعة ءالاف نسمة ، وقد توصلت المعاهد الثلاثة المذكورة التي كان من بينها معهد جورج كالوب الذائع الصيت الى نتيجة مخالفة لما وصلت اليه مجلة ليطراري ديجيست حيث ظهر من خلال البحث ان الرئيس روزفيلت سيحظى باغلبية مهمة وبالفعل فقد خرج روزفيلت منتصرا من المعركة الانتخابية اذ حظي بالنسبة المئوية من الاصوات التي كانت تتوقعها معاهد الراي العام المشار اليها . وقد كان لهذا الاتفاق اثر عظيم في نفوس المواطنين الاميريكيين ومختلف الافراد الذين كانوا يتتبعون الحملة الانتخابية بل ذهب الامر ببعضهم الى اعتبار هذا الاتفاق معجزة عجيبة وشيئا خارقا للعادة وقد ظن البعض ان المعاهد الثلاثة تتمتع بموهبة عظيمة لا تختلف عن موهبة الفنانين وانها توصلت الى هذه النتائج الغريبة بفضل الايحاء الذي من الله به على رجالها ، والحقيقة التي لا مراء فيها هي ان الامر لا يتعلق لا بوحي ولا بهبة سماوية خاصة ولكنه يرجع الى اجراء البحث في وسط مصغر يمثل الراي العام الاميريكي خير تمثيل اما مجلة ليطراري ديجيست فقد اخطات في اختيار الوسط الذي يمكن أن يجري فيه البحث بكل دقة لانها رغم رغبتها الاكيدة في جمع وسط يمثل مختلف طبقات الشعب الامريكي لم تتوفق اذ اختارت المليونين من الاميريكيين بعد اجراء القرعة بين المشتركين في التليفون الذين وقع الاختيار عليهم بعد الوقوف على دليل التليفون . ومن الطبيعي ان الافراد الذين يتوفرون على جهاز التلفون لا يمثلون الشعب الاميريكي اصدق تمثيل لان التليفون رغم بساطته يدل على نوع من الرخاء المادي والثراء المعنوي . وهكذا فان هذه المجلة لم تحترم المبدا الرياضي القاضي بان يحظى كل عنصر يدخل في نطاق البحث بنفس الحظ في السؤال والجواب كما هو الشأن في اوراق اليانصيب التي يكون حظ نجاح ارقامها متساويا رغم اختلاف الاوراق والاثمان .

وقد عرفت عمليات سبر اغوار الراي العام مظهرا عجيبا ءاخر في الولايات المتحدة في شهر نونبر 1948 . فقد اعلنت جميع معاهد الراي العام ان الرئيس ترومان لن يجدد انتخابه وان النجاح سيكون حليف منافسه مرشح الحزب الجمهوري السيد ديوي . وقد اظهرت نتائج البحث الاخير الذي قام به معهد جورج كالوب ان المرشح الجمهوري سيفوز بغالبية الناخبين وقد جاءت نتائج الانتخابات مخالفة لما اعلنته معاهد الراي العام اثناء الحملة الانتخابية حيث نجح ترومان وخسر منافسه ديوي . ويبدو ان من بين الاسباب التي ادت الى اخفاق المعاهد في بحثها في هذه المرة ان العمليات توقفت قبل يوم الانتخابات باجل طويل بيد ان المعركة كانت عنيفة ودقيقة جدا وكان الاولى ان لا تعلن النتائج الا في المرحلة الاخيرة من الحملة الانتخابية وبكل تحفظ خصوصا وان هذه العمليات لا تخلو من اخطاء يتعين اعتبارها .

وقد عرفت فرنسا هذه العمليات في سنة 1938 بعدما رجع السيد سطويترل من زيارة قام بها الى الولايات المتحدة الاميريكية حيث اسس مجرد عودته المعهد الفرنسي للراي العام الذي كان يقتبس الكثير من الطرق المستعملة في امريكا . وقد نشر السيد سطويترل في سنة 1943 ، كتابا حول هذه القضايا جمع فيه النظريات والطرق الجاري بها العمل في الاقطار الانجلوساكسونية وعلق عليها واستخرج منها طريقته الخاصة ويحمل الكتاب هذا العنوان « نظرية الاراء »

الربـاط ـ عبد اللطيف احمد خالص

العدد الماضي في الميزان

للأستاذ: عبد الكريم غلاب

تقـــدم الي الاخ الاستاذ محمد بنعبد الله رئيس تحرير « دعوة الحق » بالعدد الماضي وهو يطالب الي ان انجز وعدا طالما تردد بيني وبين المشرفين علـــى اصدار هذه المجلة ، وهو نقد العدد الماضي ، واردف الاخ بنعبد الله طلبه بالحديث عن مقال للاستاذ زكي المحاسني (هموم النقد) وقد اهداه الى الاستاذ عبد

وقد واعدت ووعد الحر دين ، وحينما عدت الـــى العدد الماضي كان اول ما قراته مقال الاستاذ زكـــي المحاسني (هموم النقد) وقد اهداه الي الاستاذ عبد المجيد بن جلون ، انها اذن مناورة أو مؤامرة تمت بين أطراف ثلاثة كلهم عزيز علي وكلهم صديق لي هم رئيس تحرير المجلة والاستاذان ابن جلون والمحاسني .

الاستاذان ابن جلون والمحاسني اتفقا معا على (اننا لم نبلغ بعد مستوى ثقافيا يستوجب قيام النقد بيننا ، فان رواج الادب ما يزال محدودا ... واذا كان القارىء العربي فى هذه البلاد ما يزال فى حاجة الى التشجيع على القراءة والترغيب فيها ، فلعل من الانسب ان نترك له تلمس الطريق والا نزعجه بالنقد) من مقال ابـــن جلون .

(لقد تابى هذا الاديب المطبوع ، على القلم فى القلم ومياسم الكيد فى النقد فترفع عن اسفاف طغمة يملك اكبادها الحسد ، وتنتشر الصفرة على وجوهها من ضيق النفس وتخوص العيون لحرمانها الفكري ، فهي كالعقارب تجعل حتما فى اتلابها ، وما شان كاتب يجول فى آثار الناس ، فيقول للواحد احسنت وللثاني اسات وهو دونهم ، وينفس على المحسن جميل صنعه ويبيت ليله شامتا ويراه الناس متجنيا ظلاما) . من مقال المحاسني .

بعد هذه الدعوة المثيرة ضد النقد والنقاد يطلب مني ان انصب ميزانا لنقد العدد الماضي ، انني اخشى ان تكون اسلحة النقاد قد فلت ووهنت حدتها ، واخشى مع هذا ان يقبر النقد الى الابد ، جناية من المتجنين على النقد الذين اثاروا الاستاذ المحاسني ، وهو بعد شاب طري العود ، فما يزال به اثر من كيدهم وقد عز عن ان يكون مرمى لسهامهم لما اجاد وابدع وجد والف .

ولكني وعدت ان انصب للعدد الماضي ميزانا وما الفت ان اخاف وعدا ، فليكن شفيعي عند الاستاذين اني لست من (طغمة يملك الحسد اكبادها) واني اود ان ابدي رايا لا ادعي له كمالا ، ولا احاول ان الزم به احدا من الناس ، فهو ميزان ارجو ان يكون عادلا ، والعدل عادة لا يثير وان لم يرض كل الرضى .

اعتقد ان مجلة (دعوة الحق) يجب ان تاخـــذ طريقها الذي ترسمه باجهاد سواء فيما تنشره مـــن ابحاث اسلامية أو ادبية أو علمية وافية أو من قصائد وقصص ، ولكن الميزان يختل فى يديها احيانا فتنشـــر مقالات وابحاث دون المستوى الذي تهدف اليه وتتغياه، ومن اجل ذلك ما تزال ترتفع بفكرك فى بحث قيم ياخذ باسباب البحث من عرض للموضوع واستعراض لادلته واستنتاج للفكرة التي يهدف اليها الباحث ، ثم تنـــزل بفكرك الى موضوع عادي بسيط يتناوله قلم عـــادي بسيط ، أو موضوع خطابي وعظي أو قصيدة ساذجة وقد تكون طنانة اللفظ مدوية التعبير يسمع لدويها رعد كما يسمع من طبل ضخم فارغ .

هذا الانسجام المنعدم بين جيد الابحاث والقصائد ورديئها لا اسمح لنفسي أن اغفره للمجلة ولا ان اتغاضى عنه فى العدد الماضي مني على الاخص ، فقد كسبـــت

المجلة احتراما كبيرا لدى قرائها ، وعلى كتابها ان لا يحرجوها لتتمكن من الاحتفاظ بهذه المكانة .

ولن اشير الى احد من الناس ولا الى انتاج من هذه الانتاجات التي اعتبرها دون مستوى المجلة ، فلعل كتابها يعرفون ذلك ، قبل غيرهم ، اما القراء فهم ولا شك مدركون .

ففي العدد الماضي — كما في سائر اعداد المجلة — قسم للدراسات الاسلامية ، واني لاقبل دائما على هذا القسم اقبالي على حوض بارد ساعة قيظ لافح وعطش ملهب ، ولكني اصطدم دائما (بدراسات) خطابية يمكن ان تكون مادة لخطب الجمعة ولا تدخر لمجلة خاصة بالدراسات الاسلامية ، وشؤون الفكر والثقافة تصدر مرة كل شهر او شهرين ، قراء المجلة — فيما نرجو — على مستوى من الثقافة يرتفعون به عن هذه المادة الخطابية او الموضوعات التعليمية التي ملأت هذا القسم من المجلة ، واني لاستثني بحث الدكتور الهلالي الذي استطال حتى بلغ سبعا من المقالات، فهو بحث تتوفر له اسباب البحث والاستقصاء ولكن جدير ببحث يبلغ عدد اجزائه سبعا ثم يزيد ان ينشر في كتاب لا في مجلة سائرة لا يستطيع فيها القارىء ان يصل حبل افكار الكاتب وقد فرقت بينها شهور ذوات العدد .

وبهذه المناسبة اعتقد انه من المستحسن في الابحاث التي تنشر في المجلات ان تكون تامة الموضوع غير منجمة ولا مقسطة حتى لا يفلت زمام البحث من فكر القارىء فينصرف عن تتبعها ، ينطبق ذلك على بحث الدكتور الهلالي كما ينطبق على بحث الاستاذ زنيبر عن نجيب محفوظ ولا أظنه ينطبق على الابحاث التي تستقل بنفسها كبحث الاستاذ عبد الله كنون في نقد المنجد .

واعود الى الدراسات الاسلامية في العدد الماضي فاجد الفكر التي دعا اليها الاستاذ الهراس من توحيد الدعوة الاسلامية فكرة جديرة بالاعتبار ، ولكن الدعوة الى مؤتمر لا تكفي لاخراج الفكرة الى حيز الوجود ، فيجب أن تتوفر قبل اي مؤتمر جهود الباحثين الى ربط الدعوة الاسلامية بالحياة عن طريق العلم والبحث لا عن طريق الارشاد والوعظ لنجعل من دعوة الاسلام رسالة حية تعيش مع الناس ولا تكتفي بوعظهم او ببيان اهمية الاسلام كعقيدة ودين ، فذلك شيء اعتقد انه مفروغ منه ، ومن المؤسف ان تكون الجماعات الاسلامية التي انبثت في ارجاء العالم الاسلامي لم تع بعد رسالتها ، ومن المؤسف الا تكون قادرة على القيام بهذه الرسالة ، ولهذا اعتقد ان المؤتمرات لن تكون مجدية لتحقيق فكرة توحيد الدعوة الاسلامية .

وفي قسم الدراسات الاسلامية من العدد مناقشة عن ثقافة القرآن والثقافات العالمية في جزئها الثاني وما يزال الاستاذ الحمداوي فيها يناقش الاستاذ الوزاني عن معنى عنوان مقاله : هل يراد به كذا .... او يراد به كذا .... وسياق الحديث يقتضي كذا .... الخ متى .... متى يهدف الباحثون والكاتبون منا الى الهدف راسا دون مقدمات ؟ ومتى نتخلص من تاثير ثقافة الكتب الصفراء التي ننفق معها عمرا من عمرنا ونحن نحاول ان نفهم معنى عنوان يتركب من مضاف ومضاف اليه ، هل الاضافة فيه معنوية او ليست محضة معنوية ..؟ .

هذا النوع من المناقشات لا يغري بقراءة المقالات، ولذلك ارجو مخلصا ان نقتصد فيما نكتب وان نهدف الى الهدف مباشرة فذلك اجدى حتى على الكاتب نفسه .

التعريف الذي افتتح به قسم الدراسات الاسلامية لكتاب (قصة الايمان بين العلم والفلسفة والقرآن) تعريف ورد في شكل رسالة من الشيخ طه الوالي الى الاستاذ الشيخ نديم الجسر مؤلف الكتاب ، ولكنه وان وفت به رسالة لصديق فانه لا يفي بالتعريف بهذا الكتاب القيم الذي يعتبر من أحسن ما ألف لتبيان تدرج فكرة الايمان عند العلماء والفلاسفة وفي الكتب السماوية ، وقد بذل الاستاذ نديم الجسر جهدا مشكورا في هذا الكتاب حتى استطاع ان يجمع فيه كل الادلة المنطقية والعقلية والباطنية والعلمية التي اهتدى بها العلماء والفلاسفة على اختلاف عصورهم الى الايمان ، وليس هو نقلا أو استعراضا فحسب ، ولكنه دراسة ذاتية صاغها الشيخ نديم — امد الله في حياته — في اسلوب قصصي ممتع .

واذا كان الكتاب لم ياخذ مكانه بين الكتب العالمية رغم ان المؤلف طبعه على نفقته ومنع بيعه ، بل انه اعلن عن استعداده لارساله مجانا لكل من يطلبه فلان الكتب القيمة ما تزال تجتاز أزمة الجحود بين القراء العرب .

اعتقد ان القسم الثاني من العدد (قسم الابحاث والمقالات) يدعوني لان انظر فيه نظرات اخرى جد سريعة .

وابادر الى القول بان الابحاث الادبية تمتاز عادة في (دعوة الحق) بقوتها ومتانتها وتوفر الباحثين فيها

على كل عناصر البحث واسلوبه ، فهي تمثل في الغالب ما يمتاز به الباحثون المغاربة في شؤون اللغة والتاريخ والادب من صبر ومجالدة على المراجعة والبحث ، ولو نقصتهم احيانا جدة الاستنتاج ، وتقديم شيء جديد الى العلم .

وليس كذلك الملاحظات التي نشرها تباعا الاستاذ عبد الله كنون على (المنجد) بل هي تعبير صادق عن المجهود الذي يبذله هذا العالم الكبير في الادب واللغة والتاريخ على السواء والتصحيحات التي يقوم بها للمنجد تكشف عن اخطاء لغوية وتاريخية وقع فيها مؤلفو هذا المعجم الذي لا تخلو منه مكتبة تلميذ او مدرس او استاذ .

وكم اود لو جمع الاستاذ كنون ابحاثه هذه واطلع عليها مؤلفي المنجد حتى يتلافوا مثل هذه الاخطاء في الطبعات القادمة .

والموضوع الذي طرقه الاستاذ عبد المجيد بن جلون (توحيد اللغة العربية) يعتبر من الموضوعات الحية التي تعنى بها البلاد العربية جميعها ، ويهتم بها معظم المثقفين العرب ، وقد طرق الموضوع من جهاته المختلفة وهو يستهدف ايجاد لغة موحدة في الفاظها بين سائر البلاد العربية ، الفكرة سامية هادفة ولكني اناقش رايين اثارا انتباهي في هذا المقال الجيد :

الراي الاول : اسقاطه المعاجم من مجال احياء اللغة العربية وتوحيدها ، فقد قال : (ان اللغة لا يضعها المدونون ولا يبحثون عنها في المعاجم القديمة ... بينما تسيطر علينا نحن فكرة احياء الالفاظ القديمة والتنقيب عليها في بطون معاجم مرت على وضعها مئات السنين بالضبط كما لو كنا نبحث عن مواليد في مقبرة) ، وقال وهو يخطط طريق احياء اللغة وتوحيدها : (.. واعادة المعاجم القديمة الى رفوف التاريخ لتكون مصادر تاريخية ، اما ان تكون مصادر لغوية فلا ..) .

اعتقد ان الاستاذ عبد المجيد ذهب به الحماس للاحياء الى درجة الثورة حتى على بعض وسائل الاحياء ، قيمة المعاجم في الاحياء لا تنكر ، فهي تمدنا بمادة لا يمكن ان نجدها في افواه الذين اختلطت السنتهم بالعجمي كما هو الامر في جميع انحاء العالم العربي ، هي مادة خام حقيقة ولكن دور المثقفين هو صقلها واخراجها من المتحف الى الحياة ، لا يمكن ان ينكر الاخ عبد المجيد خطورة الاعتماد فقط على لسان المتكلمين بهذه اللغة لاحيائها وهو لسان مختلط ما تزال اللغات الاجنبية تنال منه وتشوه صفاءه ، ولن يبيح هو نفسه لباحث عراقي ان يسجل (كلاس) بمعنى الكاس على انها لغة حية وهي كلمة انجليزية صميمة دخلت اللسان العربي العراقي بحيث اصبحت اشهر واعرف من كلمة كاس عند الناطقين بالعربية في بلاد الرافدين ، ولا يمكن ان يسمح لادخال كلمة (تانت) بمعنى خالة او عمة واخذها من افواه الناطقين بالعربية في مصر ، ولا كلمة (سيمانة) بمعنى الاسبوع واخذها من افواه الناطقين بالعربية في المغرب .

ثم ان المعاجم هي التي ساهمت في احياء اللغة العربية معينة (الجهود الفردية الجبارة التي بذلت خلال المائة سنة الماضية ، بذلها العلماء والادباء والشعراء والمترجمون ، اعادت الى اللغة بريقها ، وجعلتها قادرة بصفة عامة على التعبير عن ادق المعاني باجمل الالفاظ) كما يقول عبد المجيد نفسه ، ولو اعتمد هؤلاء العلماء والادباء والشعراء على افواه الناس فقط لما كان للغة العربية هذا البريق الذي اخرجها من عصر التخلف الى عصر الحياة ، لقد كانت المعاجم في ساعدهم ، وهي ككل شيء قديم يمدك بالمادة الخام لتصنع منها انت بعد ذلك تحفة رائعة .

اما الراي الثاني : هو خوف الاستاذ عبد المجيد من المترادفات، ورغم اني لا أومن بان اللغة العربية فيها من المترادفات ما سجل على انه من المترادفات ، فقد اخذت في كثير من الاحيان صفات او نعوت لمسميات فسجلت في كتب المتأخرين على انها اسماء ومترادفات، وهذا غلط فادح وقع فيه كثير من الذين دونوا اللغة العربية ، ولا يمكن ان توحد اللغة العربية بهذه الجريرة وانما يجب ان تعود الامور الى نصابها ، وان اقتضى الامر التخلي عن هذه الاسماء والنعوت .

ثم انه لا خوف من تعدد اسماء بعض الاشياء في اللغة العربية رغم ان توحيد الاسماء والمصطلحات افيد واكثر توثيقا للصلات بين الفكر العربي في شرق الوطن العربي وغربه .

ومن الابحاث التي تسترعي النظر في العددالماضي البحث الذي كتبه الاستاذ محمد العربي الخطابي وحاول فيه — بعد مقدمة طويلة حوت كثيرا من الافكار العامة المسلمة — وضع اسس لتخطيط عام للتعليم والتربية . واذا كانت هذه الاسس تخص التعليم اكثر مما تخص الثقافة والبحث العلمي فيبدو ان العنوان كان اكبر من المقال ، وانه ما يزال يتطلب تخطيطا لميثاق خاص بالثقافة والبحث العلمي الا اذا كان

الكاتب — وهذا ما لا اظنه — يعتبر التعليم هو الثقافة وهو البحث العلمي .

وقد اورد الاستاذ الخطابي كثيرا من الافكار ونقل كثيرا منها عن كتاب اجانب ، ويبدو في بعضها شيء من التناقض ، فهو اذ يقول: (ان من الحكمة ان تحذر الدول النامية الوقوع في اخطاء قد تؤدي بها الى اقامة مجتمع آلي مفكك تنعدم في افراده روح الاصالة والابتكار وتعوزهم الدعامة الفكرية والتربوية اللازمة ، فيصبحون بذلك مجرد رؤوس محشوة بمعلومات جافة واجسام تحركها مطالب العيش المادية الصرف) اذ يقول ذلك ينقل على الاثر عن السيد نوارير سياكيان هذه الفقرة : (يجب تخطيط التربية للزيادة من فعاليتها، على ان تراعى في هذا التخطيط جميع العوامل الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية والجغرافية والادارية وغيرها ، بمعنى ان يكون تخطيط التربية وثيق الارتباط بالتخطيط العام للانماء الاقتصادي الوطني)

اليس في الاتجاهين اللذين تشير اليهما الفقرتان بعض التخالف اذ الفقرة الاخيرة تهدف الى تكوين الآلات المنتجة التي تحركها مطالب العيش المادية الصرف بينما الاولى تنكر على اي نظام للتربية هذا الاتجاه ؟

ويلتقي الفكر العربي من مشرقه الى مغربه عند البحث الذي كتبه الكاتب المصري الذي يعمل جاهدا لتاريخ الثقافة العربية وبالاخص في مغربنا العربي الاستاذ انور الجندي عن المؤرخ التونسي المرحوم زين العابدين السنوسي في مجلة تصدر بالمغرب هذا الوعي بوحدة الثقافة هو الذي يدعم الوحدة العربية المنشودة، ويسعدنا أن يمثل هذا الشعور نخبة من المثقفين في العالم العربي في مقدمتهم الاستاذ انور الجندي الذي يغني المكتبة العربية بابحاثه وكتبه القيمة ، وقد تفضل فعرف قراء المغرب بهذا المؤرخ الاديب التونسي الكبير الذي نرجو ان تجد آثاره المطوية سبيلها الى النور .

اما الاستاذ زنيبر فهو ما يزال يحلل ثلاثية نجيب محفوظ ، واذا كان لهذا التحليل **المدرسي** من قيمة في تفهم الرواية واستجلاء غامض اهدافها فقد كنت افضل ان تتجه الى تحليل تتعدى تظهر فيه ذاتية الكاتب وتغنينا عن تكرار الصور والمواقف التي قرأناها في الرواية نفسها اما الذين لم يقراوا الرواية فلن يفيدهم هذا التحليل الا اذا كان يبعث في بعضهم الشوق الى قراءتها.

وعلى ذلك فالبحث الذي طال حتى استوفى حظه في ستة اعداد من المجلة ليس بحثا نقديا ولكنه تحليل واقعي للثلاثية وللظروف الاجتماعية التي كتبت فيها .

ويأتي بحث المعرفة في الاسلام الذي كتبه الاستاذ حسن السائح في مقدمة الابحاث الناجحة التي تضمنها هذا العدد فقد عرض لطرق المعرفة عند الفلاسفة ولاختلاف الذهنيات في الوصول الى المعرفة ثم عقب على ذلك بانواع المعارف الاسلامية وطرق الوصول اليها . واذا كان البحث يدل — كما هي دائما ابحاث الاستاذ السايح — عن اطلاع واستقصاء ، فان ذاتية الكاتب لم تظهر في هذا البحث ، واظن ان لشهرة الموضوع ولكثرة ما تداوله الباحثون اثرا في انسحاب ذاتية المؤلف ليترك المجال للذين كتبوا والفوا من قبل . على ان ذاتيته لم تختف في طريقة العرض ، بل ظهرت بارزة في استطاعته ان يعرض لموضوع ضخم كهذا في مقال لا يعدو اربع صفحات من دعوة الحق .

الموضوعات التي يختارها الاستاذ البرجالي لحديثه السياسي موضوعات جد قيمة ، ولكن الظاهرة العامة فيها هي الطول ، فالموضوعات السياسية في مجلة علمية شهرية ليست في حاجة الى مقدمات والى حشر معلومات عادية يستطيع القارىء — والمفروض انه قارىء مثقف — ان يلم بها في قراءاته الاخرى او في قراءاته اليومية .

ونصل الى ديوان المجلة فنجد ان الشعر ولو انه امتاز باسلوب سليم صاف رائق الا ان طابع الخطابة فيه يفقده روح الشعر ، فشعر المدح فيه قد يشم ولا يفرك كما كان يقول القدماء ، من الجائز ان يثير عند الالقاء بعض الاعجاب ، ولكن هذا الاعجاب يذوب عند القراءة ، فلا يبقى امامك الا الفاظ طنانة ، ومعاني في المدح ساذجة ، ولذلك يعتمد شعر المدح في الديوان على الاوزان الخطابية والقاموس الخطابي واسلوب الخطاب الذي يستعمله الخطباء عادة عندما يتجهون الى من يخاطبون لاثارة انفعالهم او اكتساب اعجابهم ، فاذا خرج هذا الشعر من مجال الخطابة الى مجال القراءة انعدمت كل تلك المؤثرات الخارجية فضعف الشعر — كشعر مجرد — عن ان يدافع عن نفسه . وهذا هو الفرق بين الخطاب المرتجل الذي ينتهي بانتهاء وقت القائه ، والشعر الباقي الذي يخلد على الدهر واعتقد ان هذا الشعر الذي يعتمد على المؤثرات الخارجية لن يخلد مع القصائد الخالدات ، بل سينتهي عندما ينتهي الشاعر من القائه .

وتاتي الصورة الطريفة الخفيفة التي يقدمها الاستاذ عبد المجيد بن جلون كشعر يعتمد على التصوير والبساطة في الاداء ، فلا مقدمات ولا اضافات وانما هي

رسام اخذ القلم ومر بخطوطها العريضة بحيث لا تخطىء العين الصورة وهي تقرأ القطعة الصغيرة ، وتذوب الصورة ان انت حذفت منها بيتا أو شطرا أو كلمة .

ما أحوج الشعر العربي الحديث الى مثل هذه الصور .

وتاتي القصيدة الغزلية للشاعر عبدالكريم التواتي اسلوب جميل وانتقاء للالفاظ والتعابير جدير بالغزل ، ولكن ما هي الصورة التي تدمها عن دنياه التي دغدغت الحياة ، ودنياه التي تتناجى نهداها ، ودنياه التي يتمايل قرطها فيداعب جفنا للسيوف البواتر ، ودنياه التي اذا مسته اناملها دغدغت اوهامه ، ودنياه التي بعثرت الشمور (جمع شمر بفتحتين) فظللت جبينا تهاوى دونه كل باتر .... انه غزل من نوع الغزل التديم الذي ما كان المتغزلون يرون فى حبيباتهم غير العين والجيد والنهد وما تحت ذلك ، والمقابلة بين فعل العين وفعل الشمر (بفتحتين كذلك) وفعل السيوف البواتر ، مع ان السيوف لم تعد بواتر كانت أو غير بواتر .

وتاتي قصيدة خطبية اخرى للشاعر المدني الحمراوي مطلعها :

ذكروا الجيل انه كاد ينسى كل ذكرى لزمرة الإبطال

لقد فررت من خطابة المقال الى الشعر فقرع اذني بالنصائح والخطابات فانا اكاد اطوي العدد الماضي لاتطلع الي العدد القادم ، ولكن مهلا فما تزال بالديوان قصيدتان : (تسائلني) للشاعر ابراهيم السولامي (بواو بعد السين) و (المال) للشاعر محمد العلمي ، الاولى قطعة غزلية وفر لها الشاعر الحركة التي تتناسب مع موقف التساؤل ، كانت هذه الحركة في اختيار الالفاظ والوزن ، ولكن كان من واجب الشاعر ان يوفر لها الصورة كذلك فالموضوع هو تساؤل الغر هل احب الناس مثل حبه ، فكان على الشاعر ان يحتفظ بهذه الغرارة فلا يندفع فى وصف العيون والجبين والايدي هذا الوصف الذي جعله يقبس من هنا وهناك فيضيع جمال الصورة .

اما (المال) فهي قصيدة تشبه لامية ابن الوردي رغم اهمية موضوعها ، ولكنها كانت معنى ولفظا واسلوبا لا تمت للشعر بصلة .

الديوان فى مجموعه 12 صفحة من المجلة اقنعني بان الشعر ما يزال دون المستوى وعلى المجلة ان تختار حتى توفر لديوان دعوة الحق نفس المستوى الذي توفره للابحاث .

وهكذا كان العدد الماضي حافلا ولكن ينقصه الانتقاء والاحتفاظ بالمستوى سواء فى قسم الدراسات الاسلامية أو الدراسات الادبية أو الشعر ، وقد عرضت بعض الراي فى كثير من مواد هذا العدد وآمل الا اكون قد اغضبت احدا ، فالذين قبلوا ان يظهروا بانتاجهم على صفحات هذه المجلة قبلوا مقدما ان يكون انتاجهم مجالا للملاحظة ، والنقد لا ينبغي ان يغضب احدا فهو لا يزيد على ابداء راي ادبي يستند الى حجة من فكر أو علم او ذوق ، وارجو ان يفسح الاخوان الكتاب والشعراء صدورهم لمثل هذه الملاحظات التي لم يدفع اليها (كيد فى النقد ولا حسد يعلك الاكباد) وانما هو ميزان عدل نصبته المجلة فوزنا فيه بالقسطاس ، فان كان عدلا ما وزنا فلم نزد على ان ادينا رسالة من رسالات العدالة ، وان كان غير عدل فالشفع له حسن نية وصدق توجيه .

الرباط : **عبد الكريم غلاب**

دراسات مغربية :

عن تاريخ القضاء بالمغرب

للأستاذ : عبدالله الجراري

كانت العدالة بالقطر المغربي تجري طبق ما يوحي به الشرع وتقتضيه نصوصه من كتاب وسنة واجماع ذوي الراي من جمهرة المجتهدين والفقهاء وما ينبثق عن ءارائهم النيرة والمشبعة بروح التشريع الصرف البعيد عن الخلط والشعوذة واساطير الاسرائيليات المندسة من بعض المزورين على الاسلام والمنافقين خدمة لاهداف سخروا لها من لدن اسيادهم ورؤسائهم تحت ستار « مسلم » .

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل استمرت حلقاته الى ان اتصلت بالمتاخرين من رجال الفقه الذين افسدوا بكثرة تخاريجهم ، وابتعادهم عن ادلة قضاياه ، وبراهين فتاواه ، الشيء الذي اصبحنا اليوم معه فى امس الحاجة الى تجديده والعود به تدريجيا الى معينه الصافي – الى عصوره الاولى عصور المجتهدين والتابعين والصحابة والسنة والكتاب .

وبهذا الرجوع بالفقه « الثري الخصب » الى اصوله – تحل مشاكل المسلمين فى حياتهم الخاصة والعامة ، ويوجد لكل جديد فى الشؤون الاجتماعية والانسانية جديد من التشريع والاحكام فى اطار مواده الخصبة المرنة لمن يقفون حياتهم للنظر فى قضاياه ونوازله بعين ملؤها العلم الصحيح والراي السليم .

ولمزيد التحري فى اعطاء النوازل ما تقتضيه من عناية فى البحث رغبة فى احقاق الحق وانثلاج الصدر للاحكام الصادرة من هيأة القضاء – اسست وزارة العدلية فى شهر ذي القعدة سنة 1330هـ « 31 اكتوبر 1912 » وفوض اليها النظر فى كل ما يتعلق بالشؤون الشرعية – فوزير العدلية – يسمي القضاة والعدول ويعزلهم ويراقب اعمالهم ويرجع شانه الى ملك البلاد فيستشيره من مرة لاخرى عارضا عليه القضايا المختلفة التي قد يكون له نظر فيها يقتضي تحويلها عن المجرى المتخذ لها قبل .

ثم تفرع عن وزارة العدل «مجلس» دعي الاستيناف الشرعي – بتاريخ 1332هـ « 1913م» تستانف فيه جميع الاحكام شرعية او عقارية ضم رئيسا واعضاء ونوابا و نائبا ومحافظين .

وقد تعدد رؤساء هذا المجلس عبر سنوات وسنوات – كالسادة احمد بن المواز ، وعبد الرحمن ابن القرشي ، والهاشمي بن خضراء ، ومحمد بن العربي العلوي ، ومحمد الحجوي ، ومحمد المدني ابن الحسني ، رحمة الله عليهم ، ومولاي احمد البدراوي ، وجل هؤلاء الرؤساء ان لم نقل كلهم ادوا رسالتهم العلمية الصادقة وقد علتها النزاهة وحاطها سياج الصالح الانساني العام ، رغبة فى ارضاء الحقيقة ورفع راية العدل خفاقة فى هذا القطر الكريم .

وقد زاولت نخبة من علماء المغرب العمل بهذا المجلس كاعضاء يتصفحون ما يرد من قضايا عليه قصد النظر فيها وفحص كل الاجراءات التي دارت حولها لدى المحاكم الشرعية .

فبمجرد ما تدخل المجلس توزع بنظام منطقي منقسم قسمين :

1 – القضايا الوترية . كواحد ثلاثة خمسة سبعة وهكذا .

2 – القضايا الشفعية : كاثنتين – اربعة – ستة الى ءاخرها .

وفى كل اسبوع تعقد جلسات للنظر والبت فى القضايا المنجزة . فاسبوع للوترية واسبوع للشفعية فى الجلسة يعرض العضو تقريره عن القضية التي تناولها بالبحث فتسرد ويقع النقاش حول بنودها بالاخذ والرد فتارة تسلم جميع الفصول ويصحح حكم القاضي وتارة تنقض حكمه بعض الاجراءات اثناء المرافعات كفقدان الحجج – شهود او ءاجال او اعذار وما اليها من اسانيد الحكم ودعائمه التي قد لا يخلو تقرير العضو او نائبه منه . وطورا ءاخر يبدو اثناء العرض والمداولة فساد الحكم جذريا وهذا ما يقضي بتجديد النظر فى القضية من اولها .

شيء يدعو بالضرورة الى استيناف البحث فى القضية رغبة فى اجرائهاعلى قواعد المسطرة القانونية ووضعها على محك الاساليب المرعية شرعا فيستدعي

كل من المستانف والمستانف عليه للاستماع الى كل منهما ومعرفة جميع المستندات التي يعتمدها الطرفان وعلى ضوء هذه العمليات الجديدة تأخذ النازلة شكلها القانوني اذ يقرر العضو الخاص عنها تقريرا يلم شتاتها ويضم ما تناثر من مستنداتها وحججها ، وطبعا ياتي دورها مرة اخرى فتدخل للمداولة .

وهكذا تجري بقية القضايا على هذه الطريقة القانونية رجاء الوصول الى حق مضاع لولا هذه العملية .

والمهم ان علية من منقفي المغرب وعلمائه مروا بهذا المجلس وخاضوا بافكارهم غمار خضم متلاطم اللجج من القضايا والمشاكل على اختلاف الوانها من الاحوال الشخصية والعقارية وما اليها ـ نذكر منهم السادة ـ احمد بن المامون البلغيثي ، ومحمد بن احمد العلوي ، والعباس بن ابراهيم المراكشي ، ومحمد الهواري ، واحمد عواد ، ومحمد زويتن ، والطايع ابن الحاج ، واحمد الشبيهي ، وعبد الرحمن الشفشاوني واحمد بن اليزيد البدراوي ، ومحمد المدني بن الحسني ، والمهدي العلوي ، وعبد الرحمن الفريسي وسواهم من اعلام المعرفة وفقهاء المغرب .

وضروري ان كل علم من هؤلاء الاعلام تصفح جملة هامة من النوازل والمشاكل المرفوعة الى المجلس وتعمق ما حوته جوانبها من ماجريات ومقتضيات تدعو بطبيعتها الى مراجعة مظان ومجلدات ونوازل تفيده في الموضوع وتساعده على حل ما بيده من قضايا مستخدما ما لديه من ملكات وقواعد علمية تحقق ما يسطر . وتهذب ما يكتب ويحرر ، ومما يبعث على الغرابة ان العضو قد يدلي في نازلة اليوم براي ، وبعد فترة يتغير رايه في مثلها فيقرر فيها عكس ما قرره في نظيرها قبل ، اذ يبدو له حولها من المحيطات ما يصرفه عن الحكم الاول ـ ولا عجب ان يكون الراي الثاني امس بروح النازلة مما قضى به فيما قبل .

وهكذا تتناثر القضايا بين ايدي الاعضاء من رجال المجلس على اختلاف مشاربهم وضلاعتهم في الفقه ونوازله حيث ينظر كل عضو فيما يعطاه من الاحكام والقضايا من زاويته الخاصة فيبث فيها حسب معارفه ومداركه وما يرتئيه اخيرا من اقوال فقهاء المذهب في اشباه ونظائر النازلة . نعم عندما تطرح القضية للبحث والمداولة وتتناولها الاراء والافكار بالنظر في الجوانب والملابسات يستقر الراي في النهاية على الحل الوجيه والمتفق والراجح او المشهور او المعمول به في امثال القضية مما يجب الجري عليه في الاحكام المنوطة بالقضاة ومن ياتي لتصفح احكامهم بعد

ومن بين تلك العمليات العلمية والتقارير المحررة في مختلف النوازل والقضايا المستانفة تكونت معلمة تشريعية هامة ضمت مجلدات ودفاتر منظمة مرقمة كذخيرة ثمينة وعصارة افكار رجالات مروا بالمجلس الاستينافي عرفنا بعضهم انفا .

لذا يجب على الحكومة الموقرة ووزارة العدل في المقدمة ان ترجع اليها وتحوطها بالعناية والرعاية وتهيء لها علماء تشريعيين يتصفحونها وينتقون منها ما ياتي موسوعة تشريعية يرجع اليها في التشريع الجديد ضرورة انها زبدة ابحاث كرس لها اولاء الاخصائيون اوقاتا ثمينة من حياتهم تجلت فيها عبقرية معارفهم واختياراتهم مما لا غرو ان يصبح اليوم مرجعا قانونيا ومصدرا تشريعيا يساعد الباحثين الجدد على النظر في سهولة ويمدهم بفيض من النصوص التشريعية في شتى الموضوعات والنوازل مقربا على مجموعة القضاء والمحاماة مسافات ومسافات في اطار تشريع اسلامي ثري غض بعيد عن الالتواء والشغب وباعث «في ذات الوقت» على ارتياح الخصوم واطمئنان نفوسهم لما يصدر من حلول ويعطي من احكام تنبثق الحقيقة عنها وضاءة الجبين لا خدش في عدالتها ولا انحراف في منطقيتها وبالود لو يعجل بهذا الاقتراح فتنقذ تلك المجلدات من سلة المهملات وترعاها عيون المعرفة بالتصفح والانتقاء وعن كثب تصبح معلمة افكار منتقاة يرجع الى مسائلها المنظمة رجال القانون الذين نراهم من آونة لاخرى يكونون اجتماعات للنظر في القانون واحواله ـ وليس بالعهد من قدم ـ فقد اجتمعت علية من رجال القضاء والقانون اخيرا لبحث « مدونة الاحوال الشخصية » رغبة في تحرير بعض فصولها وعلاج مسائل من بنودها قد لا تتفق والحالة ولكن في اطار الفقه المسلم والمنطق السليم .

نعم ان عملا من هذا النوع يقتضي من رجال القضاء مجهودات ومجهودات هي في حاجة ماسة وملحة للامداد والعون وتسهيل المهمة اكثر من الواقع ـ ولا ارى شيئا اجدى من هذه العملية العلمية والانسانية التي لا تعتم تركز القضاء وتدعم مراسيمه ، وترفعه الى المستوى اللائق بعدالة ومنطقية سليمتين .

فعلى رجال القضاء والقانون ان يعملوا على تحقيق هذه الفكرة في تضامن مع وزارة العدل وابراز المشروع «الذي لا ريب انه مشروع انساني » الى عالم الوجود .

عبد اللـه الجراري
مفتش بوزارة التربية الوطنية ـ الرباط

في النقد :

حول تأليف كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان تأليف أبي عبد الله الشطيبي 882/993هـ

للأستاذ : سعيد أعراب

من الاسر الاندلسية التي هاجرت الى المغرب ـ عائلة البرجيين ، واصلهم من غرناطة ، انتقلوا الى شمال المغرب ، على عهد السلطان ابي عنان المريني ، وكان بيتهم بيت علم وثروة وصلاح ، ومنهم ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن حسن بن حيون الشطيبي الزرويلي ، نسبة الى بني زروال احدى قبائل غمارة ، كما يقول ابن خلدون ، ولد سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة (882 هـ) . قال في الدوحة : وكان نزيل تازغدرة من احواز ورغة ، رحل الى بلاد المشرق ، وقام يجول سائحا في نواحيها اعواما كثيرة ، ولقي فيها مشايخ عدة . وجاء في السلوة : انه كان واسع المعرفة ، شهير الذكر ، وهو صاحب التآليف المشهورة . توفي سنة ثلاث وستين وتسعمائة هجرية (963) وقبره مزارة مشهورة بقرية تازغدرة ، وعليه بناء فخم ، حطمت قنابل الفرنسيين بعض جوانبه ايام الحرب الريفية (✱) .

خلف الشطيبي مؤلفات في التفسير والحديث والتصوف والتاريخ .. منها : اللباب في مشكل الكتاب ومفتاح الجنة بشرط العمل بالكتاب والسنة ، والآثار السنية في شرح المباحث الاصلية ، وشرح مطول على الحكم العطائية ، وتخميس بردة البوصيري ، وتعليق على البردة ، والجمان في مختصر اخبار الزمان ، واليه نسوق الحديث ، وقد دفعني الى الكتابة في الموضوع ما كتبه الدكتور علي ابراهيم حسن في كتابه : « استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الاسلامي العام ، والتاريخ المصري الوسيط » ـ من معلومات خاطئة حول هذا الكتاب ، على ما عندنا من التقصير في التعريف بتراثنا الخالد ، حتى انطمست معالمه ، وصدت ذخائره وكنوزه ، وبعدت الصلة بينها وبين اهل العلم ، حتى اذا ارادوا التحدث عنها وقعوا في كثير من الاخطاء ، وهم عنها غافلون ، قال الدكتور في كتابه المذكور ص 123 (الطبعة الثانية) : (المقري ، المتوفى في نيف وسبعين وسبعمائة للهجرة : شهاب الدين احمد بن المقري .

1) « الجمان في مختصر اخبار الزمان » مخطوط بدار الكتب المصرية ، ولد المقري في مدينة فاس ، ورتب كتابه « الجمان » في ثلاثة فصول :

الاول ـ من مبدا الخليقة الى مولد النبي عليه الصلاة والسلام ، واتى فيه على قصص الانبياء والحوادث التي وقعت في تلك الفترة من التاريخ الاسلامي .

والثاني ـ عن الرسول والبعثة النبوية .

والثالث ـ عن عهد الخلفاء الراشدين والملوك والسلاطين الى الدولة الفاطمية بمصر وافريقية وعن بلاد الاندلس) . وفي هذا النص امور :

1) لا اعتقد ان الدكتور يجهل ان شهاب الدين احمد المقري من اهل القرن الحادي عشر الهجري ، وان وفاته كانت سنة (1041 هـ) لا نيف وسبعين وسبعمائة هجرية ، على ان هناك مقريا آخر ، وهو ابو عبد الله المقري جد ابي العباس المذكور ، توفي سنة 858 هـ .

2) نسب الدكتور كتاب « الجمان » الى شهاب الدين المقري ، وهو صاحب كتاب نفح الطيب المشهور ، ولا نعلم مصدرا ذكر من بين كتبه كتابا يحمل عنوان « الجمان » وكذلك جده ابو عبد الله المقري ، له مؤلفات في الفقه ، ولا يعرف له كتاب في التاريخ ، والمعروف نسبة هذا الكتاب (الجمان في مختصر اخبار الزمان) الى ابي عبد الله البرجي الشطيبي ، نسبه اليه غير واحد من المؤرخين ، وممن نقل عنه واعتمد روايته ، الناصري في الاستقصا ، والوزير اليحمدي في كناشته ، وثبت في كثير من الفهارس منسوبا اليه ، كفهرس الظاهرية ، ومكتبة البلدية بالاسكندرية ، والفهرس التمهيدي للمخطوطات المصورة ، وسواها من مكاتب الشرق ، وسجل في فهرس الخزانة التيمورية هكذا : (الجمان في اخبار الزمان لمحمد الطيبي) وهو تصحيف عن الشطيبي .

اما في المغرب فقلما تخلو منه مكتبة ، ولا يعرف منسوبا لغيره ، فلم يبق الا ان نزعم بانه تصحف على الدكتور «البرجي» بالمقري ، وربما اقتصر ابو عبد الله الشطيبي على هذه النسبة « البرجي » التي تربط الصلة بينه وبين وطنه الاول (الاندلس)

(✱) كتبت له ترجمة مطولة في جريدة « الميثاق » اعداد 42 ـ 43 ـ 44 .

وكان يحن اليه كثيرا ، ومثل هـذا التصحيف قد تعودنـاه في كثير من المخطوطات .

3) ذكر الدكتور ان شهاب الدين المقري ولـد بفاس ، والصواب انه ولد بتلمسان (الجزائر) عام 986 هـ ، ثم انتقل الى فاس عام 1009 هـ .

كما استوطن جده ابو عبد الله المقـري فاسا ، وتولـى القضاء بهـا .

4) قد يقال : ربما كان هناك مقري آخر ، نسب اليـه كتاب « الجمان » وقد وافق صاحب النفح في الاسـم والنسب واللقب ، وهو من اهل المائة الثامنة ، وولد بفاس ـ كما ذكر الدكتور ، ولكننا لم نطلع على ذلك كما لم نطلع على كثيـر غيره ، نعم يرد هذا الاحتمال لو لم يذكر الدكتور محتويـات الكتاب ، والتصميم الذي وضعه مؤلفه ، مما لم يبق لنا معـه اي شك في انه كتاب «الجمان في مختصر اخبار الزمان» لابي عبد الله الشطيبي ، والمؤلفون قد يتواردون على عنوان واحد ، عن قصد او عن غير قصد ، ولكن لا بد ان يكون لكل مؤلف منهجـه وطريقته الخاصة ، كما ان لكل عصـر طابعـه الخاص ، على ان هناك بونا شاسعا بين كتابة ابي العباس المقري ، وكتابة ابي عبد الله الشطيبي ، سواء في التفكير او التعبير .

ويبدو ان التحريف لعب دورا خطيرا في نسخ هذا الكتاب، ونستطيع ان نقرأ عنوان الكتاب في عبارات شتى هكذا

الجمان في مختصر اخبار الزمان .
الجمان المختصر في اخبار الزمان .
مختصر اخبار الزمان .
الجمان في اخبار الزمان .
الجمان من مختصر اخبار الزمان .

وقد انتقلت عدوى التحريف الى اسم مؤلفه ، وتاريـخ وفاته ، فيمن تبرع بذلك من امناء المكاتب ، او مالكي الكتاب ، وكم يعاني من ويلات في هذا الباب ، رجال البحث ، واهـل التحقيق في عالم المخطوطات .

5) وقيمة هذا الكتاب ـ في نظري ـ لا ترجع الى مـا اورده من معلومات عن تاريخ الاسلام العام ، او التاريخ المصري الوسيط ، بل الى ما تضمنـه من حقائق عن تاريـخ المغـرب والاندلس (المشترك) ، وقد عقد فصلا مهما عن الاسر البربرية التي استوطنت الاندلس ، وتولت الرئاسة والحكم في كثير من مدنه وقراه ، او كان لها مقام كبير في العلم والجهاد ، منهـم من ينتسب الى صنهاجة ، ومنهم من ينتمي الى يفرن او ايلان ، او الى قبائل بربرية اخرى كبني عوسجة ، وبني يرزين ، وبني زروال ، الى غير ذلك ، وذكر من امراء الاندلس على عهـد طارق بن زياد ـ محمد بن الياس المغيلي ، وكان اميرا على ثغور وادي الحجارة ، ومنهم ابن واتسون المكناسي ، ومن امراء شاطبة بنو عزلون وهم نفزاويون ، وذكر من قضاة قرطبـة وعلمائها ـ القاضي العباس ، والاصبغ الهواري ، وقال ان جميع اعيان سرقسطة وامرائها من البربر ، وهم من بني الفراطي ومن بني قرقير ، ومنهم محمد بن عبد الجبار المصمودي ، ثار بمدينة ماردة ايام بني امية ، ومنهم بنو يحيى بقرطبة ، ومنهم الاوربي من بني سالم .. وهي حقائق تاريخية مهمة ، قلما نجدها مفصلة هكذا في كتاب .

وينتهي كتاب الجمـان « بانتهـاء » تاريـخ الدولـة الموحدية ، وربما كان في نية المؤلف ان يكتب جزءا خاصـا بتاريخ المرينيين والوطاسيين والسعديين على ان الشطيبي لم يرد ان يكتب تاريخا مـسلسلا ، بل اختصر نبذا تاريخية في ثلاثـة فصول ، ولك ان تسميها ثلاثة عصور :

1) من بدء الخليقة الى مولد الرسول .

2) من مولد الرسول الى عهد الخلفاء الراشدين .

3) من عهد الخلفاء الراشدين الى اواخر العصر الوسيط .

وقد عني بالاحـداث والغرائـب كالـزلازل والكسـوف والخسوف ، وهو شغوف بقصص الانبياء ، وحكايات الزهاد والصالحين ، والطغاة والجبارين ، قال في مقدمـة الكتـاب : (ولما رأيت اخبار الزمان كثيرة ، اختصرت منها ما امكنني ، ليكون فيه وعظ للمعتبريـن ، وتذكرة للموقنيـن ، وتبصـرة للمتفكرين ، فاختصرت من جميعها ثلاثة فصول) .

ويؤخذ على المؤلف انه مولع باساطيـر والروايـات الضعيفة ، كالاخبار التي اوردها في بناء « ارم ذات العمـاد » التي قال انه بناها شداد بن عاد على صفة الجنة ، وكالاثار التي ذكرها في فضل الاندلس .. الى غير ذلك من اوهام وخرافات وقع فيها كثير من المؤرخين الاولين كابن جريـر الطبـري وغيـره .

وكنا نود من الدكتور الذي يعلمنا طرق البحث ، وكيف نستخدم المصادر التاريخية ان ينبه على نواحي الضعف في هذه المصادر ، الى ما فيها من محاسن .. وللبحـث التاريخي اليـوم قواعده واسسه .

على ان هذه الملاحظات الطفيفة لا تقلل من المجهود الذي بذله الدكتور في موضوع كتابه الطريف (استخـدام المصـادر وطرق البحث ..) فهو يستحق منا كل شكر وتقدير .

تطـوان ـ سعيـد اعـراب

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ : محمد المنتصر الريسوني

- 3 -

المـــدح :

هذا الفن لم يكن للمراة فيه كبير نصيب ، لان دواعيه مقصورة على الرجال ورغم ذلك فقد ادلت بدلوها بين الدلاء فى هذا الميدان ، فاستمع الى الخنساء تمدح اباها واخاها عندما استبقا على الخيل :

جارى اباه فاقبلا وهمـــا
يتعاوران ملاءة الحضــر (1)
حتى اذا نزت القلــوب وقــد
لزت هناك العذر بالعذر (2)
وعلا هتاف الناس أيهمـــا
قال المجيب هنــاك : لا أدري
برزت صحيفة وجه والـــده
ومضى على غلوائه يجــري
اولى فاولـــى أن يساويـــه
لولا جلال السن والكبـــر
وهما وقد بــــرزا كانهمـــا
صقران قد حطا على وكــر

ونالت بنت لبيد عن ابيها فى مدح امير الكوفة الوليد بن عقبة ، وآية ذلك ان الشاعر لبيدا كان قد اقسم على نفسه ان يطعم ما هبت الصبا ، ثم ظل يفعل ذلك بعد اسلامه ، وحينما نزل الكوفة اميرها — اذ ذاك — الوليد بن عقبة هبت الصبا والامير يخطب فى الناس فقال : قد علمتم حال اخيكم ابى عقيل وما جعل على نفسه أن يطعم ما هبت الصبا ، وقد هبت فأعينوه وبعد ذلك أرسل اليهمائةجزر واعتذر اليه بهذه الابيات:

ارى الجزار يشحد شفرتيـه
اذا هبت رياح ابى عقيــــل
اشم الانف أصيد عامـــري
طويل الباع كالسيف الصقيـل
وفى ابن الجعفري بما نـــواه
على الصلات والمال القليــــل
يذكي الكوم ما هبت عليـــه
رياح صبا تجاوب بالاصيـل

وبمجرد وصول الشعر والجزر قال لبيد : اني تركت الشعر منذ قرات كتاب الله واني ما اعيا بجواب شاعر ثم دعا ابنته وقال لها : أجيبيه عني فقالت مادحة:

اذا هبت رياح ابــي عقيــل
دعونا عند هبتهـا الوليــدا
اشم الانف أصيد عبشميـــا
أعان على مروءتـــه لبيــدا
بامثال الهضاب كـان ركبـــا
عليها من بني حام قعــــودا
أبـــا وهب جزاك الله خيـــرا
نحرناها واطعمنا الوفــــودا
فعد ان الكريم لـــه معـــاد
وظني بابن أروى أن يعـــودا

الغـــزل :

الشاعر العربي لم يفتر لسانه عن قول الشعر الغزلي ، ففيه يلقى متنفسا لحرمانه اللاذع ، ولهفته

---

1) يتعاوران ملاءة الحضر : يعني ان غبار الجري يصير كثوب يلبسه هذا مرة وذاك مرة أخرى — الحضر: العدو
2) نزت القلوب : اشتاقت لمعرفة السابق — لزت العذر بالعذر قرنت عنان السابق بعنان المسبوق .

المحروقة ، ولوعته المتأججة فراح يفتن في رصف الكلمات التي تفضح مفاتن النساء وأحيانا ترمز من غير تصريح في مناجاة بعيدة عن الغرض المادي .

وليس من شك في أن المرأة كالرجل شاركت هي الاخرى في هذا الفن ، فانتفاضات الفؤاد ، وارتعاشات الاعماق، وارتباكات القلوب وتخدرات المشاعر يتشارك فيها الجنسان معا ، فهي تتوقد وتحب ، وتهزها الذكرى وتطربها اللقيا الشهية ، ولا ريب من أن تنفعل فتتفتح في عالمها هنيهة الخلق ثم ترسل زفراتها في كلمات غزلية ، بيد ان غزلها يتسم بالاستحياء والكتمان ، لانها مجبولة على ذلك والرجل على النقيض فلنعر اسماعنا لهذا الغزل المليء باللهاث ، وعطر التناجي اللذيذ ، وبزخم من الشعور عميق .

ولتكن اولى شاعراتنا في هذا الصدد أسماء المرية الجاهلية ، تذكرت حبيبا في نجد ولكنها صبغت شوقها اللافح المشتعل بصبغة الشوق الى الوطن فتقول في بوح لاهب وزفرة محرقة :

أيا جبلي نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص الى نعيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست
على قلب محروق تجلت همومها
اجد بردها أو تشف مني حرارة
على كبد لم يبق الا حميمها (1)
أيا جبلي وادي محريدة التي
نأت عن ثوى قومي وحم قدومها
الا خليا مجرى الجنوب لعله
يداوي فؤادي من جواه نسيمها
وكيف تداوي الريح شوقا مماطلا
وعينا طويلا بالدموع سجومها
وقولا لركبان تميمة اذ غدت
الى البيت ترجو أن تحط جرومها
بأن أكناف الرغام غريبة
مولهة ثكلى طويلا نئيمها

مقطعة احشاؤها من جوى الهوى
وتبريح شوق عاكف ما يريمها

وام موسى الكلابية زوجها أبوها وكانت تشغف بالآخر من عشيرتها فنقلها زوجها الى « حجر » من بلاد اليمن فعصفت بها الذكرى ، وبالها من ذكرى ، ذكرى الحبيب الذي تسلقت به فقالت :

قد كنت اكره حجرا أن أعيش بها
وان أعيش بأرض ذات حيطان (2)
يا حبذا الفرق الا على وساكنه
وما تضمن من ماء وعيدان (3)
ابيت ارقب نجم الليل قاعدة
حتى الصباح أنادي بالعجلان (4)
لولا مخافة ربي أن يعاجلني
لقد دعوت على الشيخ ابن حيان (5)

وسعدى الاسدية أحبها ابن عمها وهام بها هياما فوق الوصف ولكن أباه منعه من الزواج بها ثم ارغمت على الزواج برجل آخر غيره . وهنا فاضت نفسه حسرات فبعث اليها يخبرها ثم أجابته بقولها :

حبيبي لا تعجل لتفهم حجتي
كفاني ما بي من بلاء ومن جهد
ومن عبرات تعتريني وزفرة
تكاد لها نفس تسيل من الوجد
غلبت على نفسي جهارا ولم أطق
خلافا على اهلي بهزل ولاجد
ولن يمنعوني أن أموت بزعمهم
غدا خوف هذا العارق جدث وحدي
فلا تنس أن تأتي هناك فتلتمس
مكاني فتشكو ما تحملت من جهد

وليلى العامرية صاحبة قيس بن الملوح ، ماذا قالت هي الاخرى ، انها تصف لنا ما كان بينهما وبين حبيبها ، وتكتم ما يتجلجل في اعماقها من ارتعاشات ونبضات :

---

1) فعل أجد في البيت مجزوم ذلك لانه جواب اذا ، اذا لا تجزم الا في الشعر وقد استشهد النحاة بقول الشاعر : واستغن ما أغناك ربك بالغنى وإذا تصبك خصاصة فتجمل
ومنهم من يزعم ان اذا تجزم النثر كقوله عليه السلام : « اذا أخذتما مضاجعكما تكبرا اربعا وثلاثين » وقد قيل ان هذا الحديث قد يكون بلغة من يحذف النون من آخر الافعال الخمسة بغير نصب ولا جزم .
2) حجر : قرية بابها من قرى اليمن
3) الفرق : مكان باليمن
4) تصف الشاعرة ديار حجر وما يرتبط بأبوابها من الماشية
5) بن حيان أبوها الذي كان سببا في ابعادها عن الحبيب .

لم يكن المجنـون فى حالـة
الا وقد كنت كما كانـا
لكنه باح بسر الهـوى
واني قد ذبـت كتمانـا

وتقول :

باح مجنون عامـر بهـواه
وكتمت الهوى فمت بوجـدي
فاذا كان فى القيامـة نـودي
من قتيل الهوى ؟ تقدمت وحدي

ويحكى ان خيرة ام ضيغم البلوية عشقت ابن عمها فانتشر خبرها وحجبوها ففاضت عاطفتها بالشعر الحراري الشجي فقالت :

هجرتك لما ان هجرتك اصبحت
بنا شمتا تلك السيون الكواشح
فلا يفرح الواشون بالهجر ربما
اطال المحب الهجر والحب ناصح
وتعدو النوى بين المحبين والهوى
مع القلب مطوي عليه الجوانح

وما تنسى خيرة لياليها المفعمة بالانس ، والعامرة بكل لطيف رقيق يحس به المحبان الفارقان فى لجة من الضياء الساكن الهادىء الا من ومضات خاطفة من السنين الواليتين ، فيالها من ليال ليتها تعود :

فما نطفة من ماء بهيمن عذبـة
تمتع من ايدي السقاة ارومها
باطيب من فيه لو انك ذقتـه
اذا ليلة اسحت وغاب نجومها
فبل ليلة البطحاء عائدة لنـا
فدتها الليالي خيرها وذميمها
فان هي عادت مثلها غاليـة
على وايام الحرور اصومها

ويا ما احلى اشفاء الغليل بالرشفات فى هدوء الليل وسكينته الخرساء وقد اندس كـل واحـد فى فراشه الا حبيبان يتناغيان فى رقة ملذة لطيفة :

وثبنا خلاف الحي لا نحن منهم
ولا نحن بالاعـداد مختلطان
وبتنا يقينا ساقط الطل والنـدى
من الليل بردا يمنة عطـر ان
نرد بذكر الله عنا من الصبـا
اذا كان قلبانا بنا يحفـان

وتصدر عن امر العفاف وربما
نقعنا غليل النفس بالرشفان

والغزل النسائي كثير كغزل عشرمة المحاربية والخنساء بنت التيجان صاحبة جحوش الخفاجي ، وام فروة الغطفانية ، وحميدة بنت النعمان بن بشير وام حكيم بنت يحيى ، وعاتكة المرية وعلية بنت المهدي وأضرابهن .

الحنين الى الوطن :

الوطن .. الوطن حبه غريزة راسخة فى الكيان الانساني، هو اغنية مزمار حلوة ترددها شفتا الانسان فى لـذة انتشائية سكرى ، فمهما طاف الاصقاع واستنـزف اياما مترعة ، وليالي مرقصة فى التطواف ، وبهره ما بهره من جمال الوطن الآخر فانه يحس بانجذاب سحري وبحنان فوار الى مدارج الصبا ، ومسارح الطفولة حيث تفتقت الاكمام لقطرات ندى الحياة .

مهما راح الانسان يطوي البقاع ، ويمرق من درب الى درب يتملى بالروعة والفتنة ويتفيأ المجالي الجمالية فانه يشعر بدغدغات فى حنايا الاحساس ، ونبضات فى اعاميق الشعور تتملك النفس وتملأ الخواطر فتبعث الحب والحنين المحملين بزخم من الجيشان الداخلي .

مهما عبر واغترب ، فان نغما مسكرا يجذبه الى الوطن كما يجذب غناء عرائس البحر اللطيفة اليه ملاحي البحار .

فيا حبذا حنين الوطن .... ويا حبذا حبه ، وثالثا يا حبذا قول الشاعر من بني ضبة عندما يلقي علىأسماعنا هذين البيتين :

نسير على علم بكنه مسيرنـا
بعفة زاد فى بطون المزاود (1)
ولابد فى اسفارنا من قبيصـة
من الترب نسقاها لحب الموالد(2)

فالحنين الى الوطن غريزة بشرية كامنة فى أغوار الذات ، ولقد بلغ حب العرب لاوطانهم انهم كانوا اذا ما رحلوا للغزو او لغيره حملوا معهم حفنة من التراب يستنشقونه عند نزلة او زكام او صداع .

والمراة العربية الشاعرة زخرت عاطفتها بحـب الوطن والحنين اليه فتندت قريحتها بنتاج شعري رقيق تشق كلماته عما بداخله من شوق للديـار وحـب

(1) العفة : بقية اللبن فى الضرع والمقصود القليل من الزاد .
(2) قبيصة : قبضة وحفنة

للاوطان (1) ولذلك يروى ان هند بنت عصم السدوسية وهي عند ربيعة ابن غزالة الكندي حنت الى بلادهـا حنينا جارفا اذ تصور هذا الحنين في ان الماء الـذي تشربه لا ينقع عطشها ، وتود من صميم وجدانها ان يأتي احد بشربة من ماء بلادها الحبيبة ، تقول في لوعة لافحة :

الا لا ارى ماء المصبح شافيـا
نفوسا الى امواه بقعاء نزعا(2)
فمن جاء من ماء السبال بشربة
فان له من ماء لينة اربعـا
وقد زادني وجدا ببقعاء انني
رايت مطايانا بلينة ظلعـا

وتقول وجيهة بنت اوس الضبية متعجبة ممن يعذلها في شوقها الى وطنها ، وما يزيدها ذلك العذل غير الكلف والشغف به :

وعاذلة تغدو على تلومني
على الشوق لم تمح الصبابة من قلبي
فما لي ان احببت ارض عشيرتي
وابغضت طرفاء القصيبة من ذنب(3)
فلو ان ريحا بلغت وحي مرسل
حفي لنا جيت الجنوب على النقب(4)
فقلت لها : ادي اليهم رسالتي
ولا تخلطيها طال سعدك بالترب
فاني اذا هبت شمالا سالتها
هل ازداد صداح النميرة من قرب(5)

وميسون بنت بحدل الكلابية عند ما زفت من بادية الى معاوية بن ابي سفيان ضاقت من الحيـاة الحضرية وحنت الى البادية فقالت في نبرات شوقية لهفية عاصفة :

لبيت تخفق الارواح فيه
احب الي من قصر منيف
واصوات الرياح بكل فج
احب الى من نقر الدفوف
وكلب ينبح الابيات دوني
احب الي من هر اليف
ولبس عباءة وتقر عيني
احب الي من لبس الشفوف
وخرق من بني عمي نحيف
احب الى من علج عليف (6)

وام حسانة المرية تحن ، وفي حنينها اوار ولواعج، انه حب الوطن تملك نفسها ، وسرى في حنايا قلبها ، تهمس همسات شجية مؤثرة :

اقول لادنى صاحبي ايسره
وللعين دمع يحدر الكحل ساكبه
لعمري لنهي باللوى نازح القذى
نقي النواحي غير طرق مشاربه(7)
احب الي من صهاريج ملئت
للعب ولم تملح لدي ملاعبه
فيا حبذا نجد وطيب هوائه
اذا اهضبته بالعشي هواضبه (8)
وريح صبا نجد اذا ما تنسمت
ضحا وسرت جنح الظلام جنائبه(9)
فاقسم لا انساه ما دمت حية
وما دام ليل من نهار يعاقبه
ولا زال هذا القلب مسقى لوعة
بذكراه حتى يترك الماء شاربه

ذلك هو حديثنا عن المراة العربية الشاعرة ، ونحن اذا ما ساعفتنا الرغبة في التفصيل لجاء الموضوع مؤلفا قائم الذات لانه واسع الجوانب، متعدد الزوايا وهو الان عينه شيق خصب لمن اراد أن يكتب فيه ، لذلك نجتزىء بهذا القدر فالشيء يدل بعضه على كله كما يقولون .

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

---

1) الف الاستاد ابراهيم الابياري كتيبا تحت عنوان : « الوطن في الادب العربي » — سلسلة المكتبة الثقافية وهو موضوع طريف في حد ذاته ، ولكنه لم يشر من قريب أو بعيد الى نصيب المراة في هذا المضمار وهو لو فعل لاصبح الموضوع اطرف . ولا ادري هل يعزى السبب الى التجاهل ام الى شيء آخر فعند جهينة الخبر اليقين .
2) المصبح اسم مكان — بقعاء اسم مكان ايضا .
3) طرفاء القصيبة : شجر بهذا الموضع
4) النقب : الطريق في الجبل .
5) النميرة : هضبة بين نجد والبصرة بعد الدهناء
6) خرق : سخي ظريف — علج : حمار أو حمار الوحش — عليف : مطعوم لا يعمل
7) نقي : غرير — الطرق : الماء الذي خاضته الابل وبالت فيه وبعرت
8) اهضبته الهواضب : يعني فاضت عليه السحب في غزارة .
9) الجنائب : رياح الجنوب .

لمحة تاريخية وأدبية عن الحمامات في المجتمع الإسلامي

بقلم : الأستاذ عبد القادر الخلادي

- 2 -

وفي كتاب الف ليلة وليلة ، وهو كتاب يشتمل على صور حية للحياة الاجتماعية الاسلامية ، بما فيها من بذخ ورفاهية ، ومجون او بؤس وعسر ، نقرأ حكاية « ابي صير وابي قير » فنقتنع بان الحمامات كانت تعتبر من اهم المؤسسات العمومية التي تتوقف عليها المدن لاستكمال مظاهر حضارتها ، وتعد من المراكز التي تيسر الاتصال بذوي الجاه ، ومن موارد الرزق الحلال الطيب .

استعمل صاحب الحكاية الفاظا شائعة عند رجال البحر ، الا انه لم يذكر البلدة التي بنى فيها « ابو صير » الحمام ، وفي هذا ما يدل على ان تلك الحكاية خيالية وضعت للارشاد والتوجيه، ولبيان سوء مغبة الحسد اكثر مما وضعت لتصوير حقائق واقعية ، وانها كتبت بعد عهد الحروب الصليبية . والذي يهمنا منها هو انها تشخص ما يتطلبه تسيير الحمام من حسن التدبير ، وما يجري في الحمامات من نشاطات للتنظيف والترفيه ، وفحوى الحكاية ان « ابا صير و « ابا قير » ـ وهذان العلمان من باب: هيان بن بيان ـ ضاقت بهما وسائل العيش في الاسكندرية فركبا البحر طلبا للرزق ووصلا الى مدينة جميلة منظمة الا انهما لاحظا بعد ان اقاما بها مدة واتصلا بملكها ، انه ليس بها حمام، فاستأذن ابو صير الملك في بناء حمام واطلعه على ما للاغتسال به من مزايا فأذن له الملك بذلك ، فاختار مكانا ملائما وبنى به حماما على شكل الحمامات التي رآها بالاسكندرية ، ثم زخرفه وفرشه وطيب هواءه بانواع البخور ، وعلم عدة مماليك. ودشن الملك الحمام ومعه وزراؤه وجماعة من علية القوم فكبس ابو « صير » الملك بنفسه ، واخرج من جسده الوسخ مثل الفتائل .. ومزج له ماء الورد بماء المغطس فخرج وجسده قد ترطب ، فحصل له نشاط ... ثم بعد ذلك اجلسه في الليوان (الايوان) وصار المماليك يكبسونه والمباخر تفوح بالعود والند . فقال الملك : «ما صارت مدينتي مدينة بهذا الحمام » واعطى « لأبي صير » اموالا ومماليك وكذلك فعل الاكابر الذين معه ، ثم جاءت الملكة الى الحمام مع عدد من الجواري ونساء الاعيان ، فابتهجن بما رأين فيه ، وقدمت لهن الشربات . فحظي « ابو صير » عند الملك وشاع ذكره في المدينة وانهالت عليه الارزاق ، وذلك لان كل سكان المدينة تأكدوا بما للحمام من مزايا ، واخذوا يلجونه افواجا طلبا للنظافة والراحة .

ورسم بديع الزمان الهمذاني في مقاماته ــ تلك المقامات التي يمكن ان تعتبر شريطا سينمائيا لألوان الحياة الاجتماعية في عهده ــ مشهدا فكاهيا ممتعا لما يجري في الحمام من اعمال فقال « حدثنا عيسى بن هشام قال : لما قفلت من الحج فيمن قفل ، ونزلت حلوان مع من نزل ، قلت لغلامي ، اجد شعري طويلا ، وقد اتسخ بدني قليلا ، فاختر لنا حماما ندخله ، وحجاما نستعمله ، وليكن الحمام واسع الرقعة ، نظيف البقعة طيب الهواء ، معتدل الماء ...

... فاخذنا الى الحمام السمت ، واتيناه فلم تر قوامه ، لكنني دخلته ودخل على اثري رجل ، وعمد الى قطعة طين فلطخ بها جبيني ، ووضعها على رأسي . ثم خرج ودخل آخر فجعل يدلكني دلكا يكد العظام ، ويغمزني غمزا يهد الاوصال ، ويصفر صفيرا يرش البزاق . ثم عمد الى رأسي يغسله . والى الماء يرسله . وما لبث ان دخل الاول فحيا اخذع الثاني بمضمومة قعقعت انيابه . وقال : يالكع مالك ولهذا الرأس وهو لي ؟ . ثم عطف الثاني على الاول بمجموعة هتكت حجابه ، وقال : بل هذا الرأس حقي وملكي وفي يدي ! !

ثم تلاكما حتى عيا . وتحاكما لما بقيا . فأتيا صاحب الحمام . فقال الاول : انا صاحب هذا الرأس لاني لطخت جبينه ووضعت عليه طينه . وقال الثاني : بل انا مالكه ، لأني دلكت حامله، وغمزت مفاصله . فقال الحمامي: ائتوني بصاحب الرأس اسأله . الك هذا الرأس ام له ، فأتياني وقالا : لنا عندك شهادة فتجشم ! فقمت وأتيت ، شئت ام ابيت . فقال الحمامي :

يارجل لا تقل غير الصدق ، ولا تشهد بغير الحق . وقل لي هذا الرأس لأيهما ؟ فقلت : ياعافاك الله ! هذا رأسي قد صحبني في الطريق ! وطاف معي بالبيت العتيق ! وما شككت انه لي ! فقال لي : اسكت يافضولي . ثم مال الى احد الخصمين فقال : يا هذا الى كم هذه الملاقة مع الناس . بهذا الرأس ؟ تسل عن قليل خطره ، الى لعنة الله وحر سقره ! وهب ان هذا الرأس ليس ! وانا لم نر هذا التيس ! قال عيسى بن هشام : فقمت من ذلك المكان خجلا ، ولبست الثياب وجلا ، وانسللت من الحمام عجـــــلا .... »

وكثيرا ما اوحى الحمام بافانين من المعاني الشعريـــة مختلفة الالوان والمشارب .

دخل الشاعر الزجال ابو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن بقي القرطبي (*) الحمام ، فوجد فيه ابا جعفر ابن هريـــرة التطيلي المعروف بالاعمى (*) فقال له اجز :

حمامنـــا كزمـان القيـظ محتـــدم
وفيـه للبـرد صـر غيـــر ذي ضـــرر

فقـال الاعمـــى :

ضـدان ينعـم جسـم المـــرء بينهمـــا
كالغصن ينعـم بين الشمـس والمطـــر

ويقال انهما التقيا مرة اخرى بالحمام فقال الاعمى :

يـــا حســـن حمامنـــا وبهجتـــه
مـــرأى مـــن الســحـــر كلـــه حســـن
مـــاء ونـــار حواهمـــا كنـــف
كالقلـب فيـه الســـرور والحـــزن

ثم اعجبه هذا المعنى ايضا فقال فيه :

ليس على لهونا مزيـــد — ولا لحمامنـــا ضريـــب
ماء وفيـه لهيـب نـار — كالشمس في ديمة تصوب
وابيض من تحته رخام — كالثلج حين ابتدأ يـذوب

ووروود لفظة « الثلج » تثبيت ان قائل هذه الابيات اندلسي وانه يستطيب دخول الحمام وبالخصوص في فصل الريـاح والامطار . ومن المعلوم ان كل شاعر يحلق في الجو الـذي اختاره لنفسه وينسج على المنوال الذي استحسنه مستحليا المعاني التي تلائم هواه ومذهبه .

قال بعضهم (وربما يكون ابن الوردي) :

ومـــا اشبـه الحمـام بالمـوت لامـريء
تذكـــر ... ولكـــن اين من يتذكـــر ؟
يجـرد عـن اهـل ومـال وملبـــس
ويصحبـه من كـل ذلـك مئـزر (*)

وقال ابو الطيب المانوني ، شاعر اليتيمة :

وبيـت كأحشـاء المحـب دخلتـــه
ومـــا لـي ثيـاب فيـه غيـر اهابـــي
أرى محرمـــا فيـه وليـس بكعبـــة
فمـــا ســاغ الا فيـه خلــع ثيابـــي
بمـــاء كدمـع الصـب في حـــر قلبـــه
اذا آذنـــت احشـــاؤه بذهـــاب
توهمـــت فيـــه قطعـــة من جهنـــم
ولكنهـــا مـــن غيـــر مـــس عقـــاب
يثيـــر ضبابـــا بالبخـــار مجـــدلا
بدور زجـاج في سمـاء قبـــاب (*)

ومن قصيدة لأبي عمرو ابن دراج في وصف الحمام :

انعم بحمام حمى لك ماؤه — وعلى عدوك ترحة وحمام
متفرج الابواب عن صحن ثوى — فيه الصباح وشرد الاظلام
وكأن فيه من الربيع صحية — فيها تساوى الليل والايام
مفض الى حر الهجير وناره — برد عليك وان غلى وسلام
وتألفت من مائه ورخامه — شكلان تشكل فيهما الاوهام
هل تحت هذا الماء ماء جامد — ام ذاب من فوق الرخام رخام ؟
وهو الزمان شتاؤه ومصيفه — وخريفه وربيعه البسام (*)

وقال بعض الشعراء ممن تيمهم الحب ، فاحرقت نار الغرام قلوبهم واغرقت دموع الهيام جفونهم :

لـــم ابـــغ بالحمـام طيـب تنعـم
افنـى البكـاء دمـوع عينـي اجمعـــا
فبكيـت فيـه اسـى بجسمـــي كلـــه
حتى كـأن لكـل عـرق مدمعـا (*)

وقال صاحب كتاب نهاية الارب : **وانشدني جمال الدين** محمد بن عبد الحكم لنفسه :

قالـــوا تراك دخلـــت حمامـــا ومـــا
حلـــف الهـــوى يلتـــذ بالاهـــواء

(*) كتاب نفح الطيب ج 3 مطبعة السعادة مصر 1949 ، والذخيرة لابن بسام ج 1
(*) نفس المصدر ج 4
(*) نفح الطيب ج 4
(*) الذخيرة لابن بسام
(*) الذخيرة لابن بسام .
(*) ملامح من المجتمع العربي سلسلة اقرأ . تأليف محمد عبد الغني حسن .

فاجبتهم : لم تكف ادمع مقلتي
حتى بكيت بجملة الاعضاء

وورد في كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ولم يذكر القائل :

ولم ادخل الحمام يوم رحيلهم
طلاب نعيم قد رضيت ببؤسي
ولكن لتجري دمعتي مطمئنة
فأبكي ولا يدري بذاك جليسي

وقال ابراهيم بن خفاجة الاندلسي :

اهلا ببيت النار من منزل
شيد لابرار وفجار
يدخله ملتمس لذة
فيدخل الجنة في النار

وقال شاعر آخر :

ان حمامك هذا
غير مذموم الجوار
ما رأينا قبل هذا
جنة في وسط نار (✱)

ودخل ابن سكرة الهاشمي — (وهو من شعراء القرن الرابع) — الحمام فسرق له مداسه فقال متشبها بالمتصوف الزاهد « بشر الحافي » :

اليك اذم حمام ابن موسى
وان فاق المنى طيبا وحرا
تكاثرت اللصوص عليه حتى
ليحفى من يطيف به ويعرى
ولم افقد به ثوبا .... ولكن
دخلت « محمد » فخرجت « بشرا » (✱)

ان هذه المجموعة من القطع الشعرية والنثرية تبين ان الحمام مؤسسة مفتوحة في وجوه العامة ، مبرزة لكافة الناس ، وان من الشعراء من كان يدخله « ليبكي » (بجميع الاعضاء) ومن كان يلجه ليتذكر عزلة القبر ، ومنهم من يرى فيه « الجنة في النار » .

ومهما يكن من امر فالحمام معد قبل كل شيء للتطهير والتنظيف ، وهو في هذه الغاية « مشيد للأبرار والفجار » و « منزل اقوام اذا ما تقابلوا به تشابه وغده وزيبه » ولذا فليس من المستبعد ان ينقلب « طيبه خبثا » وان يستحيل فيه (المعروف منكرا) ، ولذا ايضا كانت الحمامات وما زالت مبعث احكام متباينة ، وفتاوى متناقضة ، كما كانت وما زالت محط انظار المحتسب ، وصاحب الشرطة ، تلافيا لما قد يقع فيها من منكرات ، وردعا لمن يحاول ان يعيث فيها فسادا .

ولنذكر هنا ما ورد في كتاب « الموشى » (✱) من شرائع المروءة وحدود الادب التي يجب على الظرفاء مراعاتها عند دخولهم الحمام : « وقد ينبغي للظريف ان يدخل الحمام على خلوة ، لئلا ينظر فيه الى سوءة ولا يمد عينه الى احد ، ولا يعلق ثوبه على وتد ، ولا يدلي رجله في البئر التي ينصب اليها الماء ، فان ذلك مما يفعله الادنياء ، ولا يدلك يديه بخرقة ، فان ذلك مما يستعمله السخفاء ، ولا يتمرغ على حرارة ارض الحمام فان ذلك مما يفعله سفلة العوام ، بل ينبغي له ان يدخل متزرا ، ويقعد فيه معتزلا ، ولا يقعد متوقزا على رجليه ، فان ذلك طعن على عقله ، ولا يميل مضطجعا بل ينتصب متربعا ، حتى اذا نضب العرق من بدنه ، وتحدر على جسده ، وكان عرقه بين الكثير والقليل ، نشفه عن بدنه بمنديل ، ثم دعا لرأسه بالغسول ، والاشنان المنخول ، فان كان من اهل المروات والنعم ، واهل البيوتات والقدر ممن لا ينسب في فعله الى شيء من شكله ، فليبتديء دخوله الحمام بالامساك عن الكلام ، والتجرع من الماء الحار ثلاث جرع » .

ولننظر الآن بعض جوانب الآداب العامة الخاصة بالحمامات . قيل : « دعوتان مغفول عنهما عند دخول الحمام : سلمك الله من الزلق ، وحرس ثيابك من السرق » وكان الامام الغزالي يعتبر ازالة اسباب الزلق في الحمام مما يجب الامر به عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره » ، ولم يغفل اصحاب كتب الحسبة عن التنبيه على الاهتمام بكل ما من شأنه ان يوفر الراحة للمستحمين ، ويبعث في نفوسهم الانشراح والاطمئنان . قال ابو عبد الله محمد بن ابي محمد السقطي « وكذلك الخدمة بالحمامات يبيتون محاكهم التي يحكون بها ارجل الناس في الملح والماء كل ليلة لئلا تكتسب الروائح ، ويغسلون مئازرهم كل عشية بالصابون » . وقال محمد بن احمد بن عبدون التجيبي : (✱) « يجب ان تكون مهاريج الحمامات مغطاة ، فان كانت مكشوفة لم تؤمن نجاستها ، فهو موضع طهارة ، يجب الا يمشي الطياب ولا الحكاك ولا الحجام في الحمام الا بالتبان (✱) وسراويلات ، يجب الا يحك مسلم

(✱) ملامح من المجتمع العربي . سلسلة « اقرأ » تأليف عبد الغني حسن .
(✱) نهاية الارب ج 1 .
(✱) الموشى او الظرف والظرفاء لابي الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء (320 هـ 936 م) .
(✱) التبان : سروال قصير كان يستعمل للاستحمام في الانهار ، وشواطىء البحار .
(✱) تاريخ الدولة الفاطمية تأليف الدكتور ابراهيم حسن ص 625 .

اليهودي ولا النصراني ٠٠٠٠ لا يجلس متقبل الحمام للنساء فانه موضع تستع وزنى ولا يكون متقبل فنادق التجار والغرباء امرأة فذلك عين الزنى ٠٠٠ »

يفهم من النص اعلاه ان اليهود والنصارى كانوا يدخلون للحمام مع المسلمين ، سواء في الشرق او في المغرب ، وذلك قصد الاغتسال والاستحمام ، وقد عرف ذلك في المغرب الى غاية العشرين سنة الاولى من عهد الحماية ٠

يحكى ان الخليفة الفاطمي الحاكم هو اول من امر بان « تكون الصلبان في اعناق النصارى اذا دخلوا الحمامات العامة ، والجلاجل في اعناق اليهود ، ليتميزوا بذلك عن المسلمين ، ثم افرد في سنة 408 هـ ، حمامات اليهود وحمامات النصارى عن حمامات المسلمين (كما خصصت حارة زويلة ، بالقاهرة لليهود في ذلك الوقت » (✶) ٠

ومما هو جدير بالذكر ان الافرنج الذين استوطنوا الشام اثناء الحروب الصليبية كانوا اول من استحسنوا الاغتسال في الحمامات الاسلامية : « فاقبلوا عليها ايما اقبال ، وقصدوها في اوقات فراغهم يقضون فيها الساعات طلبا للراحة ، فضلا عن الغاية الاولى منها وهي النظافة ، والظاهر ان البعض افرطوا في ذلك ايضا ، الشيء الذي حمل رجال الكنيسة على ان يحتجوا على الراهبات « لخروجهن من الاديرة ، مخالفات بذلك انظمة حياتهن ، ليذهبن الى الحمامات العامة وحضورها مع عامة الناس (✶) ٠

قلنا ان الحمام مفتوح للابرار وللفجار الا ان الاخيار والاتقياء من الناس يجتنبون ما قد يرى فيه من منكرات٠ ومن العلماء من شرطوا شروطا يبيح توفرها دخول الحمام ٠ ان الغزالي في « الاحياء » وابن الحاج (✶) في « المدخل » « وابن جزي (✶) » في « القوانين الفقهية » كل منهم ذكر تلك الشروط وتكاد تكون متشابهة في المبنى والمعنى ٠

قال ابن جزي (الباب الثاني عشر ٠ دخول الحمام) : وهو للرجل دون النساء بعشرة شروط :

الاول : ان يدخل وحده او مع قوم يسترون ويعتمد اوقات الخلوة وقلة الناس ٠

الثاني : ان يستر عورته بازار صفيق ٠

الثالث : ان يستقبل الحائط لئلا يقع بصره على محظور ٠

الرابع : ان يغير برفق ما يرى من منكر ٠

الخامس : الا يمكن الدلاك من عورته من السرة الى الركبة الا امرأته ومملوكته ٠

السادس : ان يدخله بنية التداوي والتطهر من الوسخ ٠

السابع : ان يدخله باجرة معلومة بشرط وعادة ٠

الثامن : ان يصب الماء على قدر حاجته ٠

التاسع : ان يتذكر به جهنم ٠

العاشر : ان لم يقدر على دخوله وحده ، ان يكتريه مع قوم يحفظون اديانهم ٠ وقال : « واما النساء فاختلف في دخولهن ٠ فقيل يمنعن من الحمام الا من ضرورة كالمرض او شدة البرد وشبه ذلك ، وقيل انما منع حين لم يكن حمامات منفردة ، فاما مع انفرادهن دون الرجال فلا بأس ٠ ثم اذا دخلت ، فقيل تستر جميع جسدها ، وقال ابن رشد : لا يلزمها من الستر مع النساء الا ما يلزم الرجل ستره مع الرجال ، فان النساء مع النساء كالرجال مع الرجال » « وجاء في كتاب « الاحياء » اثناء الكلام عن النظافة : « الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق ، وذلك يزيله الحمام ، ولا بأس بدخول الحمام ، دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام ، وقال بعضهم : « نعم البيت بيت الحمام ، يطهر البدن ويذكر النار » وقال بعضهم « بئس البيت بيت الحمام ، يبدي العورة ويذهب الحياء » ٠ فهذا تعرض لافاته وذلك تعرض لفائدته ، ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته » واورد هذا الحديث الشريف : « فلايدخلها (اي الحمامات) الرجال الا بمئزر ، وامنعوها النساء الا مريضة او نفساء » واما ابن الحاج فانه قال فيما يخص المرأة ، بعد ان ذكر شروط دخول الحمام بالنسبة للرجل : « ينبغي للزوج الا يأذن لزوجته في دخول الحمام لما اشتمل عليه ، في هذا الزمان ، من المفاسد الدنيئة والعوائد الرديئة ، ثم يضاف الى ذلك محرم آخر ، وهو ان اليهودية او النصرانية لا يجوز لها ان ترى بدن الحرة المسلمة ومن يجتمعن في الحمامات مسلمات ونصرانيات ويهوديات ٠٠٠ ولو اخلي لاهله الحمام ليلا ، واستترن فلا بأس ٠٠ الا ترى ان الواحدة منهن اذا ارادت الحمام استصحبت معها افخر ثيابها وانفس حليها فتلبسها حين فراغها من الغسل ، بذلك المفاخرة والمباهاة » ٠

(✶) عن كتاب « العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية » ص 150 ، تأليف الدكتور زكي النقاش ٠

(✶) ملامح المجتمع العربي ٠

(✶) هو ابو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج توفي بالقاهرة سنة 737 هـ — 1336 م ٠

(✶) هو ابو القاسم محمد بن احمد بن جزي الكلبي الغرناطي ولد 693 هـ ومات شهيدا في واقعة طريفه سنة 741 هـ ٠

ان سوء الظن بالنساء نزعة قديمة . فهن « صواحب يوسف» وكيدهن عظيم ، ولكن هل الرجال ملائكة ! هل كل الرجال يستطيعون ان يقولوا قول يوسف : « رب السجن احب الي مما يدعونني اليه » .

اجل فانهن اميل من الرجال للتفاخر والتباهي بالثياب والحلي ولكن :

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول

ومن الملاحظ ان الحافظات لفروجهن يكن اكثر عددا من الحافظين لفروجهم ، عند ما يكون افراد المجتمع وبالخصوص الفتيان والكهول يتورعون عن التعرض لاعراض المحصنات ، واما عند ما تكثر مناسبات اختلاط الحابل بالنابل ، والبر بالفاجر ، والمتغفل بالشاطر ، والمتدبر بالمتهور ، فان مساعدة الحرائر على التحصن والتعفف يصبح من واجبات الازواج . قال ابو العلاء المعري مخاطبا المرأة :

ولا تلجي الحمام ، قد جاء ناصح
بتحريمه ، من قبل ان يفسد الناس

فكيف به لما اقتدى في طريقه
رجيب وحواش وتنج وانشاس (*)

تمازج بالعرب الاعاجم والتقى
على الغدر انواع تذم واجناس

اناس كقوم ذاهبين وجوههم
ولكنهم في باطن الامر نسناس (*)

ان ابا العلاء المعري عاش في زمن مضطرب سياسيا وخلقيا وقد جبل هو نفسه على سوء الظن بالمرأة ، ولم يكن نقده مصبوبا على المرأة المسلمة وحدها ، بل كان يشمل اليهوديات والمسلمات . قال في آخر تائيته المشهورة :

وساو لديك اتراب النصارى
وعينا من يهود ومسلمات

فانه كان مسرفا في اساءة الظن بالمرأة حتى انه كان لا يرى لها خيرا في التعلم ، ولا في الخروج الى الحج والمسجد والحمام ، ولا في اتصالها بالعراف والمنجم بل هو الذي قال :

ودفن الغانيات لهن او في
من الكلل المنيعة والخدور

فالشاعر ابو الطيب المتنبي ، قارن بين حسن البدويات الطبيعي وحسن الحضريات المتكلف حيث قال :

ما اوجه الحضر المستحسنات به
كأوجه البدويات الرعابيب

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب

افدي ظباء فلاة ما عرفن بها
مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

ولا برزن من الحمام مائلة
اوراكهن صقيلات العراقيب

فهو يرفع من شأن البدويات لأن حسنهن غير متكلف ولا ناتج عن استعمال الادهان والمساحيق ، وهن فصيحات لا يمضغن كلامهن غنجا كنساء الحضر اللاتي يصبغن حواجبهن ويجلين حسنهن بان يدخلن الحمام فيخرجن منه وقد شددن خصورهن فشخصت اوراكهن من تحتها وصقلت عراقيبهن .

فابو الطيب لا يرى بأسا في ان تدخل المرأة الحمام وانما يستنكر ــ تلميحا على الحضريات ان يجعلن من الذهاب الى الحمام فرصة لابداء محاسنهن « لغير بعولتهن » ، ونحن ان كنا نرى الكثير من الفقهاء يعتبرون السماح للمرأة بالدخول الحمام فتحا لباب من ابواب المفاسد ويفتون بتحريم الحمامات عليهن ، فان تاريخ النظم الاسلامية ، واستعراض مظاهر الحياة اليومية في عصرنا هذا ، وتطور العادات والتقاليد الاجتماعية ، كل ذلك يحملنا على القول بانه يصعب ، بل يستحيل تطبيق تلك الفتاوي وانه من الافضل ان نعمل على نشر كل ما من شأنه ان يساعد على التحلي ، تلقائيا ، بالعفة ويحث عفويا على غض البصر .

ومن جهة اخرى فان الحمامات الخصوصية اصبحت شيئا متعارفا في المدن وغدت من المرافق العادية في الكثير من الدور الحديثة ، كما ان الحمامات العصرية قد كثرت واصبح من المألوف ان يدخل مقاصيرها النساء والرجال سحابة النهار وفي طرفي الليل . ومن الحق ان يقال ان اغلبها لم يقصد منها الا تيسير وسائل الطهارة والتخفيف مما يتطلبه الاغتسال بالحمامات العادية القديمة من ضياع الوقت ، والتعرض للتيارات الهوائية وآفات اختلاط الصالح بالطالح .

وكل ما تقدم يؤكد وجوب الاعتناء بتربية البنات والبنين والفتيات والنساء والرجال وتعويدهم التبصر في عواقب ما يقدمون عليه من تصرفات واتجاهات ، كما يؤكد وجوب الاستمرار في الاعتناء بالحمامات من حيث اختيار مواقعها ، وهندسة قبابها ، وطرق تسخينها ، ومروءة المشرفين عليها واحترام آداب الاستحمام بها .

الرباط ــ عبد القادر الخلادي

(*) اسماء اعجمية .

(*) جنس من الخلق خرافي يشبه الانسان ، زعموا ان له عينا واحدة ورجلا ويدا من شق واحد ، وانه يخرج من الماء واذا ظفر بالانسان قتله . ومن الاقوال المأثورة : ذهب الناس وبقي النسناس .

مشاكل السلالية

وقضايا الاندماج الاجتماعي في العالم

للأستاذ : المهدي البرجالي

المشاكل السلالية وابعادها المحلية والدولية ــ صورة المشكلة العنصرية الحقيقية ، وصورة القضايا الناشئة فقط عن صعوبات الاندماج الاجتماعي ــ نظرة سريعة حول الصورة الاولى ، وسياسة الامم المتحدة في هذا المقام ، تحليل موجز لجوانب الصورة الثانية المتعلقة بمشاكل الاندماج الاجتماعي ، والجهود الدولية لتقديم المساعدة بهذا الصدد .

المشكلة السلالية ، او مشكلة الاندماج المتساوي بين الاجناس والسلالات ضمن الكيان القومي الواحد ، هي كما تعلم من بين المشاكل الرئيسية التي يواجهها عدد من المجتمعات الحديثة ، وتنعكس مؤثراتها ومضاعفاتها في بعض الحالات على مجمل الاوضاع الدولية ، وخاصة من ذلك ما يتعلق بحالة العلائق بين العالم الثالث ، والمجتمعات البيضاء ، في اوربا وخارجها ، ان المشكلة السلالية كما يمكن تبينها من خلال الوقائع الماثلة على مستوى العالم الراهنة ــ تكتسب الآن بعدين رئيسيين ، وذلك اذا نظرنا اليها من حيث المجال المادي والانساني التي تبرز فيه ، والعواقب المرحلية التي ما زالت تؤدي اليها في الآونة الراهنة .

(اولا) البعد المحلي ، حيث تفرض هذه القضية نفسها على عدد من المجتمعات التي لا تنعم بانسجام سلالي او اجتماعي كامل ، وخاصة منها المجتمعات التي يؤدي بها ذلك الى اقرار انواع من الميز بين العناصر المتساكنة في حظيرتها ، فمثل هذه الحالة ــ حالة الميز ــ تفرض جملة من الاعتبارات الاستثنائية على سياسة الدولة في الميدان الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وغيره وينعكس ذلك على الصلات المادية والانسانية داخلها ، بل وعلى التشريعات المعمول بها عندها ، ثم على ردود الفعل النفسية والاجتماعية التي يثيرها ذلك ، وقد اصبح لردود الفعل هذه اهمية خاصة في العصر الراهن ، وذلك لما اصبحت تتسم به من سعة وتنظيم واستمرار ، فرفض الميز لم يعد مجرد حالة نفسية وفكرية لا تعبر عن وجودها الا في اطار محدود بين فئة ضئيلة ممن بلغ عندهم الوعي الاجتماعي درجة عالية ، بل ان حالة الرفض هذه صارت تكتسي صبغة حركات جماهير ذات منهج واستهداف دقيق على شتى المستويات ، ومن اسباب ذلك ان الوعي الاجتماعي قد اصبح ذا شمول واسع اكثر من اي وقت ، نتيجة التوسع العالمي في تبادل الافكار وتشعب العلاقات الانسانية في اطارها المحلي والعالمي على السواء ، ومن اسباب ذلك ايضا ان التميز والاضطهاد الذي يصحبه عادة قد صار هو الآخر احكم استهدافا ، واذق تنظيما بل انه يقوم في بعض المجتمعات على تخطيطات مدروسة تقنيا ، ومزودة بالوسائل الكافية لجعل التنفيذ على اتم ما يكون فعالية وشمولا .

(ثانيا) البعد الدولي ، ويتجلى فيما تحدثه المشاكل العنصرية الداخلية من مضاعفات كبيرة الشأن احيانا على الصعيد العالمي ، سواء في نطاق الحياة الدولية الرسمية ــ كما هو متمثل في حالة العلائق بين اتحاد جنوب افريقيا ، وكثير من الدول الافريقية وغيرها ، او في نطاق العلاقات الانسانية العامة، (خارج الاطار الدولي الرسمي) كما يتضح مثلا في استغلال الدعاية الشيوعية العالمية لمشاكل التصادم العنصري في العالم الرأسمالي ، واستخدامها هذه المشكلة المزمنة ، كسلاح دعائي قوي يستعمل احيانا ، حتى في اغراض الحرب الباردة الموجودة بين المجتمعات الرأسمالية الغربية ، والمناوئين لها من الجماعات الشيوعية المحلية في شتى انحاء العالم ، ويستغل الصهيونيون من جهتهم فكرة اللاسامية ، التي لا تزال لها جذور بعيدة المدى في مختلف اقطار اوربا الغربية والشمالية والوسطى وحتى في خارج

هذه المناطق ــ يستغل الصهيونيون وجود هذه الفكرة فيحاولون اثارة العالم كله عطفا عليهم واهتماما بمستقبلهم ، وما فتئوا ــ بهذا الصدد ــ يضخمون من غول العنصرية التي تكمن في فكرة اللاسامية ، ويركزون الرأي ان هذه الفكرة موجهة ضدهم ، دون غيرهم ، مع انها تتناول في العمق غير اليهود من الامم غير الاوربية ، وكما يلاحظ فان قدرا كبيرا من الدعاية الصهيونية في العالم ، تعتمد النص على قضايا من هذا القبيل ، يعتقد انها تشكل موردا ضخما لا ينضب له مدد ، والمعتقد عموما ان عددا كبيرا من الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي يعرفها قطر او آخر من اقطار العالم ، تعود في اصولها العميقة الى نوع من التصادم العنصري ، خصوصا بالنسبة للاقطار التي لم تعرف بعد ، كيف تتوصل الى اقرار حالة من التناسق والانصهار بين فئاتها الاجتماعية المختلفة اختلافا عنصريا او ما في حكمه ، ولهذا كله فان الامم المتحدة وخاصة المنظمات المتخصصة منها كمنظمة اليونيسكو ، ما انفكت تبدي كثيرا من العناية بهذه القضية من اساسها ، فالفكرة التي تسود جو المنظمة ــ بهذا الشأن ــ باستمداد مما تتشبع به الفكرة الانسانية العامة السائدة في عالم اليوم ، هي ان الظاهرة العنصرية ، لا تقل خطورة عن عوامل الاضطراب العالمي الاخرى كالفقر والجهل وغيره ، بل ان الفكرة العنصرية تكون ــ في بعض الاحيان ادعى الى اثارة العراقيل امام التقدم الانساني المتناسق ، وابعث على المشاكل والازمات من كل نوع ، وتحفل الكتب والمنشورات التي تشرف عليها اليونيسكو مباشرة او تصدر تحت اشرافها غير المباشرة ــ تحفل هذه المطبوعات في كثير من الاحيان ، بالتحليلات الضافية عن مشكلة العنصرية في العالم وعن الجوانب العلمية والتاريخية والفلسفية التي تتصل بهذه القضية وذيولها من قريب او بعيد ، لكن الذي يمكن للمرء ان يلحظه في هذا المجال هو ان الحالات العنصرية في العالم ، ليست كلها حالات مفتعلة ، تقوم على الوهم ، والاثرة ، والتعصب كما هو الشأن في احوال كثيرة من هذا القبيل ، لقد اكتسب تعبير الفوارق العنصرية مدلولات كريهة جدا نتيجة التجارب الانسانية الطويلة بهذا الصدد ، بحيث يكاد يرادف دائما في الذهن العادي معاني الجور الاجتماعي وما يصحبه عادة من مشاحنات لا حد لها ، والواقع ان المشكلة العنصرية لا تتمثل دائما وابدا في هذه الصورة نفسها التي تلحظ في جنوب افريقيا ، واقطار اخرى عديدة ، خارج القارة الافريقية ، وعلى هذا الاساس فهناك حالتان رئيسيتان للظاهرة العنصرية في العالم : الحالة الاولى : حالة الاضطهاد العنصري ، وهو اعلى مراتب الفكرة العنصرية في معناها الرجعي المستقبح ، الحالة الثانية : حالة القضايا والمشاكل الناجمة عن عمليات الاندماج العنصري في الاقطار التي لا يزال هذا الاندماج بالنسبة اليها لم يتم بالصورة الكافية واللازمة ، ومن صور هذه الحالة الاخيرة ، ما تواجهه بعض الاقطار من تعدد الاقليات الجنسية او الثقافية او الدينية او الاقتصادية في حظيرتها ، وما يترتب على ذلك من صعوبات يجب ان تتغلب عليها لكي يمكن ادماج هذه الاقليات ادماجا نهائيا وبصورة لا تحدث تفاعلات اجتماعية غير ملائمة (ماليزيا ــ السودان ــ الهند ــ سيلان ــ الفيتنام) ومن الصور ايضا من هذا القبيل صورة البلدان التي تتكون اغلبية سكانها في الوقت الحاضر من عناصر طارئة عليها بسبب استعمار سياسي ، او مجرد استيطان عادي او ما اشبه ذلك ، وقد اكتسبت هذه العناصر كامل حقوق المواطنة نتيجة لتقادم العهد عليها ببلاد المهجر ، او لاعتبارات اخرى غير هذه ، ويبدو الامر ــ ضمن هذه الصورة ــ عكس الحالة الاولى التي اتخذنا مثالا لها من جنوب افريقيا ، فالسكان الاصلاء يشكلون اقلية متخلفة في كثير من الحالات ، والمشكلة تتجلى في كيفية اندماجهم نهائيا مع المجتمع العام الذي تتكون اغلبيته الآن من اصول مهاجرة ، وذات محتد اوربي في الغالب (مثال : امريكا الوسطى والجنوبية) .

وهناك صورة اخرى تقرب من هذه قربا نسبيا ، وهي صورة البلدان التي تنعم بانسجام عنصري لا بأس به ، ولكنها ــ بحكم نفوذها الدولي او ارتباطاتها العالمية او بسبب تفوقها الاقتصادي او لاعتبارات اخرى من هذا النوع او غيره ــ تستقبل باستمرار اعدادا من المهاجرين الذين يفدون اليها فرادى وجماعات ويتخذونها موطنا ثانيا سواء بنية الدوام او لاجل طويل ، ويحدث وجود مثل هذه الحالة عددا من المشاكل المادية والتنظيمية بين سكان البلاد والقادمين الجدد ، بل يثير ذلك احيانا جملة من المعضلات النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي تتطلب من الحكام كثيرا من المهارة والجلد لامكانية مواجهتها بما يقتضيه الحال من استعدادات وترتيبات مختلفة ، ومن الامثلة التي تذكر بهذا الشأن مثال بريطانيا وما تشكوه من مشاكل ناشئة عن تدفق الهجرة اليها من اقطار الكومونولث وخصوصا منها الاقطار الاسيوية الاعضاء في رابطة الشعوب البريطانية .

★ ★ ★

نرى اذن من خلال الفقرة السابقة ان المسألة العنصرية في العالم لا تكتسي دائما حالة واحدة اي من النوع الذي يتمثل في جنوب افريقيا وما اليها ، فهناك ــ كما تقدم ــ الحالة العنصرية التي تاخذ شكلا خطيرا قوامه الاضطهاد المنظم ضد طائفة معينة من جانب طائفة اخرى اكثر غلبة وتفوقا ، وعندما ندرس العوامل التي تتحكم في توجيه هذه الحالة ونحاول تصنيفها فانه سيكون في امكاننا ان نميز ــ في هذا المقام صورتين اساسيتين من هذا الصنف ، صورة الاضطهاد الحكومي ، وهو الذي يتمثل في حالة العنصرية السائدة في اتحاد جنوب افريقيا ، وصورة الاضطهاد الشعبي اي الذي تمارسه فئة من السكان ضد فئة اخرى كما هو الشأن في بعض الولايات الامريكية (والملحوظ ان بعض حكام هذه الولايات يشاركون

عمليا في تنفيذ الافكار العنصرية ، وان كان هذا لا يلزم الاتحاد الامريكي ككل ، وخاصة بعد صدور قانون الحقوق المدنية ، واجتهاد الحكومة الفيديرالية لوضعه موضع التطبيق على مستوى الحياة السياسية والاجتماعية العامة ، ومن غير ذلك فان الولايات العنصرية الامريكية واتحاد جنوب افريقيا ليس كل منها الا مجرد مثال للتدليل على حالتين متقاربتين من حالات الاضطهاد العنصري في العالم، والا فالمسألة العنصرية في شكلها الاضطهادي العنيف توجد لها امثلة اخرى ، كثيرة ، في نقط مختلفة من العالم وان كانت اصداء مثل هذا الصراع لا تدوي كثيرا في الاسماع ، اما لضعف الوعي الاجتماعي عند ضحايا العنصرية من هذا النوع ، او لانهم اقلية ضئيلة جدا ، لا يؤبه لها ولا يسمع صوتها او ان ظروفا سياسية او اقتصادية او روحية معينة حالت دون نشوب حالة من الصراع من هذا النوع الذي يثير عادة اهتمام العالم هنا وهناك واذا ما توسعنا في مفهوم الاضطهاد العنصري (ونستعمل التعبير هنا تجوزا فقط) كما تتمثل صور عديدة له في بعض نواحي العالم شرقا وغربا ، فاننا سنلحظ ان دواعيه وموضوعاته ليست دائما من نوع واحد يرجع الى اسوداد اللون او اصفراره ، او ما في حكم ذلك ، كما يفهم عادة من مدلول الكلمة السطحي ، فهناك فعلا حالات اضطهاد عديدة ليس للون او للعنصر فيها دخل ذو شأن كبير وانما ترجع الى اعتبارات اخرى ، كالاعتبارات الدينية (مثال : اضطهاد البوذيين على عهد النظام الفيتنامي السابق) او لاعتبارات اقتصادية واجتماعية ، كحالة المقاومة الاجتماعية التي تجدها بعض الاقليات الهندية والصينية في الاقطار الاجنبية ، نتيجة الشعور بان هذه الاقليات تزاحم السكان المحليين في مواردهم الاقتصادية ومكاسبهم الاجتماعية ، وقد يكتسي الامر في بعض الحالات صورة صراع داخلي ليس من نوع الاضطهاد المنظم ضد اقلية معينة ، وانما هو امر نزاع طائفي تتحكم فيه اما عوامل ثقافية ، كما هو الشأن في بعض اقاليم الهند ، وبلجيكا مثلا ، واما بواعث سياسية في الدرجة الاولى مثل ما عليه الامر في قبرص او بعض الاقطار الاخرى التي تماثل الجزيرة في نوع المشاكل الطائفية القائمة بها طيلة السنوات الاخيرة ، واذا وضعنا الظواهر الملحوظة ضمن تصنيفات من هذا القبيل فلا يعني ذلك ان كل ظاهرة يتحكم فيها عامل وحده دون غيره من العوامل كلها ، فالواقع ان كل ظاهرة اضطهاد او صراع طائفي او عنصري ، تكمن وراءها عوامل متعددة تتداخل فيما بينها تداخلا دقيقا ومعقدا ، وتؤثر كل منها بنسبة جد مختلفة ، فهناك تقريبا وراء كثير من الظواهر العنصرية او الطائفية مداخلات نفسانية سواء ذات اساس روحي او ثقافي او سياسي او كل ذلك ، ومداخلات اخرى مادية ذات اصل اقتصادي او ديموغرافي او جغرافي او هذه الاصول مجتمعة ومع ذلك ، فانه يوجد ثمة في كثير من الحالات عامل غلاب له التأثير الاساسي اكثر من غيره ، ولهذا فاننا ننسب اليه الظاهرة — من باب التصنيف — فنعتبرها دينية او سياسية او غير ذلك بحسب ما يلحظ من غلبة عامل ما على غيره من العوامل الاخرى في خلق تلك الظاهرة وتطويرها ، لكن هناك حالة عنصرية معينة ، تعاني منها منطقة مهمة من مناطق العالم هي منطقة الشرق الاوسط — هذه الحالة العنصرية الخاصة ، يمكن تصنيفها مع مختلف الاحوال العنصرية الاخرى الموجودة في العالم ، لان العوامل التي تكمن وراءها هي من التعدد والتشعب بدرجة كبيرة جدا ، ولا يكاد عامل من هذه العوامل يغلب على غيره ، والحالة العنصرية هذه هي التي تتمثل في سلوك اسرائيل تجاه الاقليات العربية التي تعيش تحت سلطانها ، فالعنصرية التي ينطبع بها هذا السلوك — كما تدل عليه ملاحظة الظروف التي يعيش فيها العرب هناك ، علاوة على الاشهادات والتقريرات التي تدلي بها مصادر صحفية اجنبية مختلفة — هذه العنصرية لا تجد واقعها — على ما يبدو — في مجرد الاعتبارات السلالية او السياسية الصرفة ، بل ان العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى الدينية في بعض الاحيان ، لها شأنها في الامر ، وبصورة تدل عليها العقلية اليهودية ، والمؤثرات النفسية والفكرية والتاريخية وغيرها التي تطبع هذه العقلية وتحدد موقفا معينا لها امام الناس والعالم ·

* * *

عنيت الامم المتحدة منذ عهد بعيد — كما تقدم — بقضية الاضطهاد العنصري والتمييز بين السلالات والطوائف والاقليات في شتى انحاء العالم ، ولم يكن الدافع لعناية المنظمة الاممية بهذه القضية ناتجا عن مجرد الاعتبارات الفلسفية — الانسانية ، بل ان القسط الاكبر في ذلك يعود — كما يظهر — الى المشاكل السياسية المعقدة التي يثيرها الوضع العنصري في العالم ، وهذه المشاكل — وان تكن داخلية في كثير من الحالات — فانها تحدث احيانا مضاعفات مهمة ، تنعكس آثارها على الوجود الدولي الذي يعني مباشرة الامم المتحدة بصورة خاصة ومباشرة ، وعناية الامم المتحدة بالمشكل العنصري قد كان دافعا لها لاتخاذ خطة مرسومة بهذا الصدد ، وتطبيق سياسة معينة تسير سيرا متوازيا مع سياسة الهيئة في ميادين اخرى ، كالتربية والتثقيف، وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالعالم ، وغير ذلك من النقط التي تحتمها روح الميثاق ويفرضها وجود المنظمة نفسه ، ومن الممكن — لاجل تقييم جهود الامم المتحدة في ميدان المشكلة العنصرية ، من الممكن تصنيف هذه الجهود الى صنفين رئيسيين : 1) فهناك — اولا — بهذا الصدد مكتسبات عملية ، تجد الآن تطبيقا حقيقيا لها في الحياة اليومية داخل مصالح هذه المنظمة ومرافقها ، ثم تجد تطبيقها كذلك في طبيعة الروح التي تضفيها الامم المتحدة على الجو الدولي وما تبثه هذه الروح من استبعاد التفكير السلالي ، وما في نوعه عن حظيرة الحياة الدولية والعالمية، اما من الناحية النظرية ، فثمت مبادرات تقوم بها الامم المتحدة ،

ضمن خطة منظمة ، لاستئصال الجذور الفكرية للنظريات العنصرية او التخفيف منها على الاقل ، ولنتعرض – سريعا – بعض النتائج المحصل عليها بهذا الصدد والمحاولات المبذولة هنا وهناك ، فمن الناحية العملية يلاحظ ان روح الميثاق – على الرغم من عيوبه الكثيرة – قد فرضت على هيكل الامم المتحدة وتنظيماتها حالة فعلية من اللا عنصرية ، فالميثاق يفتح الباب على مصراعيه – مبدئيا – لولوج كل الدول ، باب المنظمة وليس هناك اي اعتبار آخر الا اعتبار الشروط العادية التي يجب توفرها في جميع الاحوال من هذا القبيل، وقد تبدو هذه المسألة بديهية الى حد لا يستوجب الاشارة اليها بتاتا ، بيد ان المهم فيها ليس مجرد فتح باب العضوية مبدئيا – وقد كان ذلك حاصلا ايضا في عصبة الامم وغيرها – وانما الاهم من ذلك ، انفتاح المجال امام الدول الملونة لمنافسة الدول الكبرى داخل الامم المتحدة والمساهمة في توجيهها توجيها يتفق واهداف المساواة التي يسعى اليها كل الملونين في شتى انحاء الارض وبتأثير النفوذ الذي اصبح متوافرا هكذا للاقطار الملونة داخل الامم المتحدة فان الهيئة قد اصبحت ملزمة باتباع سبيل افريقيا في مكافحتها ، الانظمة العنصرية في القارة مؤازرة الحركات المحلية التي تقوم بدور نضالي في هذا السبيل ، هذا من الناحية العملية ، اما الجانب النظري من جهود الامم المتحدة ضد السلالية والفكر السلالي في العالم، فهو لا يقل اهمية عن غيره ، خاصة وان للنظريات التي تحتضنها المنظمة الاممية الان توازيها حركات المطالبة بالحقوق المدنية وحتى بحق تقرير المصير كما هو الحال في اتحاد جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية ، ويتركز نشاط الامم المتحدة – ضمن النطاق النظري – في الجهود التي تبذلها من اجل مناقضة الفلسفة العنصرية وتجريدها من علميتها ومنطقيتها عن طريق المناهج الدراسية العلمية التي تجري تحت اشراف اختصاصيين عالميين وبدافع من مصالح الامم المتحدة المعنية بمثل هذه الشؤون ويرجع الاهتمام بمعالجة المسألة العنصرية على هذا النحو الى نحو خمسة عشر سنة مضت ، ففي سنة 1950 اولى المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للمنظمة عناية مبدئية بالمشكلة العنصرية القائمة وقام باتصالات مع اليونيسكو بهذا الصدد وفي نفس السنة صدر التصريح العالمي الشهير حول نقض فكرة العنصرية وكان هذا التصريح ثمرة الابحاث التي قام بها مؤتمر دولي عقد بهذا الشأن تحت اشراف اليونيسكو ، وضم نحو 49 عالما مختصا من جنسيات مختلفة (من اوربا وامريكا وآسيا) وقد كان المؤتمر يكتسي صبغة علمية صرف ، فلم تطغ عليه مسبقات سياسية او تكتيكية ، ولم يكن الهدف منه الا مجرد التوصل لحقائق علمية اصيلة حول موضوع الاجناس البشرية وهل تنتسب في جوهرها الى اصل واحد ام تعود الى اصول مختلفة وهل الاختلاف الملحوظ في المستويات الحضارية عند الاجناس يرجع الى اسباب وراثية ام سببه عوامل طارئة لا غير ، (جغرافية واقتصادية وغيرها) هذا

الى ابحاث جوهرية من هذا النوع ، وقد تضمن الفصل الاول من التصريح اعلانا حاسما بان الانسانية تنتسب بالفعل الى عنصر واحد ، هو العنصر الانساني ، كما اثبتته الابحاث والتحريات العلمية الدقيقة في هذا الموضوع ، ووضع الفصل الثاني حدودا دقيقة لمفهوم العنصر مجردا اياه من ملابساته الوهمية التي اكتسيها تحت تأثير الافكار العنصرية التقليدية ونص الفصل السادس على ان الجماعات اللغوية والجغرافية والدينية وغيرها لا تقابل حتميا مدلول الجماعات العنصرية اي ان اختلاف العنصر لا يتحكم في تحديد الاختلاف اللغوية والثقافية وغيرها ، فليس هناك ثقافة او دين او حضارة ما خاصة بعنصر دون غيره ، كما يخال رواد الفلسفة السلالية في العالم ، ونمت فصول اخرى في ذلك التصريح العلمي الدولي تجري على هذا النسق مستندة في كل تأكيداتها على الاعتبارات العلمية الجافة دون سواها وقد عقد بعد ذلك اجتماع دولي ثان لتوسيع دائرة البحث العلمي حول الموضوع ومقابلة بعض وجهات النظر العلمية التي ظهرت بعد انعقاد المؤتمر الاول ، وكان من امرها ان احدثت بعض الاختلاف بين العلماء المختصين ، وصدر تصريح ثان يكرر تأكيدات المؤتمر الاول الا انه يتضمن بعض الاضافات التي روعيت في وضعها وجهات النظر الجديدة حول الموضوع ، وقد زادت عناية العلماء في العالم خلال السنوات الاخيرة بموضوع المشكلة العنصرية ، ويظهر ان استفحال مظاهر المشكلة في عدة اقطار هنا وهناك قد كان له تأثير غير مباشر في اثارة هذا المزيد من الاهتمام، وان كانت القضية تلفت في جوهرها – وباستمرار – نظر الاوساط العالمية بغض النظر عن الظروف العارضة والاحداث الجارية وهكذا شاهدت السنة الفارطة مؤتمرا دوليا جديدا حول الموضوع عقد بموسكو خلال فصل الصيف ، وحضره اختصاصيون في علوم الوراثة ، والانتروبولوجية وغيرها من الفروع العلمية التي تمس الموضوع العنصري من جهة او ثانية ، وقد كرر المؤتمر التأكيد الدولي العلمي بان الانسان ليس له اجداد مختلفون في التكوين والخصائص ، وانما يمت بسببه الجوهري الى جد واحد ، واذا كان فريق من العلماء قد بدأوا متقبلين لمبدا تقسيم الجماعات البشرية الى اقسام بحسب ما يوجد بينها من اختلافات في السحن والتلامح ، وما الى ذلك فان فريقا آخر من العلماء قد ذهب الى ان تصنيف الشعوب الى سلالات مختلفة اعتمادا على ما يلحظ بينها من اختلافات طبيعية سطحية لا يتقبله العلم ولا يستقيم مع الروح العلمية المطلقة ، ولم يعدم الجانبان ما يدعم رأي كل منهما من براهين علمية مستقاة من ملاحظة الظواهر الجغرافية والبشرية وغيرها ، غير انه – بالرغم عن التشعب هكذا في المناقشات التفصيلية فان البيان الذي صدر عن مؤتمر موسكو دل في عمومه على ان وجهة النظر العامة التي اخذ بها اعلام الانتروبولوجيا وعلم الحيوان ، والطب والتحليل المختبري في مختلف انحاء العالم كانت في صالح مذهب اللا عنصرية طبقا لما دلت عليه الحقائق العلمية المتضافرة التي

توصلوا اليها بهذا الشأن ، ومن المنتظر ان ينعقد مؤتمر دولي آخر تحت اشراف اليونيسكو ايضا وذلك خلال السنة القادمة (1966) ويعتبر هذا المؤتمر القادم كامتداد لاعمال مؤتمر موسكو السابق ، غير ان الاهتمام سيزداد فيه اكثر بالجوانب الاجتماعية والاخلاقية للقضية العنصرية في العالم ، وقد كان المؤتمر الماضي ذا عناية اشد بالقضايا البيولوجية والطبيعية لهذه القضية ، ومن المقرر ان يصدر في نهاية المؤتمر المنتظر تصريح علمي آخر يتناول وجهة النظر الدولية حول المشكل العنصرية واقرار وجهة النظر هذه بصورة حاسمة على ضوء العلم والابحاث العلمية المتوصل اليها في هذا المجال .

والى جانب النشاط العلمي الدولي المتركز حول القضية العنصرية ، هناك نشاط سياسي دولي كذلك يدور حول هذه القضية ذاتها ، ويجد مجالا واسعا له في حظيرة الامم المتحدة والمرافق التابعة لها فقد انقضى وقت طويل ، وبعض البلدان المعروفة بسياسة التفرقة بين الاجناس كاتحاد جنوب افريقيا تتعرض داخل الهيئة الامية لضغط دولي متزايد ، قوامه الدول الافريقية بصورة اخص ، وقد اتسع نطاق التطورات في هذا الميدان خلال الفترة الاخيرة ، اذ ان منظمة الصحة العالمية التابعة للامم المتحدة توشك ان تتبنى ـ بتأثير الدول المضادة للعنصرية ـ قرارا يقضي باقفال الباب باب المنظمة الصحية دون اية دولة ، تاخذ بفكرة التفريق بين الاجناس ، وتطبق سياسة معينة تبنى على ذلك .

* * *

لقد اشرنا في فقرة سابقة الى ان هناك حالتين بارزتين من حالات التناقض الاجتماعي بالعالم ، اخطرهما شانا هي الحالة التي تتمثل في التمييز العنصري والتفرقة بين الاجناس ، وهذه هي التي تتعرض اليوم للنقد والمعارضة العالمية سواء على الصعيد العلمي او السياسي او الفكري او ما بسبيله ، والحالة الثانية هي حالة المجتمعات التي تكونت حديثا من عناصر مختلفة وتعيش بسبب ذلك في مرحلة تبلور وتفاعل شديدين ـ من الناحية الاجتماعية بالاخص ـ وهذا التفاعل والتبلور لا يؤديان بالضرورة الى مشكلة اضطهاد منظم توجهه طائفة من السكان ضد الاخرى ، ولكنه يحدث فقط مشاكل اقتصادية وتنظيمية ، واجتماعية في الدرجة الاولى يمكن ايجازها كما يلي :

1) تأطير السكان البدائيين الذين لا يزالون على الفطرة ولم يتأثروا بعد بمعطيات الحضارة الحديثة .

2) ايجاد نوع من الانسجام الاجتماعي والاقتصادي بين العناصر البيضاء المنحدرة من اصول اوربية وبين العناصر الملونة من سكان اصليين وخلاسيين وما في نوعهم الخلاسي المولود من ابوين اسود وابيض .

3) ادماج المهاجرين الجدد في اطار المجتمع العام والتغلب على مجمل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية وحتى النفسية ، التي تنتج عن ذلك .

4) التخفيف من حدة الفوارق اللغوية والثقافية والعقلية الموجودة بين فئات مختلفة من المجتمع ومحاولة ايجاد اساس ما لوحدة من هذا القبيل جزئية او كاملة .

وثمة عدد من المشكلات الاخرى من هذا النوع ، وكلها تحدث من المصاعب للمجتمعات التي تواجهها ما يكاد يعصف احيانا بتماسك هذه المجتمعات ويعرضها لهزات عنيفة ، وبعيدة القرار ، ومن الامثلة التي تساق بهذا الصدد : مثال الهند (الفوارق اللغوية والثقافية والعقلية) وكثير من اقطار امريكا اللاتينية كالبرازيل (مشاكل المهاجرين وسكان المناطق البدائية) وبلدان اخرى بما فيها المتحضرة جدا ، كبلجيكا وكندا وغيرهما ان المشكلة في مثل هذه الاقطار وان كانت ناتجة احيانا عن وجود فوارق عنصرية او اجتماعية او اقتصادية او ثقافية او خلاف ذلك فانها تتميز في الواقع ـ عن الحالة السائدة في الاقطار التي تمارس التمييز العنصري بمعناه الكامل فان هذه الاخيرة تسيطر فيها طبقة عنصرية معينة لتضطهد الطبقات الاخرى بسبب لونها او تخلفها العقلي والاجتماعي والاقتصادي بينما الاضطهاد في الاقطار الاخرى لا يقوم كقاعدة اساسية للعمل بل كل ما في الامر ان الانسجام العنصري او الاقتصادي او الاجتماعي او الثقافي غير موجود فيها بالصورة المطلوبة .

وتعنى هيئة الامم المتحدة بهذه الحالة مثل عنايتها بمشاكل التفرقة بين الاجناس الموجودة في الاقطار التي تمارس الاضطهاد العنصري في العالم ، فاستمرار وجود جماعات بشرية تعيش على هامش الحياة الوطنية بل وتحيا بمنأى عن جو الحضارة ومنافعها ، ليس من شأنه الا ان يقود في النهاية الى خلق نوع من الميز العنصري وان كان هذا الميز ليس مصطنعا وليس مقصودا كما هو الشأن في البلاد العنصرية الحقيقية ، وتظل هذه الحالة توجد في عدد من الاقطار المتخلفة في آسيا وغيرها ، ولكنها تاخذ شكلا اكثر اثارة للاهتمام في بعض اقطار امريكا الجنوبية ، حيث تشغل القضية الاذهان بصورة جدية ، ويطلب بعض هذه الاقطار المساعدة الدولية بهذا الشأن في الميدان التقني والتوجيهي وغيره ومن امثلة ذلك العمل الذي قامت به في السنوات الاخيرة منظمات الامم المتحدة للعمل والصحة والزراعة والتربية لفائدة « بوليفيا » حيث كان يوجد بهذا القطر وفي منطقة « الاند » بالضبط جماعات من الهنود الحمر يبلغ تعدادها الملايين عاشت طويلا في حالة انعزال مطلق عن العالم ، ومنطقة « الاند » هي منطقة جبال متسلسلة تمتد على الساحل الغربي لامريكا الجنوبية ، وقد طال انعزال الهنود الحمر بها منذ عهد الاحتلال الاسباني ، على امتداد يشمل « البيرو » و « الايكواتور » ويستهدف العمل الذي قامت به

مصالح الامم المتحدة بهذا الصدد ، بالتعاون مع الاقطار المعنية بالامر ، يستهدف تمديد هذه الجماعات البدائية وادماجها في المجتمع المتحضر الذي تؤول اليه ، وليس من السهولة انجاز مهام واسعة من هذا النوع في امد قصير ، ولهذا فسيبقى من الضروري مرور كثير الوقت قبل ان تتمكن المجتمعات الامريكية اللاتينية بالتعاون مع الامم المتحدة ـ من حل جميع المشاكل المعقدة الناتجة عن وجود الجماعات البدائية الكثيرة المنتشرة في انحاء القارة ، وضرورة ادماجها نهائيا في حظيرة المجتمعات العادية ، وقد انقضى على البرازيل من جهتها وقت غير قصير وهي تواجه بعض القضايا الاجتماعية التي تختلف بعض الشيء عما تقدم ، وتتعلق ـ على الاخص ـ بسياسة هذه البلاد في موضوع الاندماج النهائي بين البيض من جهة ، والسود من جهة اخرى ، والخلاسيون المولودون من العنصرين من جهة ثالثة ، ولا تعاني البرازيل حقيقة ـ من وجود عداء عنصري سافر في طبقاتها الاجتماعية ، ولا حتى شعور ملموس بالكراهية المتبادلة بين الملونين وغير الملونين ، الا ان هناك فوارق عقلية وسلوكية واجتماعية شاسعة بين هؤلاء واولئك ، وقد وجدت البرازيل في ذلك عقب الحرب قضية مهمة تعتبر معالجتها ، والنجاح في هذه المعالجة شيئا حيويا لتطور المجتمع البرازيلي الحديث ومستقبله كدولة يؤمل لها ان تصبح من بين الدول الكبيرة في العالم .

وامام الامم المتحدة مجال واسع لتقديم مساعداتها بهذا الصدد ، لا بالنسبة لدول امريكا اللاتينية فحسب ، بل بالنسبة لعدد كبير جدا من الدول التي تعاني نسبة او اخرى من عدم التماسك في كيانها الانساني او اوضاعها الثقافية والاجتماعية فالمجتمع الانساني الحاضر ـ على الرغم من خطوات التقدم المادي والادبي التي حققها في مختلف الميادين ، فان مجمل احواله وظواهره لا تزال تعكس قدرا كبيرا من النقائص الاجتماعية والفكرية وغيرها ، ما لا يمكن تحديد مداه بدقة وسهولة ، وهذه النقائص ـ التي من بينها الفكرة السلالية الصريحة ، والاوضاع التي تتحكم فيها نسبة من السلالية الضمنية ، كل هذه النقائص هي حصيلة عصور ماضية ساد فيها الرق الرسمي والضمني بصورته الفردية من جهة ـ وكانت افريقيا السوداء من ابرز المراكز التي يقع على حسابها هذا الرق حيث كانت الجماعات البشرية ترحل على نطاق واسع للعمل الجماعي بالاراضي المكتشفة حديثا بامريكا وغيرها ـ هذا في نفس الوقت الذي اخذت فيه نتائج التوسع الاوروبي تتخذ شكلا اجتماعيا راديكاليا بحيث صار ذلك التوسع يفضي الى تفتيت مجتمعات معينة كالمجتمعات البدائية في الشرق الاقصى ونصف الكرة الغربي ، واقامة مجتمعات جديدة هي مزيج من عدة اعراق وآفاق ، وهذا بالاضافة الى غيره من رواسب عهود الاقطاع في اوروبا ، وعصور الانحطاط في الشرق وما قبل عصور الانحطاط كذلك وهناك ايضا عدة عوامل اخرى جغرافية وطبيعية واقتصادية وغيرها كان لها تأثيرها في قيام مثل هذه الاحوال المعقدة التي تجتهد الانسانية في تصفيتها الان عن طريق الوسائل العلمية والسياسية والفكرية ، ومن غير شك فان النجاح في هذه التصفية والاحراز على نتائج موضوعية من ورائها ، يتوقف عليه جانب مهم من تطور الانسان والحضارة في مدى العقود القليلة المقبلة (بحول الله) .

المهدي البرجالي

ذكريات مريرة

للدكتور: زكي المحاسني

تهاجني الذكريات فأحركها من مراقدها ، وان لها لباسا عميقا تغط فيه ، وقد تتسرب خفية الى الابد . انها لا تنفر ممن يوقظها ، فمن شأنها ان تطبق اجفانها وان تفتح عيونها محدقة في الوجود ، تنظر ما وراءها ، فترى السنين تومىء اليها بخيرها وشرها وهي لا تعرف النظر الى الامام ، وقد سكنت مثل طيور صغيرة في وكناتها ، او مثل نسور قشاعم على قنن الجبال .

وكنت اجول خلال الفلسفة ، حين وقفت بكلمة يقول بها علماء الذاكرة وفي مقدمتهم « برغسون » وهي «العلم تذكر» ويريدون بهذا التعبير ان الذاكرة هي سبب العلم ، فلولاها لكانت المعارف الانسانية تذوب في الاذهان ، كما تغيب المياه في منحدرات الوهاد .

ومن صميم وجودنا وسره في الحياة اعطيات التذكر ، وقلما قل النسيان كانت الحوادث المواضي اكثر عدة للرجوع الى الحياة في الخيال والتصور .

ولقد تداولت خواطري هذه الافكار ، وانا منشرح البال على مشارف العمر مثل ناظر على الربى الى السفوح والمروج ، فتذكرت حالي وانا تلميذ استعد لامتحان البكالوريا ..

كما نسكن ، يومذاك ، في حي المهاجرين بدمشق ، المدينة التي ولدت فيها ، وتتابع منها جدودي ، وحي المهاجرين تعلق بجبل قاسيون فملأ سفوحه ورحابه ، وتعالى بيتا وراء بيت وشارعا خلف شارع ، حتى كاد يصل الى القمم الشماء التي تتنفس اريج الشام من مجاثم التيربين الى آماد «الغوطة» الخضراء ، ونهر بردي المنساح يشق هاتيك الرحاب الممرعة .

وكان في ظاهر منزلنا في سفح ذلك الجبل ، ساحة مستديرة تحدق بها البيوت واسمها «مصطبة الامبراطور » تشرف على دمشق ، وسماها الدمشقيون بهذا الاسم منذ صعدها عاهل الالمان « غليوم الثاني» حين زار دمشق قبل الحرب الكونية الاولى ، واحب ان يشرف على تلك الآماد السواحر من دارة الشام ، فاصعدوه الى تلك الساحة .

وقد كنت اتخذ فيها ركنا منذ تدلف الشمس الى عصر يومها ، فاقتعد غارب حجر املس هنالك ، ومعي كتبي ودفاتري ، فأكب على الدراسة والحفظ حتى يأتي المساء ، ويجيء عسس الساحة ، وكان رجلا تقيا من الارناؤوط ، فيسلم علي ، وآنس به ، ثم انحدر الى منزلنا بعد الغروب ، واني لذات عشية من العشايا ، هادىء مطمئن ونظري منسكب على كتبي ، واذا انا بحجر ضخم ينحدر نحوي مسرعا ، ويحدث رجة وصوتا ويجيء الى قربي ليصيبني فحدت عنه ، ونهضت فزعا واتجهت صوب انحداره لارى الذي اهوى به ، فوجدت في الاعالي وراء البيوت المهجورة ، رجلا يكب ليأخذ حجرا آخر فيقذفني به ، ثم يتناول ثالثا ، وهو يزمجر ويشير بقبضة يده بالوعيد والتهديد ، فلملمت للحال كتبي وكخفوق البرق انحدرت من جهة لا يراني فيها ، وعطفت الطريق الى بيتنا ، فتلقتني امي – يرحمها الله – فزعا منبهر الانفاس ، فجعلت تفديني ، وقصصت عليها الخبر فما كان منها الا ان لبست ملاءتها وانا احول بينها وبين الذهاب ، فقصدت الحارس تقص عليه الامر ، فاضطرب الحارس ، واوصاها بان لا تتركني بعد ذلك اليوم اصعد الى تلك الساحة .

وضرب الدهر بيني وبين تلك الحادثة ، فنلت الشهادة الثانوية ، ثم صرت الى كلية الحقوق ، وغادرنا حي المهاجرين الى الصالحية ، وبعد ان حصلت على الليسانس انتسبت الى المحاماة فغدوت فرحا بالحلة السوداء التي كنت امني النفس بلبوسها ، وكان على المحامين الناشئين أن يتمرسوا عند اساتذة خلال عامين وفيما كنت مثابرا على هذا التمرس جئت محكمة الجنايات سائلا عن دعوى في غرفة الكتاب، وكان الوقت قد آذن بالانصراف في هجر النهار من صيف لاهب ، فما راعني الا صرخة

صرخها حاجب المحكمة ، هبطت علي من رواقه فوق راسي ، وانا في صحن المحكمة ـ زكي المحاسني ..

فرفعت راسي ، فاذا الحاجب «مصطفى المسكي» هو الذي يناديني ، فصعدت نحوه لاعلم السبب فقال

تفضل ، اعضاء المحكمة بانتظارك ! ..

فعرفت انها السخرة المعهودة التي كانت تعمد اليها محكمة الجنايات فتسخر اي محام ناشيء يراه حاجبها ليدافع عن متهم مسكين قبل صدور الحكم عليه ، اذ لا يجوز في شرعة المحاكمات الجزائية ان يتجرد الظنين من مدافع عنه .

فدخلت ردهة المحكمة ، فابتدرني رئيسها وكان ذا لحية سوداء صبيغة ، وكان صارما عاش في العهد التركي ، وادرك العهد العربي في ديار الشام ، وبجانبه المستشاران وعلى يمينه المدعي العام ، فقال الرئيس :

نحن بانتظار دفاع منك في كلمتين ، لكي نصدر الحكم .

فادركني العجب ، ولم اكن قبل ذلك قد قمت باداء السخرة في الدفاع عن المتهمين ، فطلبت رؤية ملف الدعوى ، فوضعه الحاجب امامي ، واذا هو في حجم مجلد تراكمت فيه الاوراق ، ففتحت عن الحادثة التي جاءت بالمتهم الى قاعة المحكمة ، ثم التفت اليه وهو في قفص الاتهام ، عليه حلة زرقاء سابغة وسخة وهو حافي القدمين ، منفوش شعر الراس والصدر ، كأنه متوحش جيء به من الغابات .

وماذا صنع ؟؟

وتفرست في الملف واطلت التقليب فيه واهل المحكمة متململون مني ، ولعل قد ادركهم التميز من الغضب والغيظ من الحاجب الذي ناداني .

وماذا رايت ؟ ؟

وجدت غريمي الذي قذفني بالحجارة الضخام منذ اربع سنين وانا مكب على الدرس في مصطبة الامبراطور ، كان يسكن في اعالي جبل قاسيون ، متوحدا شريدا لا ياكل الا في اطراف الليالي كسرا من الخبز القفار ، فلقد كان متيما هده العشق ، مثل مجنون ليلى ، مولع الذكرى بامراة كانت تسكن في بيت مطل على « مصطبة الامبراطور » وقد كان معمودا في حبه مذهوب الفؤاد ذا غيرة كبرى وكانت جميلة واسمها جميلة ، كحيلة العينين ، سابية عفيفة ، فحيل بينه وبينها ، وماتت ، فكان كلما طاف به طائف ذكراها بين الشهور ، حام حول حماها الذي كانت تسكنه في تلك الساحة المنبسطة المشرفة من حي المهاجرين على مشاهد دمشق ، وحين اشتد به الولوع اصابه مس فكنت اول من قذفه بحجر واستمر مريره في ذكريات الحب الدارس ، فصار يترصد الشبان اذا الم واحد منهم منفردا بالساحة ليقذفه بالحجارة ويفر في معارج الجبل ، عرفت اخباره هذه بعدئذ من الحارس الارناؤوط .

وكان اتهامه في المحكمة بانه رمى انسانا كان جالسا هنالك ذات مساء ، بحجر فرضخ به راسه فاهلكه ولم اكن قبل اعرف سيرة حبه ، ولو كنت عرفتها لسامحته منذ ذلك المساء الذي اراد به اصابتي ، ولا كانت سيرته هذه في الحب والهيام قد ذكرت بوضوح في ملف الدعوى . فنهضت مدافعا عنه ، وقلت لكاتب المحكمة .

اكتب ،

فابتدرني الرئيس بقوله :

وماذا يكتب ؟

ان من حق الدفاع ان يملي المدافع ما يريد ، وهو حق مقدس ، يا سيدي الرئيس .

وامليت على الكاتب

ارجو احالة المتهم الى الطبيب العقلي في مستشفى الجنون ، ليوضع في المشاهدة ، فانه ارتكب جرمه بسائق جنوني ، وهو الحب العظيم والغيرة على المحبوب اذ ثبت في التحقيق المسطور انه لم يكن بينه وبين المضرور ثار او معرفة .

ورفعت الدعوى شهرا وجاء الجواب بانه مصاب بنوبات ماليخوليا يطيش بها عقله بين الحين والحين .

وكنت في هذه المدة التي انصرمت عرفت سيرته من الحارس ، وسكان المصطبة ممن اصدقت دورهم بها ، فذكرت ذلك للمحكمة وادليت بالشهود ممن عرفوا حادث الحب الكبير ، ولقد هززت يومذاك الرئيس ذا اللحية السوداء حين انشدته بيتا من انشودة الاناشيد لسليمان الحكيم ، يقول فيها :

ضعني على صدرك كالميسم فالحب مثل الموت للمغرم

وقرات المعنى بالفرنسية للمحكمة كما حفظت من النسخة الفرنسية :

Placez-moi comme un seau sur ton cœur,
L'amour est fort comme la mort

فخففت المحكمة حكمها على المسكين الى اقل الحدود ، وخرجت من الجلسة الاخيرة ، مغسولا قلبي من الحنق عليه ، وصارت تلك الذكرى لدي حلوة بعد أن كانت مريرة .

دمشق ـ الدكتور زكي المحاسيني

بمناسبة زيارة الحبيب بورقيبة للمغرب

لقاء رطيب ...

للأستاذ الشاعر عبد الكريم التواتي

« ألقيت امام حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني وفخامة المجاهد الاكبر رئيس الجمهورية التونسية الحبيب بورقيبة فى الحفل الذي اقيم بثانوية المولى ادريس احتفاء بتوأمة مدينتي فاس والقيروان » .

لقاؤكما يوحي القلوب معانيا ... ويغمر احناء النفوس امانيا

لقاء حبيبي امتين تحالفا ... على الحق ، ايمانا به وتفانيا

وكان لقاء بارك الله شانه ... واعلى به للامتين المراقيا

راى فيه شعبانا بشائر يقظة ... ونصرا ، وتوفيقا ، وعهدا الاهيا

* * *

وعانقت الخضراء ءامال مغرب ... فاسبغتما هذا العناق تهانيا

تعانقتما يا بارك الله فيكما ... واولاكما نعماءه والايانيا

وكان عناقا رمتما فيه وحدة ... واودعتماه امنيات غواليا

فاصبح رمز الامتين ، وموثقا ... وعهدكما ان تبذلا النصح صافيا

تعاهدتماه والملائك حضر ... فشعباكما قد ردداه اغانيا

وهاما به ، واستلهماه مبادئا ... لهم اصبحت مغزى وامست معانيا

معاني ، خير كلها وتفاؤل ... بمستقبل فينان يرسي التدانيا

* * *

ابورقيبة الشهم الابي تطلعت ... اليك حنايانا ففاضت امانيا

اماني شعب ، قاده خير سيد ... يرى العهد دنيا ، والوفاء مراميا

نبادلك الاشواق ، والعهد والرضى   ونحبوك من اخلاصنا الود صافيا
ونحن هنا فى مغرب العرب قوة   طلائعها للعرب ترجو التئاخيا
سل الحسن الارضى ، فدته نفوسنا   وحل قلوبا مفعمات تفانيا
يخبرك انا للعروبة جنة   نفدي حماها ، باذلين التراقيا
وما حسن للعرب الا هداية   اقامت لهم فى العالمين نواديا
يظل ويمسي يبتني لصروحها   ويرفع اعلاما لها وروابيا
وتلك سجايا دولة علوية   اقامت لها الاخلاق والدين هاديا

❋ ❋ ❋

ابورقيبة الازكى وانت مؤيد   راى فيك ابناء العروبة حاميا
وتونس اضحت فى عهودك موئـ   ـل الاسود ، وحصنا للفتوة عاليا
وامست بما شيدت تزهو ربوعها   وترفل فى نعماء عزت مراميا
وانت الذي انشاتها وخلقتها   وقلت لها : كوني ، فكانت غواديا
غوادي عز قد تلقيت سره   فاغدقته نشوان ــ تونس راضيا
وقد قلدتك الامر طوعا فقدتها   الى النصر فاحتلت ذراه نهائيا
وعلمتها ان الخلود تضامن   وعزم وايمان يفل اللياليا
فباتت لدنيا العرب امنع معقل   يناهض عدوانا ويدمي الاعاديا

❋ ❋ ❋

وبنزرت ، ما زال العدا يذكرونها   فتفرق احشاهم وتذوى تداعيا
لقد حسبوا ــ تعسا لهم ــ ان يعربا   ببنزرت تعنو للطغاة توانيا
فهموا ، وما كادوا فنالوا جزاءهم   ودبسوا ، واخزوا ثم اقصوا الفيافيا
ولاذوا بوهم لم يحل دون طردهم   بعيدا حيارى يذرفون السواجيا
يعضون فى ياس اصابع ادميت   ولم يلفوا الا حسرة ودواهيا
واجلوا ، وقد ذاقوا هزائم مرة   وباءوا بما هموا : اسى ومخازيا

❋ ❋ ❋

ابورقيبة باني شوامخ عزنا   نزلت الاغر ، الهاشمي ، اماميا
وءاخيت من ءاباؤه الصيد اسسوا   على العدل ملكا شامخا متراميا
حمته سيوف مشرعات وفتية   يرون المنايا غاية وامانيا
فكانوا على مر الدهور اشاوسا   يردون عدوانا ويدمون باغيا
ولكنهم كانوا دعاة محبة   وكانوا الاساة الهازمين المآسيا
وما حسن الا خلاصة هديهم   بهم يقتدي مستمسكا متفانيا

فعاش لما قد شيدوا وتوارثـــوا ... امينـــا علـى مـا قلدوه حواريـا
وسار على النهـج القويـم مناديـا ... لامن وسلم عاش للسلم داعيـــا
دعا العرب والايام جهم وجوههـا ... الى الوحدة الكبرى وكان فدائيـــا
وعبأ فى ايـــد اباة ليوثــــه ... يشيد بنيانا على الحق راسيـــا
ومن قبلـه نادى ابـوه ، وانـــه ... ليدعوك للجلى دعـاء سماويـــا
وما حسـن الا اخـوك فديتمــا ... وشعبا كما نجمان راما تساميـــا
هما تواما مجد تليـد ، موئـــلا ... جدود ، تواصوا بالفداء تواصيـــا
وقد رفعا مجد العروبة شامخـا ... وشادا لها عزا وشادا معاليـــا
اقاما على الحق الصراح معاقــلا ... فلا بغي ، لا عدوان ، لكـن تآخيـا

* * *

ابو رقيبة الاغرى نفوس عداتــه ... لتحم الايامى المرملات البواكيـا
لتحم فلسطين الشهيدة انهـــا ... فريسة عدوان تجبر طاغيـــا
فلسطين احدى القبيلتين وما لهـا ... سوى العرب تحميها المدا والدواهيا
وما كنت الا للمكـارم منبعـــا ... على الحق معوانـا وللخير ساعيـا
اجبت نداء الصارخين ، ورخصـة ... تذبح تعذيبا وتقصى المنافيـــا
لقد ارجفوا – تعسا لهم – وتقولوا ... وحاشاك ترضى ان تصافح باغيـا
وحاشاك تنأى عـن جماعة يعـرب ... وانت لها تبني فتعلـى المبانيـــا
ولكنه الايمـان بالحـــق خالصـا ... ابى لك ان تختار نهجـا خياليـا
نبذت خيـــالات ، ودنت بحجـــة ... وكنت بما قد دنت اسمى معانيـا
وقدرت ان الامـر جـد وعزمـــة ... فاعلنتها شعواء تحرق جانيـــا
وناديت من اعلى المنابر صارخـا : ... فلسطين ترجو الحاملين العواليـا
دعـو الخطب البتراء جنبا ، فانمـا ... يفل الحديد بالحديد مساويـــا

* * *

ابو رقيبة الاسمى ويا حسن السنا ... تساميتما فى المكرمات تساميـــا
وجدتكمـــا للعالميـــن هدايـــة ... ولافريقيا نبراسـا ينير الدياجيـا
راتكما « افريقيا » بناة وجودهـــا ... فاعطتكمـــا تأييدهـــا المتواليـــا
تعهدتمـــا ءامالهـــا ومصيرهـــا ... وايدتمـا اهدافهـــا والمراميـــا
بتوحيد قواها وضم صفوفهـــا ... تواصيتما مستبسلين تواصيـــا
وناديتمـا ابناءهـــا فتسابقـــوا ... يلبون اخلاصـا لهـــا وتفانيـــا
يذوذون عنها المستغل بما يـــرى ... له اليوم امرا او يرى عنه راضيـــا

وباركتما وفقتما ووقيتمـــا — من الشر ـ طفرات لها ومعاليا
فسارت تحث الخطو ، والعلم رائد — فتنشيء عمرانا وتبني اقتصاديا
وما اليوم فيها من يخون ولاءهـا — بفضلكما او يبدي فيه توانيا
ولكنما تبني اساس وجودهـا — سواعد تعلي روحها والنواصيا
فاضحت وقد ءالى بنوها فداءها ـ — منار الشراة الضاربين الفيافيا

* * *

ايا بطلي شعبين ءالى بنوهمـا — فداءكما ، بثا الرخاء بلاديا
لقد عشتما تربي جهاد ورمتمـا — صلاحا لشعبين استطابا التلاقيا
على الدين والتقوى على الحق والهدى — اراقا دماء زاكيات غواليا
فما وهنا في الله يوما وانما — اذاقا كؤوس المهلكات الاعاديا
وتلك سجايا يعرب ان يعربـا — طلائع امجاد تفور امانيا
فقودا شعوبنا الى الخير اننـا — وراءكما نخطو فنعلو المراقيا
رضيناكما ـ والله يشهد ـ قدوة — لدين ودنيا فلتمدا الايادي
ايا دين توحيد القلوب وانتمـا — على قدر يحبوكما النصر راضيا

* * *

الى الوحدة الكبرى تنادت شعوبنا — فسيرا اليها ، وابعثا الشرق ثانيا
وما وحدة دون الجزائر تبتنى — وليبيا اساس يرفع الصرح عاليا
ذروا عنكم مستوردات عقائد — اشاعت شقاقا بيننا وتعاديا
ففي سور القرءان ؛ جذر وجودنا — على اسه فليبن من كان بانيا
وانتم جميعا للعروبة اسهـا — وانتم نواة الآملين التآخيا
وما العرب في شرق البلاد وغربها — سوى وحدة دنيا ، ورايا سياسيا
فصونوا تراث العرب من كل عابث — فانكم قلدتموه الاهيا
وانتم ـ بني الضاد ـ الدعاة الى الهدى — على الحق قدمتم ضحايا غواليا
غمرتم نفوس العالمين محبة — فطابت نفوس العالمين تراضيا
فلا تهنوا ، فالله يكلا سعيكم — لخير البرايا ، ولتدوموا غواديا

* * *

ابورقيبة الغالي ويا حسن الرضى — رفعنا تحايانا تضوع تهانيا
فجودا عليها بالرضى وتقبلا — معانيها الحسنى دليل وفائيا

فاس ـ عبد الكريم التواتي

أيها العاهل العظيم هنيئاً بالتي زانت القصور المشيدة

للشاعر: عبد القادر المقدم

مـــولاي

كل يــوم تلقى مــن اللـه تأيـــ
ـــدا وتحظى بنعمـــة ممـدودة

يـــا مليكـا تنافست فيــه آلا
ء فهــذي كريمـــة ومجيـــده

ملء سمع وملء عيـن تلقـــى
شعبك البشريـات بالمولـــــوده

انت فى مـوكب المكارم تنقـاد
اليـك الرغـائـــب المنشـــوده

هـــذه صنو مريـــم ، وولـي
وهـــم فى القـلادة المنضـــوده

درر العرش ، ملتقى الامل الغالـــي
وســــر الخلائـــق المحمـــودة

تتباهـــي بهـــم طلائع هـــذا
الجيل فى كـل نهضـة مرصـــوده

وهمـــو منـــة الالـــه توالـت
لترى فيهـم ، الاماني العديـــده

* * *

ايها العاهـل العظيـم ، هنيئـــا
بالتي زانـت القصـور المشيـــده

صانهـا ربهـــا بمـــا انـت راج
واجتباهـــا اميـرة ، ورشيـــده

تلك آي الولاء مــن درة العـــرش
تلتهـا القلـــوب آيـا جديـــده

عشت مولاي موئل الشعب توليـه
صنوفا مــن الايادي المفيـــده

عشت فيه ، ابا رحيما ، كما كـــا
ن ابـــوك الذي تقيـم عهــوده

حامـلا ســره ، وباعـــث امجاد
الالى شيدوا الحصون الشديـــده

تتوالى بها المحامد ، تحيـــي
ذكريـــات ، طريفـــة ، وتليـده

دم لنـــا ايهـا ايها المليك مطاعـــا
وهنيئا ، ومرحبـا بالمولـــوده

طنجـة ـ عبـد القادر المقـدم

لا أريد الحجام يصبح خصمي

للشاعر عبد المالك البلغيثي

منـذ نشري لقصـة الحجام … من بميدان اكـرة ذو هيام «1»
وانا عند ما الاقي لـدى الشـا … رع وجها جهما يسير امامـي
وهو نحوي محملق ناظـر شـز … را بعيـن كانها من ضـرام
نظرات توحـي الـى كل منظـو … ربها انـه مـراد انتقـام
لم يساور مخيلتي الشك فيـه … انـه عارف بحلق الهـام
فاراني احث سيري حتـى … اختفي عنـه فى ركـام الزحـام
واناجي نفسـي : لعلـه حـلا … ق راى قصتـي مـع الحجـام ؟؟
اتراني اصبحت معروف اسـم … ومحيا ، ما بيـن هـذا الانـام ؟؟
كنت القى منهم لطيف ابتسـام … واحتـرامـا معبـأ باحتشـام
كل ما اختشيـه ان يقضب الحفـ … ـاف عنـي لمـا راى من نظامـي
ويثيـر الشكوك حولي فاحيـى … فى اضطراب مهيـج الاوهـام
هل غدوا يقروان ما تنشـر الاقـ … ـلام عنهم ؟ ليسوا من النيام ؟
يفهمون القريض فهمـا فاضحـوا … بالذي قلتـه شديدي احتـدام ؟؟
اتواصوا بالشر ؟ والشـر لا ابـ … ـغيه ممـن ازورهـم بلمـام
ليس لي عنهـم منـاص ، ومـا او … قدت حربـا عليهم بالخصـام
ان نقدي لواحـد ، لا لجمـع … كان يسعى لمهجتـي بالحمـام
ظـن راسـي كاكـرة فقدا يلـ … ـعب بالراس قبـل مدمـي لكـام
كـل مـا قلتـه انتقادا ، فتوجيـ … ـه شريف ، من النزيـه السامـي
اتمنـى ان لا يحـرك حقـدا … ورضاء الحقود صعب المـرام
لا اريد الحجام يصبـح خصمـي … وحياتـي رهن لـدى الحجـام

*

ها انا ذا اريد تخفيف شعـري … فى مصيف كالنـار ، جوه حامـي
فاذا ما دخلت قاعة حجـا … م لتقليـم شعـري المترامـي «2»

«1» العدد الرابع من مجلة دعوة الحق السنة الثامنة
«2» التقليـم يستعمل فى الاظفار وغيرها

وتذكرت غيظهم من مقالـــي   وعيونـا رشقتنـي بسهـام
قمت فورا كهارب من حمـام   بعد اخـذي لكرسي قـدام
وترى الحاضرين ، عند خروجي   بعد ما كنت جالسا كالهمـام
ملئوا بالشكوك فانفض منهم   جمعهم ، قبـل حلقهم للهام
والبريء الحلاق يهديء روعـا   قد عراهم .. بمستميل كلام «3»
لا تبالوا .. فانـه شاعر والشـ   ـعر اصحابه عديمـوا الزمـام
فاذا مـا بـدا لهم جو شعـر   ذهبـوا في الخيـال والاوهـام
هكـذا شانـه لدى كل حـ   ـفـاف .. فلا تتبعوه في الاحجام
افـلا تنظـرون شعـرا كثيـرا   فوق راس لـه كعش النعام ؟؟
وهو لم يفتكـر لينقـص منـه   ما لـه في تنسيقـه من مرام
مثلـه مـا احقـه بلجـام   او ربـاط في كرسـي بحزام
لا يطيق الخروج بعد من القـ   ـاعـة قبل التزييـن والاتمام
انه بالخـروج يحـدث شكـا   لحريـف في خبـرة الحجـام
ولو انـي استطعت ثـرت عليـه   غير انـي اراه سامـي المقـام
وله عصبة مـن الشعر لم تعـ   ـبأ بماضـي الموسى كماضي الكلام

* * *

يا اخي ، هكذا اعيش ولا اجـ   ـرؤ ءاتـي لقاعـة لحمـام
انني مـن شجاعتـي لا ابـاري   في عـراك ، بالقـول او بالحسام
غير اني لا استطيـع ثباتـا   عند هذا .. في الخلف او في الامام
ان راسي ، وخيـر ما يملـك الانـ   ـسان .. القيـه في يـدي حجام ؟
حانق ساخط علـي وليتـي   اقل فيه ، فقرة ، من كـلام
فاشيـروا علي .. قد طال شعري   وتدلـى علـى القفا في لمـام

«3» من اهداء الرباعـي ..

سلا ــ عبد المالك البلغيثي

فاتح أكتوبر

للشاعر: المدني الحمراوي

شهر الدراسة قد اطل مبشرا ... بحياة جد فى المدارس تطلب
مرت شهور الصيف فى مرح وفى ... سفر ولهو طال فيه تقلب
واتى الخريف منبها من غفلة ... من كان فى اهوائه يتقلب
وكانما غمر الانام حماسة ... فجموعهم فى سعيها تتوثب
يتسارعون الى شراء لوازم ... فيها لابناء المدارس مرغب
فمحافظ ودفاتر ومحابر ... ومساطر من كل حجم تجلب
والكتب والالواح والاقلام من ... الوان صبغ والمناشف تصحب
والممسحات وما يلائم مظهرا ... من كسوة فيها الاناقة تكسب
وترى البنين مع البنات كانما ... يتهيئون لمعرض يترقب
هذا يطالب بالمحال ، وهذه ... تبغي وتطلب كل ثوب يعجب
فترى البيوت مسرة ومساءة ... وترى مشاكل حلها يتصعب
والوالدون كانهم فى غمرة ... هذا شكا فقرا ، وهذا يعتب
يترددون على المدارس جملة ... وقلوبهم وعيونهم تتقلب
يبغون فيها للبنين مقاعدا ... من قبل ميعاد الدراسة تكتب
وترى الجميع يرددون سؤالهم ... اين المدير وعونه والمكتب ؟
وترى عزائم لا تلين قناتها ... وترى على التعليم حرصا يطرب
فاذا اتى يوم الدراسة اقبلت ... زمر من الاطفال فيها ترغب
ومواكب الشبان نحو معاهد ... للعلم يحدوها رجاء طيب
وعلى وجوه جميعهم اشراقة ... فيها يشع تفاؤل وترقب
فاذا مررت على الطريق فلا ترى ... الا وجوها بالحياة تصبب
وكانما زمر البنين ازاهر ... تمشي وتنطق بالكلام وتلعب
الوانها متنوعات مثلما ... تبدي الحدائق ما يروق ويخلب
هذي لعمرك همة عربية ... هبت تشيد عزة وتركب
وتعيد عهدا للحضارة والعلى ... قد عاش قبل اليوم فيه المغرب
وبنى به فى الخافقين سيادة ... كانت تكرم فى الانام وترهب
اخبارها فى الكتب لا تخفى على ... من جال فى تلك الكنوز ينقب
ما شئت من علم ومجد شامخ ... وتمدن ءاثاره تستعذب

عرفته « اندلس » وفاس بعدها
يا فتية التعليم هيا جددوا
انتم جنود في جهاد واجب
لا تكسلوا عن واجب فبلادكم
هلا ذكرتم كيف كان جدودكم
رحلوا الى نيل العلوم فشرقوا
سهروا وجاعوا في سبيل معارف
قد علموا الدنيا وساسوا امرها
كم علموا كم الفوا واستنتجوا
آراؤهم ما زال فيها مقصد
عرفتهم الدنيا نجوما فاهتدت
فبهم اخي فاخر فانك واجد
اسماؤهم بين الورى مشهورة
يا فتية التعليم صونوا مجدكم
وتسابقوا نحو العلوم لعلكم
ان الشعوب تعلمت وتقدمت
فتسلحوا بالعلم حتى تدركوا
وتمسكوا بالدين دين محمد
ومكارم الاخلاق صونوا عهدها
لا يخدعنكم التفرنج انه
ليس التعلم بالتفرنج انما
ان الشعوب اذا جفت عاداتها
امم العروبة لن تنال مرامها
فتعلموا وتمسكوا بشعاركم
اكتبر يا شهر الدراسة مرحبا
وتراقصت ءامالنا وتحركت
نحو المدارس ترتمي في نشوة
اهلا بمقدمك العزيز فانه
ءامنت انك في المواسم غرة

وامتد في « مراكش » يتشعب
عهد الجدود ولا يفتكم مطلب
فتعلموا وتقدموا وتهذبوا
لبناء عز طارف تتاهب
في العلم ، فالذكرى تحث وتلهب
متعلمين معلمين وغربوا
فيها لمن طلب المعالي مارب
وبهم تأسى مبدع ومجرب
وتعمقوا في المشكلات ورتبوا
للعالمين ، معينها لا ينضب
بضيائهم واستصوبت ما صوبوا
فيهم مئاثر للمعالي تنسب
كالشمس لكن ذكرهم لا يغرب
بالعلم انه قوة لا تغلب
تسترجعون مكانة تتطلب
وبلادنا من خلفها تتعجب
ما ادركت امم الزمان وتكسبوا
فيه صلاح المسلمين مجرب
فالمرء بالخلق الكريم محبب
داء يفتت مجدنا ويذوب
هدف التعلم حكمة تستصوب
تفنى معالم عزها وتخرب
ان اصبحت عن روحها تتغرب
ما عاش شعب عن شعاره يرغب
ما عدت الاعاد سمي معجب
اكبادنا في كل نهج تضرب
كالنحل من عطر الازاهر تنهب
بشرى تسر بها القلوب وتطرب
ولكل عام شهره المترقب

الرباط ـ المدني الحمراوي

لقاء

للشاعر

محمد الخمار

« ولو انه كان اول لقاء مع ارض طالما اشتد حنيني اليها ، فقد كان شعوري ابعد مـــن ذلك اللقاء »

انـــا هنـــا ، فى ثقـــة اخطو وفى اصرار
بشفتـــي اغنيـــة قديمـــة الاشعـــــار
اعرفـــه دربـــي هنـــا فى زحمـــة التيـــار
اعرف ما فى الشرف الخضراء من اســـرار
تبصر عيني فالرحاب دونمـــا استـــــار
يعرفني قرميدهـــا جيريـــة الاحجـــار
ابكـــي اجـــن لبكـــا وجنـــة القيثـــار
تصحو جراح بدمـــي تنهـــض من اعـــواري
سالت على ذرى وافـــق هـــذه الاســـوار
انـــا هنـــا ، يا روعـــة العـــودة والتذكـــار

ذكرى تقيم فى دمـــي شطئانها الرماديـــة
ينهض غيمهـــا الكثيف عن دنـــى ضبابيـــه
من قمتـــي ابصر غورهـــا حروفـــا غافيـــه
مغرورق العينين فى دمعي تموت داليـــه
ظل هـــلال مسحته يـــد شمـــس فانيـــة
صومعة تنهـــض مـــن قلبـــي لا نهائيـــة
وفى المدى جيـــر وقرميد وعيـــن داميـــه
فارتمي علـــى السفـــوح دمعة ترابيـــه
ذكرى تقيم فى دمـــي شطئانها الرماديـــه
ينهض غيمها الكثيف عن دنـــى ضبابيـــه

اشبيليه اشبيليه ، يـــا مرتقى الحانـــي
يا حلمـــا يـــا شفقـــا لافقـــه تحنانـــي
يا شاطئا اخضر يغفو فى دجـــى اجفانـــي
يـــا عالمـــا محجبا يعرفـــه نسيانـــي
لقياك ، ام وعد الصباح فى سما احزانـــي ؟
اليوم فى ثراك اخطو مبهـــم بفشانـــــي
امشي اليك غير حالـــم ولا وسنـــــان
واديك فى قلبي وفى دمي وفى وجدانـــــي
بأيمـــا شوق عليـــك ترتمـــي اجفانـــي ؟
بأيمـــا حرف اليـــك ينتهـــي تحنانـــي ؟

القصر الكبير ـ محمد الخمار

الأصم

للشاعر:
محمد بن محمد العلمي

قالوا اذا ذقت الالم   انت البئس المتهم
واذا عزمت فانهم   قالوا : تزل بك القدم
اذ رايهم عند العكو   س لقد تجانس والسجم
لهفي على الراي الذي   فيهم توزع وانقسم !
كم يحنثون اذا نووا   امرا ، فلم يجد القسم
واذا صبرت على الاذى   قالوا : ذليل فى العدم
واذا غضبت توهموا   ان الجنون بك ارتسم
واذا فشلت تقدموا   لشماتة تغزو الهمم
والجوع ان عانيته   قالوا : ستاكل فى نهم
واذا نجحت ففيهمو   حسد على كل النعم
واذا رضيت فما رضوا   بالحظ ، بل قالوا : بكم ؟
واذا رجعت الى الهدى   قالوا : تبدل واحتشم
واذا فرضت عليهمو   امرا ، فلم تصن الذمم
ما دمت غرا بينهم   جعلوك شهما تحترم
واذا اصبت بنكبة   قالوا : ستبقى فى السأم
عند النطاح ، لقد تنا   دوا : يغلب الكبش الاجم
واذا فهمت نفوسهم   قالوا ، وما ذاقوا الندم :
انت الجسور على الالى   سكنوا الثريا والقمم
جهلوا مساواة الورى   ونسوا العدالة والشيم
واذا فحصت بناءهم   من اسه فقد انهدم
خلقوا على نهج الهوى   منذ البداية والقدم
يتزاحمون بشدة ،   مثل الذئاب مع الغنم
اغمض عيونك يا اخي   فالنور فى دنيا الظلم
والناس هذا قد بكى   قهرا ، وذاك قد ابتسم
والعدل يتبع دائما   فى كل حق ، من ظلم

ومن ارتضى الظلم المريـ ـر ، فبالهوان قد اتسم
ان الحياة تنافس فيه الجميع قد ازدحم
وارى الجور ، وان تنا هى الخطب ، قد هز العلم
لا لوم ، ان عيوبنا تنمى لها مثل الامم
لا فرق عندي في المقا تل ، بين عرب او عجم
فاذا جهرت بعيبهم ابدوا اساليب الشمم
واذا عملت لغاية هزاوا بسعيك في وجم
واذا قعدت فانهم فرحوا ، وصاحوا بالنغم
والهول ، ان عانيته قالوا : استحق بما خدم
واذا هزمت فانهم قالوا : اصيب بما اجترم
واذا سترت هناتهم قالوا : يخاف فلم ينم
واذا اغتنيت فانهم قالوا :بعثت من الرمم
واذا افتقرت لعونهم حرموك من حق الكرم
واذا عشقت الفن قا لوا : في الجنون قد ارتطم
واذا نطقت بحكمة قالوا : شردت عن القيم
واذا اكتمت سرائرا قالوا : مصاب بالبكم
ومن الفاهة ظنهم ان الضخامة في الورم
ولقد تساوت عندهم شتى المزايا والنقم
يتذوقون بلذة سما زعافا في دسم
ويقدمون اواخرا ، ويقدرون من انتقم .
وامورهم يا ليتها امست بسير منتظم .
يتناقضون بفعلهم والوهم فيهم معتصم ،
كم يجرحون بقولهم قلبا ، فما الجرح التأم
كم يوفدون من الحرو ب ، وجيشهم فيها التحم
وامواك انتصارا في العرا ك ، وجيشهم فيها انثلم
ومضوا جميعا ، غير ان الجيش ، اخطا فانهزم
اكلوا على طمع ، وقد مات الجميع من التخم
وتعادل العملاق منـ ـهم في التفاهة والقزم
فاذا اردت سلامة ممن تقول او حكم ،
فاسكت فديتك – دائما واستبق سمعك في صمم
والقول ان الغيته فالداء منه قد انحسم
ولقد تساوت « لا » على حسب اللباقة او « نعم »
فاترك مزاعم من تقد م للعناد ، ومن شتم
شتان بين من استوى فوق الكمال ، ومن زعم
لولا شكاية مسمعي ما كنت استوحي القلم

محمد بن محمد العلمي

عرض الكتب

رشيد رضا

تأليف الدكتور : ابراهيم العدوي

تعليق الأستاذ : أحمد بنسنة

الدكتور ابراهيم احمد العدوي ركن رصين في مجال الثقافة العربية المعاصرة .. واحد الافذاذ المعروفين بابحاثهم الفاحصة في مضمار الكتابة التاريخية .

وكتابه « رشيد رضا » هو الحلقة الثالثة والثلاثون من سلسلة « اعلام العرب » الشهرية التي تصدرها المؤسسة المصرية العامة للتاليف والانباء والنشر ، باشراف وزارة الارشاد القومي القاهرية، والكتاب يضم حوالي 288 صفحة من فئة الحجم المتوسط، وهو يحتوي على ثلاثة عشر فصلا ، تحدث فيها المؤلف بكل دقة وموضوعية عن الفترة الاليمة التي عاشها الامام المجاهد رشيد رضا ، والتي تحالف فيها الاستبداد العثماني مع الاستعمار الاروبي للسيطرة المطلقة على الشرق حيث صار عبء الاصلاح ثقيلا ينوء به اولو العزم من القادة ، بيد ان رشيد رضا خاض غمار هذه الاحداث كمصلح مجاهد ، عالج الاحداث التي احاطت بالمسلمين والعرب ءانذاك .

المسالة الشرقية : استهل الدكتور العدوي كتابه بفصل تحدث فيه باسلوب تاريخي شيق عن الاطوار والمراحل التي مرت بها « المسالة الشرقية » ، منذ القرن الخامس عشر الميلادي ، فقد كان الشرق العربي والاسلامي ضحية لمطامع الاستعمار الاوربي ، الذي يتطلع من جديد للاستيلاء على خيرات الشرق وكنوزه ، والتي لم ينسها منذ الحروب الصليبية ، تمثلت اولى تلك الاخطار عندما اهتدت اوربا الى اكتشاف راس الرجاء الصالح ، الذي فتح لها المجال لتضيق الخناق على المسلمين من العرب والفرس والهنود ، وتفسد عليهم حياتهم الاقتصادية ، مما حدا بمسلمي الهند الى طلب النجدة باخوانهم في الشرق العربي للقضاء على هذا المد الاستعماري الخطير ، وقد بادرت مصر بارسالها نجدات بحرية ، ولكن فلول قوات العدوان استطاعت القضاء على المسلمين في موقعة « ديو » المشهورة ، وكان لميلاد دولة الاتراك صداه العميق في نفوس كافة المسلمين الذين كانوا يتابعون زحف العثمانيين على اوربا باعتباره قوة تستعيد للاسلام جهاده الاول ، لكن العثمانيين ارادوا مواجهة العالم الاسلامي العربي بالسيطرة ، ليتسع نفوذهم فانقلبوا على اعقابهم خاسرين ، ودخلت المسالة الشرقية في مرحلتها الثانية ، بعد ان لمست اوربا تطورها الفعال، في عاملين رئيسيين : 1» التجارة . 2» تطور اساليب الحرب الاروبية ، وهكذا حول الاروبيون شركاتهم التجارية الى حملات حربية على السكان الامنين ، فنتج عن ذلك ان استعمرت انجلترا الهند ، بعد ان هزمت جيش المسلمين في « بلاشي » سنة 1757 ، وبعد هذا حملت روسيا العثمانيين على عقد معاهدة « كتشك كينارجي سنة 1774» التي جاءت كاعلان عن ضعف الدولة العثمانية ، وتصدع زعامتها وبعد هذا ايضا انتقلت تنافسات الاستعمار الغربي من اطراف العالم الاسلامي في الهند ، حيث قاد نابليون بونابرت حملة للاستيلاء على مصر ، تمهيدا لاستعمار العالم العربي برمته ،

وفتح العالم العربي عيونه على خطورة هذه الحملة ، حيث تجند العلماء والمشايخ فاخرجوا النابوليونيين من مصر ، وحددوا علاقاتهم مع الدولة العثمانية وتعتبر هذه اليقظة الشعبية اهم مدرسة تخرج منها القادة الذين حفلت بهم بلاد العالم العربي ، وفى طليعتهم الامام المجاهد رشيد رضا .

وتاتي « المسالة الشرقية » مرة اخرى فى مرحلة جديدة من تطورها حيث اصطدمت اساليب الاستعمار بيقظة العالم العربي والاسلامي الذي انطلقت حركاته الاصلاحية تنادي بسقوط الحكام العملاء ، وتشجب دولة العثمانيين ، وهنا بدات الشعوب العربية والاسلامية تتطلع الى ظهور قائد يهديها سواء السبيل ، وسرعان ما وجدت مبتغاها فى الامام المجاهد والرائد الملهم رشيد رضا .

فى قرية القلمون : وفى هذا الفصل يتحدث الدكتور المؤلف على ان رشيد رضا سليل بيت عربي شديد التقوى ينتمي الى العترة النبوية الشريفة . وقد اشتهرت مجالس ءال رضا بكونها مجالس ادب وعلم ووقار ، تدافع عن الاسلام وقد تاثر رشيد رضا بحياة هذه المجالس تاثيرا عميقا ، فاهتم بالعلوم الاسلامية وما يتصل بها من فروع المعرفة . التحق اولا بالكتاب فى قرية القلمون ، ثم انتقل الى المدرسة الراشدية بطرابلس الشام ، فالمدرسة الوطنية الاسلامية بطرابلس التي غيرتمجرى حياته التعليمية. فقد درس فيها العلوم والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية على يد استاذه الملهم الشيخ حسين جسر العالم الاديب الذي خص تلميذه رشيد رضا بالعناية والاهتمام ، لما عليه من حب شديد للدراسة والمذاكرة والذكاء الخارق ، وزادت ثقته بتلميذه ، حتى صار يطلب رايه فى مؤلفاته ، وخاصة الكبرى منها ، واتاح له الكتابة فى صحف طرابلس ، فاشتهر فى هذا الميدان مما جعله يتقدم برسالته امام ابرز الاساتذة فى طرابلس ءانذاك فينيلونه الاجازة فى العلوم الشرعية والعربية والعقلية ، وقد لقب رشيد « بفولتير المسلمين » لقدرته على هدم كل ما لا يصح دليله من كتب الدين . وقد ظل رشيد رغم هذا ياخذ نفسه بطاعة الله والتمسك بتعاليمه ، نظرا لتاثيره الشديد بكتاب « احياء علوم الدين » للغزالي . فداب على مراقبة ربه ومحاسبة نفسه ومعاتبتها على الغفلة .

نشاطه الاصلاحي : وانتقل المؤلف الى هذا الفصل حيث ابرز مدى النشاط الاصلاحي الكبير ، الذي قام به امامنا المجاهد ، لاصلاح المجتمع العربي المسلم ، والاخذ بيده نحو مدارج الكمال . فقد خص رشيد اهل قريته بنصيب كبير من هذا النشاط الجبار. فكان يقرا للرجال الدروس فى المسجد شارحا اياها بطريقة بسيطة ، وحاثا الناس على التخلي عن البدع والضلال . ولم يخص الرجال وحدهم بهذا الوعظ والتوجيه بل عممه حتى على النساء . وهكذا اصبح رشيد ينعم بمكانة عالية بين اهل قريته ويرون فيه المثل الاعلى للتقى والاصلاح . وقد راى رشيد ان يمتد نشاطه الى كافة نواحي المجتمع ، وعلى الخصوص مع اصحاب النفوذ والسلطان . وتجلت هذه الظاهرة الجديدة عندما كان جالسا ذات يوم ، لتناول الطعام مع والده وحاكم طرابلس مصطفى ذهني حيث كان الحديث يدور فى شؤون الدولة العثمانية ، فابدى رشيد رايه فى جراة نادرة حيث قال : « ان الذي اضعف الدولة هو جهل العلماء بالسياسة وجهل الحكام بالدين » وشاع خبر هذا الراي الحر بين الناس : لانه اغضب الحاكم المذكور . وهناك حادث ءاخر اهل رشيدا لتسلم علم القيادة فى البلاد ، ذلك ان خلافا نشب بين عالمين كبيرين فى طرابلس ، فعمد الحاكم الى ازالة ما نشب بينهما من اسباب الخلاف ، فاستدعى النابغة رشيد رضا فكلفه باعداد خطاب يناسب المقام ، والقائه على الحاضرين من العلماء ورجال السياسة وغيرهم ، ولكن رشيدا لما يتمتع به جراة ولباقة اطلق العنان لنفسه فى الخطاب ، فابرز اهمية اتحاد جميع عناصر الامة من حاكمين ومحكومين ووضح لهم وما عليهم من حقوق وواجبات ، وحمل فى الاخير على الاغنياء والبورجوازيين لانهم يحتقرون الطبقة الكادحة ويستغلونها ، وساد الحاضرين الخوف بسبب ما جاء فى هذا الخطاب من جراة نادرة وافكار جديدة . لا يجرا انسان على المناداة بها سرا ، لا علنا كما حدث ، ولكن الحاكم حين وقف ليعقب على الكلام ادخل الطمانينة فى النفوس ، وقال : « انى افتخر اليوم بان اعد نفسي طرابلسيا لهذه الحكمة التي سمعتها من هذا الشاب » وتناقلت الالسن هذا الخطاب ، ولذا لم يكن عجبا ان سلم له المواطنون علم القيادة . اذ جاءته وفود من كبار ادباء البلاد واصحاب الفكر تعترف بفضله، وتشيد بجراته وتبايعه قائدا لها . لقد تلقى رشيد رضا دراسته العليا فى ميدان الاصلاح على علمي الشرق الاستاذين محمد عبده وجمال الدين الافغاني ، الذي جاء الى مصر «سنة1871» لتخريج القادة الثوريين وزعماء الاصلاح،

وعلى الخصوص مجلته « العروة الوثقى» التي فتحت امام رشيد ءافاقا واسعة ولم يكن يعرف عنها شيئا ودفعت به الى الطريق الطويل ، الذي سلكه كبار المصلحين وقادة التحرير ، ولقد جاء انتقال رشيد رضا الى ميدان الاصلاح العام في عهد اخطر واخبث سلطان عرفته الدولة العثمانية في اواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ، فمنذ وصل الى مصر كشف للاستاذ محمد عبده عن اهدافه الحقيقية ، فاستقر به العزم على انشاء صحيفة «المنار» الاصلاحية التي يستمد فيها حكمة الاستاذ فيما يكتب ، ويدخل بذلك ميدان الاصلاح الكبير مفيدا ومستفيدا وقد نال رشيد وءاله الكثير من اضطهاد الدولة العثمانية التي استخدمت مختلف الوسائل الزجرية لايقاف هذه الصحيفة ، ولكن هذا لم يزد رشيدا الا انطلاقا ، وعزما شديدا ، على مواصلة جهاده البطولي ضد قوى الغدر والطغيان والرجعية ، فقد نادى في صحيفة « المنار » بان على المسلمين ان يعلموا بان قيمة الدين ليست في اسراره الروحية ، او قواه الخفية ، ولكنها تكمن في الحقيقة التي يعلمها للانسانية ، وهي ان سعادة المرء في هذه الحياة والحياة الاخرى ، تتوقف على معرفة سنن الله التي تضبط رقي البشرية ، افرادا وجماعات ، وذكر ايضا ان ظهور الفرق الاسلامية ، وعداء اتباعها لبعضها البعض ، اضعف قوى المسلمين ، وفتح ابوابا لتسلل العناصر الهدامة، وان اخطر شيء اصاب المجتمع الاسلامي اذ ذاك هي حركات الزنادقة والاراء الفلسفية المنحرفة ، وان تلك الحركات ابعدت المسلمين عن جادة الصواب ، وابرز بوضوح بان ابسط الطرق للنجاة هو التضامن وتبسيط العقائد وازالة الاحقاد الطائفية من النفوس ، ولم ينس المؤلف ان ابرز دور رشيد رضا في سبيل توضيح السبل للعلماء لاداء رسالتهم كاملة ، في مضمار الاخلاق والاداب والتربية العملية جسما وعقلا ، بانشائه مدرسة تقوم بمامورية الاصلاح والتبشير الاسلامي الصادق اسماها « دار الدعوة والارشاد » وقد تخرج منها نفر لا باس به من خيرة المثقفين في البلاد الاسلامية هذا وان رشيدا جمع الى جانب روحه الاسلامية نزعة قومية عربية ابية ، حيث هاجم سلطات الاحتلال في مصر ، لما لمسه من غدرها وسوء نيتها بالامة العربية، شانها شان جماعة الاتحاد الشرقي العثمانية ، وقد بادر بالدفاع عن الامة العربية بصرامة وقوة بعد ما ثبت للملا غدر فرنسا بسوريا ، كما غدرت انجلترا ببقية البلاد العربية الاخرى ، فقد وقف رشيد رضا الكل عملاء الاستعمار يتعقبهم في كل مكان، ويشهر بهم في المحافل، دون ان يخشى بطش سلطات الاستعمار في البلاد فقد وهب نفسه للاخذ بيد الامة العربية ، وتبصيرة اهلها بالخطر الذي ترديوا فيه نتيجة نجاح الاستعمار في خداع بعض قادة العرب .

لقد حمل رشيد لواء الجهاد في سبيل الاسلام والعروبة اربعين عاما متصلة الحلقات ، لم يعرف خلالها الراحة او الهدوء فدافع عن الاسلام في كل موطن ، وخدم هذا الدين في الفقه وفي الادب والاجتماع وفي التاريخ والسياسة بطريقة رائعة فريدة لا يدانيه فيها احد .

ولم يفت المؤلف في السطور الاخيرة من الكتاب ان يضع قائمة باسماء المؤلفات التي تركها الاستاذ الاستاذ رشيد رضا ، كثرات خالد ، يرسم الطريقة النضالية للاجيال الطالعة ، في مختلف المجالات الحية ، ومن هذه المؤلفات : نداء للجنس اللطيف ــ الوحي المحمدي ــ الوحدة الاسلامية اصول التشريع العام ــ الامامة العظمى ــ تفسير القرءان ــ حقيقة الربا ــ مساواة الرجل بالمراة ــ رسالة في حجة الاسلام الغزالي .

هذا هو رشيد رضا الامام المجاهد في شذرات .

الدار البيضاء ــ احمد بنسنة

المغرب عبر التاريخ تأليف : ابراهيم حركات

تعليق الأستاذ حسن السايح

نشرت دار السلمي كتاب « المغرب عبر التاريخ » للاستاذ ابراهيم حركات ، محاولة بذلت جاهدة ان تسد فراغا في هذا الموضوع الخطير من تاريخ المغرب ، ذلك ان المغرب لم يكتب بعد تاريخه كتابة علمية صحيحة ، فهو اما مدون باسلوب المؤرخين القدماء الذين حفلوا بالاحداث السياسية فقط يؤرخون لبداية الدولة ونهايتها غير حافلين بالعوامل الخفية التي تحرك التاريخ ولا محللين لطبيعة الاحداث وبذلك اصبح ما كتبوه لا يتجاوز عناوين لموضوعات في حاجة الى كثير من البحث الدقيق، والتحليل العميق، فاعمالهم ليست الان الا وثيقة من بين الوثائق التي يعتمد عليها المؤرخ اليوم لكتابة تاريخ المغرب .

وما كتبه الاجانب ، وهم مدفوعون الى تحريف التاريخ في غالب الاحيان اما عن قصد او عن غير قصد وهم اذا توفروا على المنهاج والاسلوب ، تنقصهم لغة الاداء ولغة الفهم لما كتبه القدماء فلا ينكر احد ان تعابير المؤرخين القدامى تحتضن لغة عربية فصحى عريقة او لهجة محلية رقيقة لا يمكن ان يفهم كنهها الا من مارس الكتابة والتعبير بها ، ولذلك فقد يفهمون من اقوال المؤرخين مفاهيم بعيدة عن مقاصد القدماء ويقعون بذلك في اخطاء يركزون عليها استنتاجات غريبة ، ثم لا ننسى ان كثيرا منهم من احفاد الذين حاربهم جدودنا في عدة معارك فرووا عقولهم بما كتبه اجدادهم من تفسيرات مفرضة لحياتنا القديمة ومعتقداتنا وانظمتنا فاصبحوا لا يستطيعون ان يتخلصوا من عبء سوء التقييم الذي اسبغه علينا ما كتبه اجدادهم عنا .. ثم ان بعض هؤلاء كانوا يعملون مع المستعمر لتشويه تاريخنا . وكتابته بلغة تفقد عناصر الحماس والخلق لتتخلى عن حضارتنا وتعتنق حضارتهم ليعطلوا حاضرنا ويفوتوا حضارتنا .. هذه عوامل كثيرة جعلت الخزانة المغربية تعاني فقرا في الانتاج وجعلتنا نستقبل كل ما يكتب حديثا بلهف وشوق مؤملين ان نجد بغيتنا .

ترى هل استطاع الاستاذ ابراهيم حركات ان يسد هذا الفراغ . وبما اننا في مرحلة دقيقة في بناء نهضتنا فلا يجوز ان نجامل الاصدقاء على حساب القراء . ومن الواجب ان نفتح باب النقد النزيه لنقيم انتاجنا الحديث .

لقد اضاف الاستاذ الى المصادر العربية ، مصادر غربية فرنسية وبذلك اعتمد على ءاثار المؤرخين العرب وملاحظة المؤرخين الافرنج ، وهو لم يكن مترجما لاقوالهم ولا راوية وانما كان حذرا فيما يأخذ عنهم ناقدا في غالب الاحيان حين يشعر بسوء قصدهم ولكنه مع ذلك لم يستطع الخروج عن العناية بالاحداث الحربية والتقلبات السياسية حتى لكأنه يعود الى المنهاج القديم في طبع الجديد ، حيث لا يربط الحوادث بعضها ببعض ولا يبحث كمؤرخ عن الدوافع الخفية للحركات الظاهرة . ولا يكفيه ان يعرض في ءاخر الفصل في عناوين للحالة الاقتصادية والاجتماعية ينقصها التبسيط وعلاج الموضوع بكثير من التفصيل والاناة .

كما آخذ عليه ان يذكر في آخر الفصول المصادر التي اعتمدها وبالاخص المصادر الغربية لان من واجبه كمؤرخ ان يعلق على كل فكرة مقتبسة من مؤرخ سبقه في نفس الورقة التي يروي فيها موضوعه اما ان يدلنا في الاخير على مصادره ، فلا يمكن بحال ان نرجع الى عدة كتب لنبحث عن المصدر المدقق للفكرة المعينة .

كما آخذ عليه الا يستوعب المصادر قبل كتابة فصوله نظرا لانه تند عنه مصادر مهمة وبذلك يفقد الاطلاع على ءاراء محصت من قبل ، وبالنسبة لعصر الولاة مثلا لم يشر الى حركة فكرية مزدهرة لانه لم يهتد للمصادر المتخصصة في ذلك . على ان هذه الملاحظات ليس من شأنها ان تقلل من اهمية العمل الضخم الذي اضطلع به الاخ حركات وعذره واضح فقد كتب تاريخا كبيرا في جزء صغير ، ولو انه اصدره في اجزاء كما تمنى في المقدمة لحقق لنا شيئا كنا نتوق اليه ، وسوف يفعل بحول الله .

وانبه الناشر المحترم الى ان من واجبه ان يتفادى كثيرا من الاخطاء المطبعية سواء الحرفية او العددية ولعله غير معقول ان تقرا في ءاخر الكتاب فهرسا للاخطاء يتجاوز الصفحات .. وهذه هنات لا تنقص من ايمان الناشرين بالصبر لمتابعة رسالتهم في نشر الثقافة العربية ، والتراث العربي والسلام

الرباط : الحسن السائح

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

« تنظيم موسم الحج المقبل »

تراس معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الفقيه السيد الحاج احمد بركاش بمقر وزارته اجتماعا هاما خصص لدراسة تنظيم موسم الحج المقبل .

وحضر هذا الاجتماع كل من السيد الفاطمي ابن سليمان سفيرنا بالمملكة العربية السعودية والاستاذ الحاج عبد الرحمن الدكالي الكاتب العام للشؤون الاسلامية ، والسيد عبد اللطيف العراقي مدير قسم الشرق بوزارة الخارجية ، والسيد محمد عبد السلام الفاسي الحلفاوي ، مدير شركة الخطوط الجوية الملكية ، ومدير الشركة المغربية للملاحة ، وممثلين عن وزارات الشؤون الادارية والمالية والداخلية والخارجية والصحة والاشغال العمومية .

جولة تفقدية قام بها وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية في جنوب المملكة المغربية

قام معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الفقيه السيد الحاج احمد بركاش صحبة مساعديه الاقربين بزيارة تفقدية في جنوب المملكة ، فقد زار عدة مساجد في كل من مدينة سطات ومراكش الذي يشيد فيه مسجد بالحي العصري كما امر بالزيادة في علو صومعته ، وتوجه معاليه الى مسجد المنصور بالقصبة صحبة السلطات المحلية ، حيث امر بالمحافظة على تلك النقوش التي تلاشت او كادت ، وابقاء صومعة المسجد كما كانت ، ثم توجه الى قرية سيدي الزويس حيث وقف على البناية التي شيدتها الوزارة لتكون مدرسة لتعليم القراءة الدينية ، وقد اجتمع معاليه مع السادة العلماء والطلبة ، وحثهم على مواصلة الدرس والتحصيل . وقد عقد السيد الوزير جلسة عمل حضرها السيد عامل الاقليم ، وباشا المدينة ، وناظر احباس مراكش ، وقد درست خلال هذا الاجتماع عدة قضايا وتقرر ان يشيد ضريح على قبر المعتمد بن عباد دفين اغمات .

وفي مدينة الصويرة ، تفقد السيد الوزير صحبة مساعديه الاقربين ، الاصلاحات الجارية بواحد وعشرين مسجدا ، وعين واعظا يقوم باعطاء دروس دينية .

ومن هذه المدينة توجه السيد الوزير صحبة السلطات المحلية الى سوق حد ادار الذي توجد به مدرسة دينية تضم خمسين طالبا يتلقون فيها دروسا في العلم وفن القراءات ، حيث القى معاليه كلمات توجيهية على الطلبة .

وقد دشن معاليه مدرسة سيدي علي معاشو ، لتعليم القراءات ، والتي تحتوي على واحد وعشرين بيتا لايواء الطلبة .

وفي مدينة اسفي، عقد السيد الوزير جلسة عمل في مكتب العمالة ، تقرر اثناءها انشاء مسجد كبير بين الاحياء الاهلة بالسكان المسلمين ، وقد امر السيد الوزير بتجديد مدرسة اولاد الشيخ قصد احيائها ، وهكذا فقد وظف بها اربعة من فقهاء القبيلة .

في الميـدان الفلاحــي

ان مشروع غرس اشجار الزيتون والفواكـــه والكلبتوس في الاراضي التابعة لضواحي مدن فاس – زرهـون – مكناس – مراكـش – وزان – يعتبر مـن بين المنجزات الفلاحية الضخمة التي حظيت بالعناية الفائقة من طرف وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية حيث شيدت عليها بناءات عديدة خصصت لايواء العملـة والادوات الفلاحية والمزروعات كما ان ءابـارا حفـرت هنـاك لجلب الماء من اعماق الارض واستعماله لسقي الاشجار التي شرع في غرسها منذ سنة 1957 وبقيـت عملية التشجيـر مستمرة الى حد الان وهي تـزداد اهمية سنة بعد سنة الى ان اتسع نطاق تطبيقها بعـد سنـة 1963 .

وكانت الغاية المتوخاة من انجاز هذا المشـروع هي ادخال تغيير جذري على اراضي جبيـة قاحلة قصد تحويلها من شبه صحراء عديمة النفع الى ارض خصبـة منتجـة .

وبعد مضي بضع سنـوات على بداية تطبيـق هذا المشروع تغير منظر هذه الاراضي فاصبح يتراءى للعيان كما يتجلى ذلك في الصور الحية الناطقة .

وهكذا يتأكد بكل وضوح مدى الجهود الجبـارة التي بذلتها وزارة عموم الاوقاف لتنمية مداخيلهـا الفلاحيـة والمساهمة في ازدهـار الاقتصاد الوطني .



عملية التشجير بضاحية مراكش حيث تقـوم وزارة الاوقاف بعملية غرس نموذجيـة .



صهريج الماء بجنان السفياني الذي يعد من اهم ممتلكات الاوقاف بضاحية مراكش .



تزود الاراضي الفلاحية التابعـة لوزارة الاوقاف بالمياه الكافيـــة كما يتضح في الصورة المأخوذة مـن « السفيانـي »

أنباء ثقافية

* « سبعة ابواب » كتاب جديد صدر للاستاذ عبد الكريم غلاب . والكتاب عبارة عن مذكرات المؤلف فى السجن ايام الكفاح الوطني . وقد قام بتقديم هذا الكتاب المرحوم الدكتور محمد مندور . وتولت طبعه دار المعارف بالقاهرة .

* عقد فى منتصف شهر سبتمبر الماضي مهرجان شعري فى مدينة شفشاون حضرته مجموعة من شعراء المغرب وكتابه . والقيت فيه عدة ابحاث فى الشعر ومدارسه تخللتها مناقشات فى شتى المواضيع الادبية والفكرية . وقد طالب المهرجان فى توصياته بانشاء مجلس اعلى لرعاية الفنون والاداب .

* « شيخ الاسلام — محمد العربي العلوي » عنوان الكتاب الجديد الذي صدر للاستاذ عبد القادر الصحراوي ، وهو يشتمل على دراسة وافية لحياة هذا الفقيد فى ميدان العلم والفكر والوطنية . نتمنى للكتاب صدى بعيدا ، وانتشارا كبيرا .

* اصدر المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب القسم الاول من كتاب « ورقات عن الحضارة العربية بافريقيا التونسية » كما صدر فيها ديوان « شوق وذوق » لمصطفى خريف ، وديوان «تحت ظلال الزيتون » للشاعر الجزائري مفدي زكرياء .

* افتتح فى دار السلام اخيرا المؤتمر الدولي حول تاريخ افريقيا . وقد ذكر الرئيس نيريري فى خطابه الافتتاحي ان انباء افريقيا ظلت حتى الوقت الحاضر تستقى من مصادر اجنبية . وتطرق رئيس جمهورية تنزانيا الى الحديث عن تفسير مختلف احداث التاريخ الافريقي فأشار الى ضرورة التزام الباحثين بدراسة القضايا الافريقية دراسة موضوعية .

* كتاب « الوجدانية : فلسفة وعقيدة للتحرر » للرئيس نكروما قام بترجمته الى العربية سفير لبنان فى اكرا .

* احدثت حكومة غانا وزارة خاصة للدراسات العليا ، وسكرتارية للشباب .

* انشىء فى نيروبي مركز اقليمي للعلوم والتكنولوجيا لافريقيا تنفيذا للقرار الذي اصدره المؤتمر العام ابان دورته الثالثة عشرة ، وطبقا للاتفاق الموقع بهذا الشان مع حكومة كينيا .

* اطلق اسم الدكتور محمد مندور على احدى قاعات المطالعة فى مكتبة جامعة القاهرة .

* اعتمدت وزارة الثقافة بالقاهرة قرار تفرغ 11 من الفنانين والادباء وتجديد تفرغ عدد منهم .

* «ثورة الفكر فى ادبنا الحديث» اخر كتاب للناقد المصري غالي شكري ، ويضم دراسات نقدية عن محمد مندور ، ولويس عوض ، وعلي الراعي ، ومحمود امين العالم وسواهم .

* سافرت الشاعرة العراقية الدكتورة عاتكة الخزرجي الى القاهرة لتشرف على طبع ديـــوان جديـد لهـا .

* عن دار التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة صدرت « تجارب شعريـة » للشاعر كيلاني حسـن سنـد .

* قررت وزارة الارشاد بالقاهرة ايقاف اربع مجلات كانت تصدرها الوزارة ، وهي « الطليعـة » « الفكر المعاصر » « الرسالة » « الثقافة » .

* دفع الدكتور لويس عوض كتاب « على هامش الغفران » للطبع ، وسيصدر فى الشهر المقبل .

* صدرت فى القاهرة الطبعة الفرنسية مـن روايـة الدكتور مصطفى محمود بعنوان « المستحيل » التـي قامت بترجمتها ليلى عنـان .

* تترجم رواية نجيب محفوظ «زقاق المدق» الى اللغـة الفرنسيـة .

* احرز يوسف حسن نوفل بجائزة المقال الاول من المجلس الاعلى للفنون بالقاهرة ، وعنوانه « مشكلة اللغـة فى الجزائـر » .

* تترجم الى الفرنسيـة قصة « العنكبـوت » للدكتور مصطفى محمـود .

* نعت القاهرة الدكتـور عبد الحميد بدوي ، العضو بمحكمة العدل الدولية ، كما نعت الفنـــان الممثل حسيـن ريـاض .

* ديوان « الجداول » لابي ماضي صدرت منـه طبعـة جديدة فى لبنـان .

* صدرت فى بيروت قصة طويلة لنهاد ابــي راشـد بعنوان « الانقشـاع » .

* وسام على الوجه » قصة لؤلفها سليـم نصار صدرت حديثا عن دور النشر فى بيروت .

* « الذيل والتكملة لكتابي الوصول والصلة » صدر منه فى بيروت السفر الخامس من قسمــه الثانـي . والكتاب من تاليف ابي عبد الله محمد بن عبد الملك الانصاري المراكشي ، وتحقيق الدكتـور احسـان عبـاس .

* « اكليل شوك حول قدميه » مجموعة قصص قصيرة صدرت فى بيروت للانسة لورغبيب . وهذهاول مجموعة تنشر لهذه الاديبة التي الفت باللغة الفرنسية

* صدرت فى بيروت ترجمة عربية لكتـــاب « المادية والثورة » للكاتب الفرنسي جان بـــول سارتـر .

* « اصداء حب » قصة طويلة لمشيل موسـى صدرت اخيرا فى بيروت .

*«رؤى» عنوان ديوان جديد للشاعر فؤاد العادل ظهر الى الوجود اخيرا فى لبنان .

* « تحت سماء اسيـا » مجموعة شعريـ اعدها للطبع الشاعر السوري الياس الفاضل .

* دفع الى الطبع الشاعر العراقي صفــا الحيدري ديوانـه الجديد « زقاق » .

* عن دار المكتبة العصرية فى بيروت ستصـد قصة للقاص العراقي غائب طعمة فرسان بعنـوان « النخلـة والجيـران »

* سيصدر فى منشورات دار الاداب ببيـروت كتاب « تجديد رسالة الغفران » لخليل الهنداوي وهو نص رسالة الغفران لابي العلاء المعري ، وقـــ اعـاد الهنداوي كتابة القصـة محتفظا لها ببنائهـ الاصلـي ، وموسعـا افكارهـا .

* احتفل فى لبنان بالذكرى العاشرة لوفـا الشـاعر صلاح لبكـي .

* « قطرات من ظما » مجموعة شعرية صدرت للشـاعر غازي عبد الرحمن القصيبي

* يشتغل النحات يوسف غصوب بوضع تمثـا نصفي من البرونز لفيلسوف الفريكـة الفقيد اميــ الريحانـي .

* منحت الجائزة الكبرى الادبية للاكاديميـ الفرنسية عن عام 1965 الى الكاتب هنري بوتي وهو عضو فى الاكاديمية منذ عدة سنوات فى لجنـة الاختيا بجامعـة التواريـخ .

* صدر للشاعرة نازك الملائكة كتاب « محاضرات فى شعر محمود طه ـ دراسة ونقد » ويشتمل علـ مجموعة من المحاضرات التي القتها على طلبة معهـ الدراسات العليـا بالقاهرة .

* اعد للطبع الشاعر العراقي خاشع الــراو مجموعة شعريـة بعنـوان « مع نفسـي » .

* صدر في بغداد كتاب القزويني وشروح التلخيص » للدكتور احمد مطلوب .

* ساعدت جامعة بغداد على طبع كتاب «الشعر عند البدوي » لمؤلفه شقيق الكمالي .
كما ساعدت على طبع كتاب « فهارس كتاب البدء والتاريخ للمطهر المقدسي »

* معجم رجال الفكر والاداب في النجف خلال الف عام » كتاب صدر في النجف من تاليف محمد الاميني .

* الشاعر حافظ جميل اصدر ديوانا بعنوان « اللهب المقفى » .

* الشاعر احمد الصافي النجفي يصدر له قريبا ديوانه العاشر بعنوان « شباب السبعين » .

* الاستاذان يحيى الجبوري واحمد عبد الجبار انتهيا من ترجمة وتحقيق كتاب « تاريخ العرب الادبي » لارنولد نيكلسون المستشرق الانجليزي المعروف ، ودفعا الجزء الاول منه الى المطبعة ، وقد ذيلا الكتاب بتعليقات مهمة ، وفهارس علمية .

* انشئت مؤخرا مراكز ثقافية في بيروت ، ودمشق ، والقاهرة . وقد شرع مركز دمشق ، بمعونة اليونيسكو ، في تحقيق استطلاعي عن مساهمة العلماء العرب في تطور التفكير والثقافة في الفترة الواقعة بين القرنين السابع ، والثاني عشر . اما مركز القاهرة فيقوم بمساعدة اليونيسكو ايضا بدراسة عن القسط الذي اسهم به الاسلام والعرب في الحضارة الاوربية . ومن المنتظر ان تبرز هاتان الدراستان الثروة الثقافية التي اكتسبتها الثقافة الشرقية والثقافة الغربية معا بفضل حركات التبادل بينهما ، وكذلك بفضل الاثار التي تركتها كل منهما في الاخرى .

* ظهر في الاسواق العراقية كتاب « صيانة الابنية الاثرية في العراق » الذي قام بتاليفه الاستاذ فؤاد سفر ، والاستاذ صادق الحسني .

* في موقع الحضر بالعراق عثرت بعثة عراقية على سبعة تماثيل جديدة من المرمر .

* يصدر قريبا في بغداد كتاب جديد للاستاذ جاسم كلكاوي بعنوان « العرب في الكتاب والسنة »

* « شاعرية ابي المحاسن » كتاب اصدره الاستاذ خضر عباس الصالحي .

* « حفنة رماد » عنوان لكتاب جديد لمؤلفه ناصر الدين النشاشيبي .

* اصدر الاستاذ صادق الطعمة كتابا بعنوان « الادب المعاصر في كربلاء » .

* انتهى الاستاذ عبد الحميد العلوجي من تحرير كتاب « مؤلفات ابن الجوزي » .

* صدر في الايام الاخيرة الجزء الاول والثاني من رسائل الجاحظ الذي قام بتحقيقه وشرحه الاستاذ السيد عبد السلام هارون . وقد تضمن الجزء الاول الرسائل التالية « مناقب الترك ، المعاش والمعاد ، كتمان السر وحفظ اللسان ، فخر السودان على البيضان ، في الجد والهزل ، في نفي التشبيه ، في كتاب الفتيا ، الى ابي الفرج بن نجاح الكاتب ، فصل ما بين العداوة والحسد ، صناعة القواد » . اما الجزء الثاني فيتضمن الرسائل الاتية : « في النابتة ، الى ابي الوليد ، كتاب الحجاب ، مفاخرة الجواري والغلمان ، كتاب ذم اخلاق الكتاب ، كتاب البغال ، الحنين الى الاوطان .

* بدات تصدر باللغة الالمانية مجموعة جديدة من المؤلفات المعنية بالاداب في اسيا . وبتضمن كل مجلد منها مقدمة وتعليقات تفصيلية ، وقد ترجمت النصوص بالاستناد الى الاصول مباشرة . وتحتوي هذه المجموعة على مؤلفات تتميز بها الاداب الهندية ، والصينية ، واليابانية ، والفارسية ، والعربية .

* قام الاستاذ حميد مجيد هدو بتحقيق ديوان الشاعر الحويزي وصدر عن دار مطبعة النعمان بالنجف .

* 25 لوحة من متاحف فرنسا تقيم – مؤقتا – في غير محلها . حيث انتقلت الى متحف بوشكين وستقيم بموسكو خلال ثلاثة اشهر ، ثم تنتقل الى لينينغراد ، وفي نفس الوقت ستتوجه لوحات عالمية بمتاحف موسكو ولينينغراد لتعرض في فرنسا .

* قامت اللجنة الدولية للثقافة في باريس بترجمة كتاب « رسوم دار الخلافة » للباحث العراقي ميخائيل عواد ، وذلك ضمن سلسلة روائع الفكر العربي التي تصدرها اليونيسكو ، وكان المجمع العلمي السوفياتي في

موسكو قد قرر ترجمة هذا الكتاب ايضا الى اللغة الروسيـة .

※ نظمت اليونيسكو معرضا متجولا موضوعه « فن الخطوط » وبدا هذا المعرض يطوف بالدول الاعضاء ، وهو يتضمن خمسين لوحـة .

※ اصدرت اليونيسكو مؤخرا المجلد السادس عشر لفهرس الترجمات ، ويتضمن هذا الفهرس البيليوغرافي احصاء عن 43 او 45 ترجمة صدرت خلال عام 1963 فى 69 بلـدا ، كما يشير الى بعض الترجمات السابقة التي لم يرد ذكرها من قبل فى الفهرس ، ويعرض المجلد البيليوغرافيات المصنفة فيـه حسب كـل بلـد .

※ نظمت للمرة السادسة حلقة لدراسة ءاثار الاديب الروسي ليون تولستوي دراسة علمية ، وذلك بمدينة تولا حيث يوجد متحف الاديب الراحل . وقد شارك فى هذه الدراسة باحثون من موسكو ، ولينتفراد واوكرانيا ، واورال ، وسيبريا ، والفولجـا ، وباشكيـري .

※ فشلت فى بريطانيا مسرحية ارنولد وسيكي — الجديدة « الفصول الاربعـة » قال النقاد ان سبب سقوط المسرحية دخول الكاتب عالما غريبا هو عالم الشعـر .

※ عنوان الكتاب الجديد للاستاذ محمود تيمور « خمـة خمسة » قدم فيه ست مسرحيات قصيرة من صميم المجتمع المصري فى ازمان مختلفـة .

※ صـدر للاستاذ علي صافـي حسين كتاب « الحجاج — حياته وخطابته » تناول فيه سيرة الحجاج باعتباره فى مقدمة مشاهير الخطباء الذين وضعوا اسس الخطابة فى عصور الاسلام .

※ صدر للاستاذ حبيب جاماتي كتاب تحت عنوان « اغرب ما قرات » مشتملا على ادب الاسفار والرحـلات .

※ « اغنيـة الكفاح » كتاب جديد للاستـاذ مصطفى عبد الرحمن السكرتير العام لجمعية المؤلفين والملحنين، وهـو دراسـة جديدة للاغنية الوطنيـة ، واسهامها فى الكفاح الشعـبي ، وتعبيرها عن الامانـي القوميـة والانتصارات الشعبية .

※ « اعصار من الشرق » مؤلف جديد للدكتور ثروت عكاشة ، وزير الثقافة السابق ، ورئيس مجلس ادارة البنك الاهلي ، ويـدور حول سيرة القائـد المغولي « جنكيز خان » ، وقد استمد المؤلف سيرتـه من مصادر كثيرة عربية وغربية ، ولم يجعل السيرة على شكل جاف ، بل جعلها على شكل قصة يرويهـا فى اسلوب شيـق .

※ فى سلسلة « اخترنا لك » صدر بحث جديد بعنوان « اتجاهات جديدة فى التخطيط الهندي » بقلم شريمان نرايان ، وهو من تلامذة غاندي ، ولـه راي يتسم بالمثاليـة والتصوف فى المشاكل الاقتصاديـة الماديـة التي يواجهها جزء كبير من العالم ، وبخاصـة الهنـد .

※ تم فى المانيا الاتحادية تأسيس متحف لتاريخ العمل العالمي ، قامت بتنظيمه احـدى جمعيـات البحوث مع عدد من كبار الخبراء . وستجري فيـه بحوث تتناول مختلف ميادين تأريخ العمل الانسانـي، استنادا فى ذلك على مجموعة ضخمـة مـن مختلـف الاقسام المعدنية واوراق البنكنوت المصنوعة مـن الخزف الصيني وغيرها من المواد الاخرى ، كمـا سيجري تصفيفهـا وتبويبها ، وتجميـع شتـى المستندات التي تتناول تأريخ العمل . وسيكون من ضمن مهام جمعية البحوث المذكورة التعاون مـع اتحادات هواة جمع الاثار وتبادل الخبـراء مـع الدول الاجنبية فى هـذا الميـدان . وقـد خصصت للمتحف قاعات قصر بورجدرياج فى شمال اقليـم باقاريـا . وسيكون فى مقدمة ما يعرض فيه علـى الجمهور مجموعة من اوراق البنكنوت تضم مـا يزيد على 50 الف قطعـة .